الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره

(1889م-1965م/1306ه-1382ه).

الدكتورة: سعدية بن حامد

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره
الدكتورة: سعدية بن حامد

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب الدور الذي قام به أحد أبرز قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ودوره في خدمة القضية الجزائرية مند عودته من المشرق العربي سنة 1920م وإلى غاية وفاته سنة 1965م.

فقد حاولت تتبع مسيرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلمية والتربوية والسياسية داخل الوطن وخارجه، في سبيل مجابهة سياسة العدو الفرنسي الاستعمارية، خدمة للوطن والأمة الجزائرية، لأنها قد أبليت بالإستعمار سنة 1830م، الذي سيطر على الأرض والعباد، وطبق سياسة ظالمة في شتى الميادين، الثقافية والدينية والاجتماعية لجعل الجزائر جزءا لا يتجزأ منها، لاسيما السياسة التي ترمي إلى مسخ مقومات الشعب الجزائري من العروبة والإسلام.

وفي ظل هذه الظروف القاسية، ظهر الشيخ الإبراهيمي على غرار رجال جمعية العلماء المسلمين كالشيخ عبد الحميد بن باديس وغيرهم من المناضلين في الحركة الوطنية الجزائرية من مختلف الاتجاهات والمشارب السياسية والفكرية، وهو مصلح ومناضل حاول أن يعالج شتى المشاكل والقضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، من خلال المقالات الصحفية ومحاضرات الوعظ والإرشاد في المساجد واللقاءات والتظاهرات العلمية والسياسية، والأحاديث الإذاعية، إضافة إلى النشاط التربوي والتعليمي من خلال مدارس جمعية العلماء ونواديها داخل الوطن، أما خارجه فقد حاول الدفاع عن القضية الجزائرية كرجل ديبلوماسي ليصبح بعد ذلك سفيرا حقيقيا للجزائر إبتداء من سنة 1952م إلى غاية إستقلال الجزائرعام 1962م.

ISBN: 978-9931-749-93-6
9 789931 749936

الإيداع القانوني: مارس 2025
حي تعاونية الشيخ المقراني مقابل جامعة
محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر
imp.nouasri@gmail.com

نواصري
للطباعة والنشر

كتاب علمي

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره
(1889م 1965م/1306ه1382ه).

الدكتورة: سعدية بن حامد.

الكتاب: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره

(1889م 1965م/1306هـ1382هـ).

المؤلف (ة): الدكتورة: سعدية بن حامد.

طبعة أولى: مارس 2025

ردمك: ISBN: 978-9931-749-93-6

عدد الصفحات: 158 صفحة

الناشر: نواصري للطباعة والنشر

إيميل: imp.nouasri@gmail.com

العنوان: حي تعاونية الشيخ المقراني إشبيليا مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر.

الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن آراء صاحبها ولا تتحمل دار النشر مسؤوليتها

جميع الحقوق محفوظة

مقدمة:

يتناول هذا الكتاب الدور الذي قام به أحد أبرز قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في خدمة القضية الجزائرية مند عودته إلى الجزائر من رحلته الأولى إلى المشرق العربي سنة 1920م وإلى غاية وفاته سنة 1965م.

فقد حاولت تتبع مسيرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلمية والتربوية والسياسية داخل الوطن وخارجه، في سبيل مجابهة سياسة العدو الفرنسي الاستعمارية، خدمة للوطن والأمة الجزائرية، لأنها قد أبليت بالاستعمار في النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي (19 م) سنة 1830م، فبعد أن وطأ الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر وسيطر على كامل أراضيها عسكريا، طبق سياسة ظالمة في شتى الميادين، الثقافية والدينية والاجتماعية لجعل الجزائر جزءا لا يتجزأ منها، خاصة تلك السياسة التي ترمي إلى مسخ مقومات الشعب الجزائري من العروبة والإسلام.

وفي ظل هذه الظروف القاسية، ظهر الشيخ الإبراهيمي على غرار رجال جمعية العلماء المسلمين كالشيخ عبد الحميد بن باديس مثلا والطيب العقبي، وغيرهم من المناضلين في الحركة الوطنية الجزائرية من مختلف الإتجاهات والمشارب السياسية والفكرية، وهو مصلح ومناضل يحاول أن يعالج شتى المشاكل والقضايا السياسية والإجتماعية والثقافية والدينية، من خلال المقالات الصحفية ومحاضرات الوعظ والإرشاد في المساجد واللقاءات والتظاهرات العلمية والسياسية، والأحاديث الإذاعية، إضافة إلى النشاط التربوي والتعليمي من خلال مدارس جمعية العلماء ونواديها داخل الوطن، أما خارجه فقد حاول الدفاع عن القضية الجزائرية كرجل ديبلوماسي ليصبح بعد ذلك سفيرا حقيقيا للجزائر إبتداء من سنة 1952م إلى غاية إستقلال الجزائر عام 1962م.

ونحن بصدد هذه الدراسة للبحث في أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خاصة وإن كانت لها الأيادي البيضاء في مواجهة الاستعمار الفرنسي، واستطاعت أن تقف بالمرصاد في وجه

السياسة الاستعمارية والمتمثلة بالخصوص في الإدماج والفرنسة والمسخ، وهي المعالم الكبرى للسياسة الاستعمارية في الجزائر.

وقد تضمن هذا البحث أيضا إشارة إلى أثار الشيخ البشير الإبراهيمي الأدبية والفكرية والمعرفية والدينية والسياسية، والتي رغم أنه كتبها في ظروف عويصة إلا أنها ذات مستوى إبداعي عالي جدا، ما زالت تبهر كل مطلع عليها رغم ما مر عليها من زمن، وتمثل ثراثا ثقافيا وفكريا ما زال بحاجة إلى دراسات أكاديمية لإبراز قيمته العلمية والتاريخية.

ومن أسباب الولوج في هذا الموضوع هو بقاء شخصية ونضال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بعيدا عن المؤرخين، فمعظم الكتابات التي كتبت في هذا الإطار وحسب اطلاعنا علينا لا تعدو أن تكون مجرد إشارات بسيطة لا ترقى إلى مستوى الدراسات الأكاديمية المتخصصة من الناحية التاريخية.

إضافة إلى اهتمام أغلب الدراسات الأكاديمية التي أنجزت حول شخصية البشير الإبراهيمي، بالنواحي الأدبية واللغوية، دون الخوض في النضال السياسي والثقافي والفكري للشيخ.

كما أرغب من خلال هذا الكتاب، الوقوف على حقيقة مواقف بعض الأقلام المناوئة التي يشكك أصحابها في دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة القضية الجزائرية، شعبا ووطنا، خاصة الحديث عن الثورة التحريرية، وما الشيخ الإبراهيمي إلا رجلا من رجال هذه الجمعية.

بالإضافة إلى رغبتي الجامحة في البحث في هذا الموضوع لإبراز خصائص وأعمال هذا الرجل.

وقد قسمنا كتابنا هذا إلى: خمسة فصول.

فقد تناولنا في الفصل الأول: الأوضاع العامة للجزائر في الفترة التي ولد ونشأ فيها الشيخ الإبراهيمي من 1889م إلى 1965م، ثم تطرقت إلى مولده ونشأته، ورحلته الأولى إلى المشرق العربي سنة 1911م من أجل الدراسة والتحصيل المعرفي، ثم عودته إلى الجزائر سنة 1920م، ودواعي ذلك.

أما الفصل الثاني: عالجت فيه نشاط الشيخ الإبراهيمي قبل ميلاد الجمعية، ثم مساهمته في وجودها وفي أعمالها ونشاطاتها.

أما الفصل الثالث: فقد خصصته لبعض مواقف الإبراهيمي من القضايا السياسية خاصة من السياسة الاستعمارية الفرنسية، لاسيما من منشور ميشال وقرار رينيه ومشروع فيوليت، ومن لجنة الإصلاحات الإسلامية وغيرها.

أما الفصل الرابع: فأفردته لبعض مواقف الشيخ من قضايا عصره، وقد تطرقت فيه إلى حركات التحرر في بلدان المغرب العربي وكذا القضية الفلسطينية ونظرته إلى مقاومة الاستعمار الأوروبي.

أما الفصل الخامس: فعالجت فيه سفارته للجمعية العلماء إلى أقطار المشرق العربي والإسلامي ابتداء من سنة 1952م، إضافة إلى موقفه من اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية، ونشاطه لصالحها في الفترة ما بين 1954م–1962م والتي كرسها الشيخ الإبراهيمي للعمل الديبلوماسي، ثم عودته إلى الجزائر عام 1962م ووفاته بها سنة 1965م، كما تطرقت فيه إلى المؤلفات التي خلفها سواءً الموجودة أو الضائعة.

الفصل الأول:

الأوضاع العامة للجزائر في الفترة التي ولد ونشأ فيها الشيخ الإبراهيمي

من 1889م إلى 1965م،

1-المولد والنشأة:

1- عصر الإبراهيمي 1889م- 1965م.

2 - المولد والنسب.

3- نشأته وتعليمه.

2- رحلته الأولى إلى المشرق العربي 1911م.

3-عودته إلى الجزائر 1920م.

1-المولد والنشأة:

1-عصر الإبراهيمي (1889م – 1965م):

عندما حلت سنة 1889م التي ولد فيها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، كان قد مر على إحتلال فرنسا للجزائر تسعة وخمسون سنة، عرف خلالها الشعب الجزائري وجودا إستعماريا، تفرد عن غيره من الإستعمارات في القديم والحديث تفردا يكاد يكون شاذاً بالقياس إلى المنظومة الإستعمارية عامة، أو بالنسبة للإستعمار الفرنسي ذاته خاصة.

فالجزائر بموقعها الجيوستراتيجي المتميز في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وفي شمال إفريقيا وفي قلب المغرب العربي، وما تمثله من عمق بشري وإقتصادي وإستراتيجي، هو الذي دفع بفرنسا إلى إحتلالها مهما كلفها الأمر ذلك، وإن إنتهاج سياسة فرض السيطرة المطلقة عليها عسكريا وإقتصاديا وثقافيا ودينيا وحضاريا، تحقيقا لآمالها وطموحاتها الإستعمارية.

ولا ريب أن المؤرخ للمرحلة الإستعمارية في الجزائر مند بداية الإحتلال وحتى نهايته، سيقف على حقيقة تاريخية واضحة، وهي إجماع كل الأنظمة السياسية التي إعتلت سدة الحكم في فرنسا على تكريس فكرة الجزائر الفرنسية أو فرنسا الجنوبية.

في هذا الواقع فتح الشيخ الإبراهيمي عينيه كغيره من أفراد الشعب الجزائري في العهد الإستعماري على واقع مرير أضحى فيه المجتمع الجزائري:" يعاني التسلط والقهر، ويتلقى تزوير الهوية، ودك قواعد الشخصية الوطنية"[1]، إنها سياسة أرادت أن تجعل من الجزائر وطناً فرنسياً جديدا أهلا بالفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة، تنزع عنه مقوماته العربية والإسلامية ليتحول إلى مقاطعة فرنسية يجري فيها الدم الفرنسي[2].

وقد لخص فرحات عباس في كتابه ليل الإستعمار معالم هذه السياسة الشنيعة في ثلاث نقاط أساسية وهي:

---

[1] أسعد السحمراني: الإستبداد والإستعمار وطرق مواجهتها عند الكواكبي والإبراهيمي. ط 1. دار النفائس. بيروت، 1984 م. ص 97.

[2] فرحات عباس. ليل الإستعمار. ترجمة أبوبكر رحال. مطبعة فضالة. المحمدية. المغرب. د. ت. ص 56.

1- تفويض الدولة الجزائرية، وتفكيك إطارات المجتمع العربي الإسلامي الإجتماعية منها والسياسية، حتى أصبح أثرا بعد عين.

2- إصرار فرنسا وبعناد على تبديل الأهالي الجزائريين بالسكان الأوروبيين، وخلق نظام إجتماعي مسيخ، وفتح المجال لعنصرية مزمنة زادتها فضاعة وإزدهارا قوانين إستثنائية سنها المستعمر لفائدة أبنائه، وعلى حساب الشعب الجزائري.

3- إن فرنسا قد منحت للأقلية الأوروبية حريات كثيرة بيد أن الجزائري قد بقي أعزلا لا سلاح له في الميدان للدفاع عن حقوقه، رغم إحتجاجاته في إطار إحترام الشرعية الإستعمارية.

ومن هنا فإن فرنسا لم تترك مجالا في حياة الجزائريين إلا وامتدت إليه يدها، فكانت تتدخل في كل ما له علاقة بالأهالي من قريب أو من بعيد، بمختلف الأساليب والطرق التي كانت تطورها حسب الظروف، لكن الهدف واحد والنظرة الإستعمارية كانت واحدة [1].

وفي إطار السياسة الفرنسية الإستعمارية المطلقة في الجزائر، حيث أصدرت السلطات الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي سلسلة من القوانين:" **من شر ما عرفه البشر في عالم التشريع الإنساني**"[2]، ومنها على الخصوص قانون الأهالي[3] الذي صدر سنة 1871م، بعد التمكن من القضاء على مقاومة الشيخ المقراني والحداد في نفس السنة، وقد تضمن مجموعة من الأوامر الصادرة عن السلطات الإدارية فيما يرتكبه الجزائريون من جنح، وقد ظل هذا القانون البغيض[4] مسلطا على الجزائريين مند صدوره وطيلة فترة الإحتلال.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. (1930م – 1945م). ج 3. ط 3. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986م. ص 54.

[2] Claude Collot: Les institutions de L'Algerie Durant La periode coloniale (1830 – 1962), Edtion C.N.R.S et O.P.U, 1984, p 94.

[3] قانون الأهالي: تضمن جملة من التعليمات والأوامر الصادرة عن الضباط العسكريين والمسؤولين الإداريين. والجهات الموكل إليها النظر فيما يرتكبه الجزائريون من جنح. فعلى سبيل المثال فرض على الجزائري حمل رخصة التنقل من مكان لآخر داخل الجزائر. وإن لم تكن بحوزته يعاقب... وهكذا. للمزيد أنظر C.C, IBID,P 94.

[4] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية.(1900م – 1930م). ج 2. ط 3. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.1983م. ص251.

ومن بين هذه القوانين أيضا قانون 19 ديسمبر 1900م الذي أعطى للمعمرين قوة مراقبة ميزانية الجزائر، وشبكة الخطوط الحديدية، والمواصلات وغيرها، إضافة إلى السلطة الكاملة على الجزائريين، وهو ما كان نكبة قاسية عليهم، وكان بإمكانهم أيضا الضغط على السلطات الإستعمارية لكي يحصلوا على القوانين التي تخدم مصالحهم الخاصة[1].

وفي هذا الوضع وجدت الجزائر نفسها مع مرور الزمن: «خاضعة لسلطتين سلطة قانونية وهي سلطة باريس، وسلطة فعلية هي الجزائر، أما سيدنا المعمر فإنه يمارس كلا السلطتين، فهو فرنسي في باريس وجزائري في الجزائر، أما الجزائري فلا حول ولا قوة ولا سلطة له لا هنا ولا هناك، في باريس غائب مهجور وفي الجزائر قاصر محجور»[2]، ومنه نستنتج أن الجزائري أصبح عنصرا منبوذاً في وطنه بمنظومة قانونية شرعت أساسا لخدمة مصلحة العنصر الأوروبي.

كما أن السلطات الفرنسية تعدت ذلك وعملت على إلغاء القضاء الإسلامي ومنظومته، حيث تبعت سلطات الإحتلال أسلوب التدرج في حرمان الجزائريين من التقاضي وفق الشريعة الإسلامية [3]، ومحاصرة الدين الإسلامي ومؤسساته، وإحتكارها حق التصرف في شؤونه[4]، رغم أنها دولة علمانية، فقامت بإلحاقه بالحكومة عن طريق التدخل في مؤسساته وشعائره، كما سعت إلى تشويهه بتشجيع الطرق الصوفية المنحرفة والتحالف معها ضد علماء الدين الأحرار، فضلا عن فتح الأبواب أمام الحركات التبشيرية.

كما ذهبت فرنسا بعيدا في سياستها التجهيلية للمجتمع الجزائري، إدراكا منها أن الأمية هي عامل أساسي لتكريس بقائها في الجزائر، الأمر الذي دفع بالإبراهيمي إلى أن يصرخ عاليا في وجه فرنسا قائلا: " **وليقع الإستعمار أو ليطر فإننا نتعلم لغتنا وديننا ولو في سم الخياط، أو على مثل حد الصراط.**"[5]

---

[1] سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية. ج2. مرجع سابق. ص 86.

[2] فرحات عباس. المصدر السابق. ص 125.

[3] Collot (c) , op , cit , p 110.

[4] الإبراهيمي. أثار الإمام محمد الإبراهيمي. ج 3. ط 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1997م. ص 196.

[5] نفسه. ص 227.

وجملة القول أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد عاش على غرار بقية الجزائريين، في ظروف سياسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية إستثنائية، إلا أن الجزائريين بقوا متمسكين بدينهم وملتزمين بأداء فرائضه وذلك بظهور مصلحين وطنيين ينشرون العلم بين الجزائريين ويذودون عن الإسلام هؤلاء الذين يمثلون الإنطلاقة السليمة للحركة التجديدية بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى ومن أمثالهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي وغيرهما.

2 – المولد والنسب:

ولد محمد البشير الإبراهيمي بن محمد بن عمر بن السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام 1306هـ الموافق للرابع عشر من جوان 1889م [1] بقبيلة أولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل بقرية رأس الواد [2]، والتي يرفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله [3] الجد الأول للأشراف الأدارسة، ويعرف بإسم إدريس الأكبر، وهو " الذي خلص إلى المغرب الأقصى بعد وقعة فخ[4] بين العلويين والعباسيين وإليه ترجع أنساب الأشراف الحسينيين في المغربين: الأقصى والأوسط" [5] وهذا على حد قول الشيخ الإبراهيمي.

وتنتهي قبيلة أولاد إبراهيم إلى قريش أو هلال بن عامر، وفي هذا الصدد قال الإبراهيمي:" فمما لاشك فيه أن نسبنا عربي صميم، إن لم يكن في قريش فهو في هلال بني عامر لأن موطننا الحاضر من المجالات الأولى التي كان لبني هلال فيها مضطرب واسع لأول هجرتهم من صعيد

---

[1] البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة (1954 م – 1964م). جمع وإصدار ذ. أبو القاسم سعد الله. ط 1. شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع. الجزائر. 1995م. ص 89.

[2] ذكر شارل روبير أجيرون، أن الإبراهيمي ولد بمدينة بجاية في كتابه. تاريخ الجزائر المعاصرة. ج 1. ص 222. أما رأس الواد فهي حاليا دائرة إدارية تابعة لولاية برج بوعريريج.

[3] إدريس بن عبد الله. ويعرف بإدريس الأول. وهو مؤسس سلالة بني إدريس في المغرب. رحل من مكة إلى مصر. وإلى المغرب. فتح تلمسان، وقتل مسمووما عام عام 791 بأمر من هارون الرشيد على ما يقال. أنظر. المنجد في الأدب والعلوم. ص 10.

[4] الفخ: وهو واد بالقرب من مكة المكرمة. فيه قتل العباسيون الحسين بن علي بن الحسن مع الكثيرين من العلويين 8 ذو الحجة 169هـ –11 جوان 786م. للمزيد أنظر المنجد في الأدب والعلوم. ص 352.

[5] البشير الإبراهيمي. المصدر نفسه. ص 205.

مصر في أواسط المائة الخامسة" [1]، ومنه فإننا نستنتج من قول الشيخ الإبراهيمي هذا أنه كان كثير الإهتمام بأصول قبيلته وعائلته، وأنه كان يعتز بأصله العربي العريق.

ولقد كان البشير الإبراهيمي وحيد والديه من الذكور الذين ماتوا كلهم [2]، وثالث أختين، أما أمه فهي حدة بنت محمد [3].

ففي أحضان هذه القبيلة ذات الأصول العربية العريقة ولد الإبراهيمي ورأى النور لأول مرة، وكان لذلك الأثر الكبير فيما بعد في تربيته وتنشئته وفي فكره، هذا ما سنتطرق إليه لاحقا.

3 – نشأته وتعليمه:

نشأ محمد البشير الإبراهيمي في جو ملائم، وفي عائلة توارثت العلم أبا عن جد مند خمسة قرون مضت [4]، يلوذ إليها طلبة العلم من مختلف أنحاء البلاد، فتتكفل بهم من إيواء وتعليم إلى أن يحصلوا على مبتغاهم من شتى أصناف العلم الدينية والدنيوية منها، وقد أكد الإبراهيمي هذا الدور العلمي والديني والإجتماعي لعائلته في قوله: " كان لأجدادي تاريخ قديم، في العلم يرجع إلى قرون، وكانوا مرجعا في الفتيا الدينية، والصلح بين العشائر مهما شجر بينهم خلاف، وكانوا ملاذا لطلبة العلم ففتحوا بيوتهم لعشرات طالبي العلم يرحلون إليهم من أقاصي البلاد، فيقومون بإطعامهم وتعليمهم، ومنهم من لا يخرج إلا عالما " [5]، ومن هذا نستنتج أن عائلة الإبراهيمي قد كانت لها سمعة في مختلف أنحاء الوطن، حتى أصبحت ديارها قبلة لطلاب العلم والمعرفة.

وفي ظل هذا الجو الملائم نشأ الإبراهيمي على غرار أبناء العائلة الريفية المتعلمة البسيطة في العيش، ومحافظة في السلوك والأخلاق[6]، فقام على تربيته وتعليمه منذ البداية عمه، شقيق والده الأصغر، محمد المكي الإبراهيمي، الذي كان عالما معروفا، وحامل لواء الفنون العربية،

---

[1] المصدر نفسه. ص 89.

[2] البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 90.

[3] محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه. ط 1. دار الفكر. دمشق. 1988. ص 33.

[4] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق. ص 90.

[5] البشير الإبراهيمي. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. (19541964–). ج5، جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1997م. ص 289.

[6] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق. ص 90.

مدافعا عن نحوها وصرفها، وإشتقاقها ولغتها، أخذ كل ذلك عن البقية الصالحة من علماء هذه الفنون في الإقليم الذي يعيش فيه [1].

وقد كان محمد البشير الإبراهيمي في طفولته ملازما لعمه حتى النوم والطعام [2]، فكان لا يتركه دقيقة واحدة من فائدة علمية، فضلا عن قراءة القرآن على يديه، ولعل ملازمته لعمه أكسبته ذاكرة وحافظة خارقتين للعادة، حيث حفظ القرآن الكريم وعمره ثماني سنوات، وإلى ذلك حفظ ألفية إبن مالك وتلخيص المفتاح [3].

ولما بلغ سن التاسعة من عمره، أصبح يفهم مفردات القرآن وغريبه [4]وهي السنة التي أصيب فيها بعاهة العرج في رجله اليسرى، نتيجة للإهمال والتقصير في العلاج وقد خلف ذلك في نفسه ألما حادا وحزنا كبيرين شغله عنها شفقه بالعلم وإنكبابه على المطالعة وقراءة الكتب المختلفة [5].

ولما وصل إلى سن الرابعة عشرة حفظ عددا هائلا من الكتب والأشعار، إذ تمكن من حفظ ألفية إبن المعطي الجزائري، وألفيتي العراقي في الأثر وفي السير، ونظم الدول لإبن الخطيب، ومعظم رسائله المجموعة في كتاب " ريحانة الكتب " ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس، ومعظم رسائل فحول المشارقة، وكتب اللغة والأدب.

حيث حفظ جزءا كبيرا من شعر المتنبي، كما حفظ الكثير من رسائل سهل بن هارون، وبديع الزمان، وبإرشاد من عمه، حفظ كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي الطرابلسي، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السكيت، وكتاب الفصيح لثعلب [6].

كل هذه الكتب كان لها أثر بالغ على ملكة محمد البشير الإبراهيمي اللغوية، ولما أصيب عمه بالمرض ولازم الفراش، وأذن له بالتدريس نيابة عنه لزملائه الطلبة، وهو في سن الرابع عشرة،

---

[1] محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. (أعلام الجزائر). مطبعة البعث. قسنطينة. 1967م. ص 171.

[2] البشير الإبراهيمي. في قلب المعركة. مصدر سابق. ص 90.

[3] نفسه. ص 91.

[4] نفسه. ص 209.

[5] نفسه. ص 90.

[6] البشير الإبراهيمي: الآثار. ج 5. مصدر سابق. ص 165.

ولما توفي عمه سنة 1903 م، وقد ختم على عمه دراسة بعض الكتب فأجازه الإجازة المعروفة عامة، وبعد ذلك واصل تدريس ما تعلمه من عمه إلى غاية إجتيازه سن العشرين[1]، وهي مرحلة جديدة مثيرة في حياته كما عبر عنها هو بنفسه [2] قائلا: " **وما أشرفت على الشباب حتى أصبت بشر آفة يصاب بها مثلي وهي آفة الغرور والإعجاب في النفس... وكدت أهلك لولا طبع أدبي مرح كريم، ورحلة إلى الشرق كان فيها شفائي من تلك الآفة** "، وهي حالة نفسية تعتري كل شاب يملك مثل القدرات الفكرية والإستعدادات الشخصية التي كان يتميز بها الإبراهيمي الشاب الطموح.

وهكذا فالإبراهيمي بالرغم من أنه ولد في فترة كانت الجزائر قد شهدت فيها جفافا ثقافيا وعلميا، بسبب سعي الإستعمار إلى تجهيل الشعب الجزائري وتحطيم هويته الوطنية التي قواعدها العروبة والإسلام، وهذا عن طريق منع التعليم العربي الحر، والاستلاء على مراكزه من مساجد ومدارس، وزوايا، وكتاتيب قرآنية، وبالرغم أيضا من إقامته في الريف بعيدا عن حياة المدن، إلا أنه أقبل على الدراسة بشراهة.

وبسبب تلهفه الشديد على طلب العلم والمعرفة، لم يستطع الإبراهيمي أن يبقى في الجزائر التي أصبحت لا تلبي طموحاته في هذا المجال بسبب الهيمنة الإستعمارية، فشد الرحال سنة 1911 م إلى المشرق العربي قبلة طلاب العلم والمعرفة من أبناء العرب والمسلمين، لما كان يزخر به من مدارس وجوامع علمية ذات مستوى علمي راقي في علوم الدين والدنيا على حد سواء.

2- رحلته الأولى إلى المشرق العربي:

ولما أشرف محمد البشير الإبراهيمي على فترة الشباب، تاقت نفسه إلى الهجرة إلى المشرق العربي، فأختار المدينة المنورة التي سبقه والده إليها عام 1908م، فرارا من ظلم واضطهاد فرنسا، والسبب يعود إلى فراره من التجنيد الإجباري على غرار إخوانه الجزائريين[3] .

---

[1] الإبراهيمي في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 92.

[2] البشير الإبراهيمي. الآثار. ج 5. ص 192.

[3] أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة. ج 2. ط 1. دار البعث. قسنطينة. الجزائر. 1984 م. ص 237.

وفي طريقه إلى المدينة المنورة مر بتونس وليبيا [1]، ثم عرج على القاهرة وأقام بها ثلاثة أشهر طاف خلالها بمختلف حلق الدروس في الأزهر، ولم يغادرها إلا بعدما زار الشاعر العربي الكبير أحمد شوقي [2]، وشاعر النيل حافظ إبراهيم [3] في مقهى من مقاهي القاهرة، والشيخ رشيد رضا [4] في دار الدعوة والإرشاد، إضافة إلى جماعة من علماء الأزهر.

وبعد هذه الإقامة التعليمية المفيدة، واتصالاته بشخصيات أدبية وإصلاحية مرموقة في المجتمع المصري، شد الرحال مرة أخرى قاصدا المدينة المنورة عن طريق البحر من مدينة بور سعيد إلى حيفا بفلسطين، ومنها ركب القطار إلى المدينة المنورة [5]، والتي وصل إليها في أوائل سنة 1912 م متخفيا مثلما فعل والده، ولما إستقر به الأمر عكف على القراءة ولإقراء، وبدوره كان يلقي الدروس متطوعا، ويتلقى الدروس في التفسير والحديث، وعلم الرجال وأنساب العرب، وعلم المنطق والحكمة المشرقية، وأمهات كتب اللغة والأدب [6]، حيث اختار في المدينة المنورة أبرع مشايخ الحرم النبوي في العلم، وأعلاهم كعبا فيه، وقد لزم منهم الأستاذ الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي وأخذ عنه الحديث، وبعض أمهات النحو وفقه مالك، حيث لازمه أكثر من ست سنوات، وفي حين كان يتردد أيضا على دروس المحدثين مثل الشيخ حسين، أحمد الفيض، أبادي الهندي

---

[1] محمد مهداوي: المرجع السابق. ص 35.

[2] أحمد شوقي: الملقب بأمير الشعراء. ولد بالقاهرة سنة 1868 م. أوفده الخديوي توفيق في بعثة إلى باريس سنة 1887 م. فلم يعد منها إلا بعد مضي أربع سنوات. وقد نفاه الإنجليز إلى إسبانيا سنة 1915 م. وكان شوقي مهتما كثيرا بالقضايا العربية والإسلامية. وكان من رواد مدرسة الصنعة اللفضية التي تعني إلى جانب المعنى بالشكل والمبنى. وهو في هذين النقطتين يشترك مع الإبراهيمي الذي كان راوية لشعره. وتوفي سنة 1932 م. للمزيد أنظر صالح جودت: بلابل في الشرق. دار المعارف. مصر. 1982م. ص 50. وأيضا البشير الإبراهيمي: آثار الإمام. المصدر السابق، ج 5. ص 165.

[3] حافظ إبراهيم: يلقب بشاعر النيل. ولد بالقاهرة عام 1872 م. كان بطليعة الطلاب الأحرار الذين تزعموا الثورة في السودان ضد الإنجليز. متأثرا بشعر البارودي وأحمد شوقي. ينتمي إلى مدرسة الصنعة اللفضية. وكان الإبراهيمي يحفظ شيئا من شعرره. وتوفي سنة 1932.

أنظر إلى: صالح جودت: المرجع السابق. ص 166 – 177. وأيضا. الإبراهيمي: الآثار. ص 275.

[4] رشيد رضا محمد: ولد في قلمون في طرابلس (لبنان) سنة 1865 م. صاحب مجلة المنار. وناظر مدرسة الدعوة والإرشاد بكلية مصر. وهو تلميذ الشيخ محمد عبده.. وبعد وفاة أستاذه واصل نشر تفسيره للقرآن الكريم. أنظر المنجد في الأدب والعلوم. ص 317.

[5] محمد مهداوي: المرجع السابق. ص 15.

[6] البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة. المرجع السابق. ص 09-10.

في دروسه لصحيح مسلم، وقد تأثر بهما وبدروسهما أيما تأثر، إذ قال عنهما: "**ولقيت من المشايخ ما شاء الله أن ألقى، ولكني لم أر مثل الشيخين فصاحا في التعبير ودقة في الملاحظة والغوص عن المعاني وإستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض، والتقريب للمعاني القصية** "[1]. كما أخد علم التفسير عن الشيخ الجليل إبراهيم الأسكوبي[2]، والجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ أحمد البنرزجي [3]، وأنساب العرب وأدبهم الجاهلي، والسيرة النبوية عن الشيخ عبد الله الشنقيطي[4]، وعلم المنطق عن الشيخ عبد الباقي الأفغاني، وأمهات الأدب المشهورة عن الأديب محمد العمري الجزائري [5].

وللإستزادة في الإطلاع، والتبحر في مختلف العلوم، كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يتردد على ثلاث مكتبات غنية بالمخطوطات النادرة، وهي مكتبة الشيخ الإسلام، ومكتبة السلطان محمود، ومكتبة شيخه الوزير التونسي، إضافة إلى مكتبات أخرى شخصية، فبلغ منها غايته حفظا، وإطلاعا مدة خمس سنوات كاملة [6].

وإلى جانب حضور دروس كبار المشايخ، والبحث والتنقيب عن أمهات المصادر والمراجع في الثقافة العربية والعلوم الدينية، فقد كان يلقي الدروس تطوعا على شباب المهاجرين في المسجد النبوي الشريف [7]، ولولا اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م، لتكونت بمساعيه – أي الإبراهيمي – ومساعي رفاقه حركة إصلاح شاملة لدروس المسجد النبوي الشريف.

---

[1] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة. المرجع السابق ص 211.

[2] وهو من أصل لبناني، وكان يحسن عدة لغات.

[3] وهو من أجاز الإبراهيمي بجميع معارفه العلمية. توفي بدمشق 1919م.

[4] هو أديب لغوي وشاعر ولد في شنقيط بموريتانيا. أقام في مصر. ثم رحل إلى مكة المكرمة واتصل بأميرها عبد الله فأكرمه. واطلع على المخطوطات العربية في إسبانيا. اتصل بمحمد عبده وتوفي بالقاهرة سنة 1904م. عن عمر يناهز التسعين سنة. للمزيد أنظر: أحمد مريوش. الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية. رسالة ماجستير مخطوطة. معهد التاريخ. الجزائر (1991م–1992م). ص 13

[5] البشير الإبراهيمي: المصدر نفسه. ص ص 211–212.

[6] نفسه. ص 213.

[7] نفسه. ص 92.

ويرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الإبراهيمي أثناء وجوده بالمشرق العربي تأثر بحركة الجامعة الإسلامية التي كانت تكون في الحجاز عندئذ قوة سياسية وثقافية مؤثرة، كما تأثر بالحركة السلفية التي كانت تدعوا إلى العودة إلى المنابع الصافية للإسلام من الكتاب والسنة، وأتباع النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح لهذه الأمة[1].

وفي المدينة المنورة، كان أول لقاء بين البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد حصل ذلك في موسم الحج لعام 1913 م، ثم تلته لقاءات أخرى، وكان يلتقيان كل ليلة لأداء صلاة العشاء في المسجد النبوي الشريف، ثم يكملان السمر في بيت الإبراهيمي، وهذا لمدة ثلاثة أشهر، وهي المدة التي مكث فيها ابن باديس بالمدينة المنورة [2].

واعتبر الإبراهيمي أن تلك اللقاءات المتكررة بينه وبين ابن باديس، هي التي وضعت الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي ظهرت إلى الوجود بصفة رسمية كما هو معروف يوم 05 ماي 1931 م بالجزائر العاصمة [3].

والحق أن الإبراهيمي وابن باديس قد كانا في بداية حياتهما أمل النهضة الجزائرية المنتظرة، لما يتوفران عليه من إستعدادات فكرية، علمية وشخصية لمثل تلك الرسالة العظيمة.

إن رحلته الأولى إلى المشرق العربي قد فتحت في وجه هذا الشاب الطموح، الذي كان يتقد ذكاءا وحيوية وعزيمة لا تلين أفاقا رحبة ما كانت تتسنى له لو بقي في الجزائر، ولا تساهم بقدر عظيم في تكوين شخصيته الفكرية والدينية والعلمية والإنسانية مستقبلا، وفي مقاومته للاستعمار الفرنسي الذي كان السبب في هجرته إلى المشرق العربي.

وقد مكنته أيضا من تحمل مشاق السفر، والإقدام دون يأس في سبيل الطموحات السامية التي أراد أن تكون حياته متعلقة به، ومن الاحتكاك بالبيئات الاجتماعية والحضرية التي مر أو نزل بها، وهي بيئات وإن كانت عربية أو إسلامية، لا تختلف كثيرا عن نظيرتها في الجزائر، لكنها

---

[1] أبوا القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930م). ج 2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1983م. ص 483

[2] البشير الإبراهيمي: الآثار. ج 1. المصدر السابق. ص 10.

[3] البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 216.

تنفرد بخصوصيات تزيد المعايش لها أو المطلع عليها تعمقا في فهم الواقع العربي والإسلامي أنذاك، وهو ما حدث مع الإبراهيمي.

ولقد اضطر الإبراهيمي مرة أخرى إلى الهجرة، وهو في بلاد المشرق إلى دمشق في بلاد الشام رفقة والديه، تاركا المدينة المنورة، رغم أنها كانت أحب الأماكن إليه لبعدها الروحي[1]، إذ لم يكن في وسعه إلا تركها بعد ترحيل الدولة العثمانية كل سكانها إلى سوريا والأناضول بتركيا، بسبب ثورة الشريف حسين بن علي[2] بالمدينة، وعجزها عن تموين الجيش المقدر بخمسين ألف (50.000) جندي والمدنيين المقدرين بثمانيين ألف (80.000) في المدينة المنورة.[3]

وكان وصوله إلى دمشق في شتاء عام 1917م، وقد أنساه حزنه على هذا الترحيل الإجباري حنينه للإلتقاء بالعالمين الجليلين لدمشق وهما: عبد الرزاق البيطار[4]، وجمال الدين القاسمي[5]، وبقية علماء سوريا الذين برزوا في العلم والإصلاح، وبلغت شهرتهم مسمع الإبراهيمي.[6]

ولما استقر به المقام بدمشق، أخد يلقي دروسا في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي في الحديث والتفسير، هذا ما أدى إلى إلتفاف الناس من حوله إعجابا بعلمه الغزير، وحفظه الكثير، وبراعته في التفسير.[7]

والحق أن أصحاب المدارس الأهلية السورية قد اتصلت بالإبراهيمي، بغرض التعليم، فقبل الشيخ الإبراهيمي أن يكون أستاذ للغة العربية في المدرسة السلطانية للصفوف النهائية – وهي

---

[1] البشير الإبراهيمي. الاثار. ج 1. ص 10.

[2] الشريف حسين بن علي: ملك الحجاز. ومؤسس الأسرة الهاشمية المالكة في العراق سابقا. وفي الأردن. وآخر من حكم مكة. قاد الثورة العربية الكبرى عام 1916 م ضد الأتراك. فدخل الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء. وذلك بعدما وعد بمساعدته في إنشاء الدولة العربية. ولكن بريطانيا فشت بوعودها. فخاب أمله. توفي عام 1930 م. أنظر: د. عبد الوهاب الكيالي. موسوعة السياسة. ج 2. ط 2. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. لبنان. 1992 م. ص 542.

[3] الإبراهيمي. في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 93.

[4] هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم بن البيطار. عاش في دمشق (1916 م- 1834م) سلفي العقيدة. أنظر خير الدين الزركلي: معجم الأعلام. ج ذ5.

[5] هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسن الحلاق. ولد وتوفي بدمشق. من أئمة الشام وعلمائه في الدين والأدب. سلفي العقيدة. من مؤلفاته: الفتوى في الإسلام. دلائل التوحيد...للمزيد انظر خير الدين الزركلي: معجم الأعلام. ج 4.

[6] محمد مهداوي. المرجع السابق. ص 37.

[7] نفسه. ص 39.

المدرسة الثانوية الوحيدة بدمشق أنذاك – وقد كان يختار للتدريس فيها أبرز الأساتذة والعلماء، ثم أصبح أستاذا لأداب اللغة العربية، وتطور فقه اللغة العربية ومراحلها وفلسفتها، وقد تخرج على يده الكثير من الطلبة النجباء، وهم اليوم أعمدة الأدب العربي في سوريا، وشخصيات بارزة في عالم الفكر والسياسة، منهم الدكتور جميل صليبا (1902 م- 1976م)، والدكتور عدنان الأتاسي، والدكتور أمين الروماني وغيرهم، وقد إستطاع الإبراهيمي أن يحبب إلى طلبته اللغة العربية وآدابها، بفضل علمه الواسع، وذاكرته القوية، ومنهجه التربوي السليم، وأن ينال الحب منهم لأخلاقه السامية وإنسانيته، فكانوا يزورونه في بيته حتى في العطل المدرسية، ولعل خير دليل على ذلك هو ما قاله تلميذه الدكتور جميل صليبا في أستاذه محمد البشير الإبراهيمي: "... **أعجبنا بسعة علمه، وقوة ذاكرته، وإستقامة منهجه، لأنه كان يملي علينا المتنبي والبحتري وأبي تمام عن ظهر قلب من أولها إلى آخرها، ويقرب معانيها من أفهامنا بالتفسير المحكم، والشرح الدقيق، والتحليل الأدبي الجميل، حتى ولد في نفوسنا حب اللغة العربية وآدابها، ولعلنا لم نحب هذه اللغة إلا بتأثير حبنا للشيخ أولا، فقد أحببناه حبا عميقا، وأنتقل هذا الحب منه إلى مادته، ولا غرو فقد كان رحمه الله أعظم الناس في أعيننا، وكان الذي حببه إلى نفوسنا تواضعه ولطفه ووقاره، وشجاعته وعفته، وشعوره بكرامته، وحرصه على القيام بواجباته، وتعلقه بالقيم الإنسانية المثالية، كنا نختلف إلى داره خلال العطل المدرسية للإفادة بعلمه، فكان يستقبلنا بلطف ولا يبخل علينا بشيء...** ".[1]

وقد كتب وتحدث صليبا كثيرا عن أستاذه الإبراهيمي، ومنهجه التربوي السليم، وشخصيته المؤثرة في مناسبات عديدة، كما كانت له لقاءات واتصالات وصداقات مع الكثير من العلماء والمفكرين، ورجال الأدب في سوريا، وقد وصف إقامته بدمشق قائلا: " **ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلا، فأشهد صادقا أنها الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر، في عمري الغامر**".[2]

---

[1] جميل صليبا. مقتطفات من مذكرات الدكتور: جميل صليبا عن الشيخ الإبراهيمي. مجلة الثقافة. الجزائر. العدد 87. ماي/جوان 1985م. ص 55.

[2] البشير الإبراهيمي. الآثار. ج 3. المصدر السابق. ص 566.

وأثناء إقامته في دمشق التي إستمرت حتى 1920 م، رفض الشيخ الإبراهيمي خدمة حاكم سوريا جمال باشا [1]، والذي طلب منه أن يخدم سياسته بلسانه وقلمه، لسبب سياسته الإستبدادية والقمعية وإحتقاره للعرب.

والظاهر أن الإبراهيمي شارك في النشاط السياسي، وكانت له مواقف وأراء فيما يخص الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها سوريا أنذاك، من خلال إنضمامه إلى كثير من النوادي والجمعيات السورية التي كانت تهدف إلى توحيد العرب والمسلمين وعلى سبيل المثال "النادي العربي" الذي أسسه الدكتور عبد الرحمن سهبندر، وهو أحد قادة وزعماء الثورة العربية في النصف الأول من القرن العشرين (ق 20م).

كما أيد الثورة العربية والأمير فيصل بن الحسين[2]، الذي دخل دمشق سنة 1918م مع الإنجليز بعد طرد الأتراك.[3]

ولما إتصل الأمير فيصل بالإمام الأبراهيمي، وطلب منه الرجوع إلى المدينة ليتولى إدارة المعارف بها – التعليم –، إلا أن الإبراهيمي لم يكن راضيا عن سياسة أبيه[4]، فأخذ يطاوله في

[1] جمال باشا: عاش ما بين (1872 م – 1922 م). ولد بإسطنبول. عينته الدولة العثمانية واليا على سوريا عام1913م، تظاهر في البداية بإحياء الثراث العربي. واللغة العربية لكي يخفي معاداته للعرب. إستبدل الكتائب العربية الموجودة في الجيش التركي من دمشق إلى الأناضول بكتائب تركيا. كان مديرا لفرع الجواسيس في جمعية الإتحاد والترقي. وقام بسلسلة من الإعدامات ضد المعارضين للحكم التركي بين (1915 م – 1916 م). في دمشق وبيروت. بتهمة التعاون مع الإنجليز والشريف حسين. للمزيد أنظر زهية قدورة. تاريخ العرب الحديث. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. 1975 م. ص 240.

[2] هو الأمير فيصل بن الحسين بن علي بن الحسين الهاشمي. ولد بالطائف سنة 1883 م. رحل مع والده إلى الأسنانة سنة 1891 م. وقد نائب عن مدينة جدة في مجلس النواب العثماني.ثم عين قائدا للجيش العربي المحارب في فلسطين إلى جانب الإنجليز لطرد الأتراك سنة 1916 م. دخل سوريا سنة 1918م. شارك في مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الأولى. عين ملكا على سوريا سنة 1920 م. وبعد إحتلالها من طرف القوات الفرنسية فر إلى أوروبا. ثم أصبح ملكا على العراق سنة 1921 م. توفي بسويسرا سنة 1933 م. أنظر. الزركلي. الأعلام. ج5. ص 373.

[3] محمد مهداوي. المرجع السابق. ص 41. وأيضا عمار هلال. العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1995 م. ص 345.

[4] البشير الإبراهيمي. في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 93.

ذلك، كما كانت له مشاركة في تعريب الإدارة وتكوين الإطارات الحكومية للدولة العربية الناشئة، وكلف أيضا بإلقاء المحاضرات بالنادي العربي لطلاب التعليم العالي. [1]

وبعد أن أدرك الإبراهيمي أن الظروف مناسبة قرر أن يتزوج، فأختار فتاة تونسية من أصول تركية نزحت عائلتها إلى المدينة المنورة بعد الإحتلال الفرنسي لتونس سنة 1881 م، ثم إلى دمشق بعد قيام الثورة العر بية بقيادة الشريف حسين، أنجب منها ولد له، لكن قضاء الله أخده منه كما أخد والده وحماه وحماته [2]، وقد دفن الجميع بمقبرة الدحداح بدمشق والتي خاطبها يقول: " **ويا تربة الدحداح، بوركت من تربة، لا يذوق فيها الغريب مرارة الغربة، ولا زلت مسقطا لرحمات الله، إنني أودعت ثراك أعز الناس علي: أبي وإبني وجد أولادي، فاحفظي الودائع إلى يوم تجزي الصنائع** "[3]

وأحمد وبنتين. [4]

ولما حلت سنة 1920 م، إقتنع الإبراهيمي بالعودة إلى أرض أباءه وعشيرته، بعد غياب دام قرابة تسع سنوات مودعا دمشق التي عاش فيها أحلى أيامه، وأروى فيها ضمأه العلمي والمعرفي، وفي هذا الصدد قال: " **ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع، وسقت وأفرغت فيها وما سقت، وخصت بالمثقلات مجامع الأحباب، وأندية الأصحاب من الصالحية الجسر والنير بين المزة والربوة**[5] **، فكم كانت فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب، ونتجاذب أطراف الحديث العلمية، على ود أصفى من بردى تصفق بالرحيق المسلسل، ووفاء أثبت من آواسي قاسيون**[6]**، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات، لا توبن في مجالسنا حرمة، ولا يكلم بعرض، ولا**

---

[1] محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين. ج1 . مطبعة دحلب. الجزائر. 1985 م. ص 412.

[2] محمد مهداوي. المرجع السابق، ص ص 42 – 43.

[3] البشير الإبراه،مي. الآثار. ج 3. المصدر السابق. ص 567.

[4] محمد مهداوي، المرجع السابق. ص 43.

[5] شوارع دمشق.

[6] جبل في دمشق.

يقارف مأثم، وإنما هو الأدب، بلا جدب، نهصر أفنانه، والعلم، بلا ظلم، نطلق عنانه. والفن، بلا ظن، نروق دنانه، والنادرة بلا بادرة، نتلقفها. والنكتة، بلا سكتة، نتخطفها".[1]

والحق ان يوم الوداع كان قاسيا على الإبراهيمي، وقد وصفه بعد ثلاثين سنة قائلا: " **ويا يوم الوداع ما أقساك، لا أنسى بعد ثلاثين سنة، ولن أنسى ما حييت مواقف الوداع بمحطة البرامكة، والأستاذ الخضر يكفكف العبرات، وتلامذتي الأوفياء: جميل صليبا، وبديع المؤيد، ونسيب السكري، والأيوبي، يقدمون إلي بخطوطهم كلمات في ورقات، ما زلت متحفظا بها إحتفاظ الشحيح بماله ".**[2]

إن قول الإبراهيمي هذا يوحي بمدى تعلقه الكبير بدمشق خاصة وبالبيئة الشامية عامة، لأن وجوده فيها غير مجرى حياته وشخصيته رأسا على عقب، وفتح أمامه أفاقا ومجالات لم يألفها في الجزائر، ولم يجدها في المدينة المنورة.

ومما سبق نستنتج من أنه بالرغم من رحلته إلى الشام كانت مرغمة فقد كانت محطة رئيسية في تحول حياة الإبراهيمي، إذ إكتشفه الدمشقيون بمجرد نزوله بعاصمتهم التاريخية، فسارعوا إلى مجالسته وفتح المجال أمامه لممارسة وظيفته الطبيعية كما كان يسميها أولا وهي التعليم، رغم أن دمشق في تلك الحقبة كانت تحفل بكبار الأساتذة والمشايخ والمفكرين والأدباء ممن لا يسهل أمر منافسته فسجله بنجاح كبير رغم صغر سنه وقلة خبرته إسمه في النهضة التعليمية في سوريا عموما ودمشق خصوصا.

وتجاوز ذلك إلى المشاركة في الحياة السياسية، والإنخراط في النوادي التي كانت تهتمك بالقضايا السياسية، وبإبداء رأيه ومواقفه بجرأة وبشجاعة كبيرتين في الأحداث والتطورات التي عرفتها سوريا خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، رغم خطورة الأمر، خاصة عند نهاية الحكم التركي بالمنطقة، وما سلسلة الإعدامات التي قام بها حاكم سوريا جمال باشا خير دليل على ذلك.

---

[1] البشير الإبراهيمي. في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 94.

[2] البشير الإبراهيمي. الآثار. ج 3. المصدر السابق. ص ص 567 – 568.

3- عودته إلى الجزائر سنة 1920 م:

عاد الإبراهيمي إلى أرض وطنه سنة 1920 م، وقد عاصر قدومه الكثير من العلماء أيضا منهم الطيب العقبي الذي رجع من مكة المكرمة، والمولود الحافظي خريج جامع الأزهر، وعبد الحميد بن باديس الذي سبقهما إلى العودة من بلاد الحجاز، وربض للإصلاح بقسنطينة، وذلك بعد أن أقام تسع سنوات في المشرق العربي (1911 م – 1920م)، وهي المدة التي إستغلها في التحصيل العلمي والمعرفي في شتى مجالات العلم والمعرفة، وفي الإتصالات بالرجال والمشايخ والأدباء والمفكرين، وحركات الإصلاح، التي كان يحفل بها المشرق العربي في تلك الفترة التاريخية من تواجد الإبراهيمي هناك [1]، وقد كانت هذه الكوكبة من العلماء قد تغذت بفكر وثقافة المشرق العربي وتفهمت أبعاد السلفية الصحيحة التي نبتت في تلك البقاع.

كما لمس الإبراهيمي خلال رحلته ثمار النهضة العربية الإسلامية التي بذر بذورها الطيبة زعماء وقادة مصلحين أمثال: محمد بن عبد الوهاب [2]، والسيد جمال الدين الأفغاني [3]، والشيخ محمد عبده [4]، وأخذ تلك البذور بالسقي والعناية من طرف: رشيد رضا، وشكيب أرسلان [5]، وغيرهم، بغرض إخراج المشرق العربي من سباته العميق الذي أطال أمده.

---

[1] سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية. ج 2. ص 14.

[2] هو محمد بن عبد الوهاب (1694م – 1765م). ولد بالعونين بإقليم عارض (نجد حنبلي المذهب. أكمل دراسته بالبصرة. إشتهر بالتقوة والصلاح وصدق التدين. قام بحركة إصلاحية سلفية بالجزيرة العربية. عرفت بالحركة الوهابية. ناصره إبن سعود في نجد. من آثاره: رسالة التوحيد. أنظر: أحمد أمين. زعماء الإصلاح في العصر الحديث. مكتبة النهضة المصرية 1965م.

[3] جمال الدين الأفغاني: ولد سنة 1838م في سعد أباد بأفغانستان. قام برحلات كثيرة إلى الشرق والغرب مما أكسبته ثقافة واسعة. وإشتهر بأسلوبه الخطابي البارع. دعا إلى الوحدة الإسلامية. توفي 1897م. أنظر: أحمد أمين. المرجع نفسه.

[4] محمد عبده: ولد سنة 1849م في دلتا مصر. عمل أستاذا بجامع الأزهر. وكان لقاءه بجمال الدين الأفغاني نقطة حاسمة في حياته. إذ جدبه إليه. ليشترك معا في حركة الإصلاح الديني والإجتماعي. وأصدر معا جريدة " العروة الوثقى ". له عدة مؤلفات " رسالة التوحيد "، وزار الجزائر 1903م. وتوفي سنة .1905 أنظر: أحمد أمين. المرجع نفسه.

[5] شكيب أرسلان: عاش (1865م – 1945م). رجل فكر وأدب وصحافة. من أصل لبناني. أصبح رئيسا للبعثة المؤقتة السورية – اللبنانية في جنيف سنة 1921م. كانت له تأثيرات كبيرة على النخبة الجزائرية. ومن أبرزها: مصالي الحاج. أنظر: المنجد في الأدب والعلوم. ص

كما مكنته هذه الإقامة من الحصول على معرفة واسعة بالأدب العربي والحضارات الإسلامية[1]، ومن التشبع بالثقافة والمثل الشرقية.[2]

فعاد إلى الجزائر بعد أن أدرك أن الشروط الضرورية للعمل أصبحت متوفرة، وتتمثل في تلك اليقضة الفكرية والسياسية التي بدأت تبرز في الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. حسب ما بلغه من أخبار: "وجاءتني من الجزائر أخبار متواترة تفيد أن الجو فيها أصبح صالحا للعمل المثمر في العلم والسياسة، فعقدت العزم على الوجود إلى الجزائر على نية القيام بعمل علمي يعقبه عمل سياسي"[3]، ويتضح من ذلك أن الإبراهيمي كان يخطط لأن يقوم بنشاط مزدوج: الأول تعليمي تربوي، والثاني سياسي.

وفعلا عاد الإبراهيمي إلى وطنه بعد أن إكتمل تعليمه وإستقامة شخصيته، وأصبحت الفرصة سانحة من أجل خدمة بلده والدفاع عنه، بعد أن سبقه إليها الشيخ عبد الحميد بن باديس الغارس الأول لبذور النهضة العربية والإسلامية في الجزائر، وسنرى أن الإبراهيمي سيكون الساعد الأيمن لإبن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية، ونائبه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وخليفته في كرسي الرئاسة بعد وفاته في 16 أفريل 1940 م.

نستنتج مما تقدم، أن الشيخ الإبراهيمي كان له الحظ الوافر حينما نشأ في كنف عائلة إشتهرت بالعلم والمعرفة، إذ سمح له ذلك بتلقي مختلف العلوم الدينية والدنيوية في فترة وجيزة، وسنه لم يتجاوز الرابع عشرة بعد، ولقد كان لهذه العائلة الفضل الكبير في المحافظة على التعليم التقليدي الذي يرتكز على تدريس اللغة العربية وعلومها، وتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، إضافة إلى الفقه والأصول، والحديث والسيرة، في خضم الإحتلال الفرنسي الذي أراد تضييق الخناق على التعليم بكل الوسائل والطرق، لأن السلطات الفرنسية كانت ترى فيه أفضل إطار يحفظ المقومات الشخصية الجزائرية من الإنسلاخ والمحو، وهي العروبة والإسلام وأخلاقه السامية، ورغم ذلك

---

[1] سعد الله. المرجع السابق. ص 14 وص 17.

[2] شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير. الدار التونسية للنشر. تونس. 1976م. ص 135.

[3] البشير الإبراهيمي. في قلب المعركة. المصدر السابق. ص 94.

ظلت العائلات الجزائرية الكبرى خاصة في الريف تمد المجتمع الجزائري بالإطارات التي يحتاج إليها خاصة في الميدان الديني.

ونظرا لشغف الإبراهيمي بالعلم شد الرحال إلى المراكز العلمية في المشرق العربي سنة 1911 م، وتعتبر هذه المرحلة الأهم في حياته إذ فتحت أمامه أبواب الإطلاع والإستزادة من مختلف العلوم، والإحتكاك بحياة الشعوب العربية والإسلامية في المشرق، بعيدا عن نظر السلطات الفرنسية.

ولم يكن سفره إلى المشرق ذو أهمية في تحصيل الإبراهيمي العلمي والمعرفي فحسب، بل مكنه من إكتساب ثقافة سياسية معتبرة، حصل عليها من خلال مشاركته في العديد من النشاطات السياسية، وإبداء مواقفه من الأحداث السياسية التي عرفتها سوريا مثلا.

ولعل ما يفسر مدى إيجابية سفر الإبراهيمي إلى المشرق هو عودته إلى الجزائر، وهو يحمل مشروعا تربويا وإصلاحيا وسياسيا طموحا إتفق عليه مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، قد كان له دورا كبيرا في تلك النهضة منذ بدايتها بوضع اللبنة الأولى، كما سنتطرق إليه في الفصل الموالي.

الفصل الثاني

من إسهامات الإبراهيمي الإصلاحية في الجزائر:

1- نشاط الإبراهيمي قبل ميلاد الجمعية (1920- 1931 م).

2- الإبراهيمي وتأسيس الجمعية 1931 م.

3- مشروع الإصلاح عند الإبراهيمي.

3-1- في الميدان الديني.

3-2- في ميدان التربية والتعليم.

1- نشاط الإبراهيمي قبل ميلاد الجمعية: (1920 م – 1931 م):

إلتقى الشيخ الإبراهيمي وهو في طريقه إلى الجزائر بالشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1920 م، وهو اللقاء الثاني بعد لقاؤهما بالمدينة المنورة سنة 1913م، ولما حل بأرض الوطن كان إبن باديس هو أول من زاره بمدينة قسنطينة قبل أن يرى أهله.[1]

وفي هذه المدينة – قسنطينة – مبعث النهضة الوطنية [2]، شاهد الإبراهيمي بعينه ثمار الحركة التعليمية التي قادها ابن باديس مند رجوعه إلى الجزائر سنة 1913 م، وقد اعتبرها الركيزة الأساسية للنهضة العربية والإسلامية بالجزائر، فبالرغم من المدة القصيرة، ووطأة الإستعمار الفرنسي، وضعف الحال، استطاع ابن باديس أن يكون شباب يتقن اللغة العربية وفنونها، ويقبل على كتابة المقالات الصحفية بحماس شديد، ويحاضر ويخاطب من فوق المناظر في شتى المجالات [3].

والظاهر أن الإبراهيمي قد اعترف بكل صراحة بعمل ابن باديس النهضوي، وبفضل السابقين له في وضع اللبنة الأولى لمسار الحركة الإصلاحية عامة والحركة الوطنية الجزائرية بصورة خاصة، بواسطة نشر التعليم والثقافة بين أوساط الشباب، وتوعيتهم بواجباتهم نحو الأمة في ظل الاحتلال الفرنسي الذي استهدف مقومات الشخصية الجزائرية بضرب اللغة والدين في الصميم.

وبعد أن أقام مدة قصيرة في بلدته في سطيف، بدأ الإبراهيمي نشاطه فى زاوية ابن علي الشريف بناحية آقبو[4]، حيث أسند إليه مهمة التعليم وإدارة شؤون الزاوية، لكن استقراره بها لم يدم طويلا، بسبب سوء تفاهم وقع بينه وبين شيخها حول المنهج المتبع في إصلاح هذه الزاوية وإدارتها، فتم فصله عن العمل بها بمقتضى حكم أصدرته إحدى المحاكم الفرنسية بالمنطقة [5]، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على مدى تأثير الإدارة الإستعمارية على بعض الزوايا.

---

[1] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 116.

[2] سعد الله، مرجع سابق، ج 3، ص 46.

[3] البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ص 216، 217.

[4] هي حاليا بلدية إدارية تابعة لولاية بجاية.

[5] عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920م – 1936 م)، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 م، ص 223.

فعاد إلى مسقط رأسه – سطيف –، وما إن حل بها حتى سارعت السلطات الفرنسية لتعرض عليه منصب الإفتاء في المدينة، ولعل أن الهدف من وراء ذلك هو إستدراجه للعمل لصالح الدوائر الحكومية حتى يكون تحت رقابتها، لأنها أدركت مدى مكانة الشيخ العلمية والفكرية، إلا أن الإبراهيمي رفض ذلك، وفضل الشروع في بداية العمل مع رفيقه الشيخ إبن باديس وهو النشاط التربوي والتعليمي، فأول عمل قام به هو تأسيس مدرسة بقريته – رأس الواد –، وأخرى بمدينة سطيف، وقد كان الإبراهيمي يرمي من وراء ذلك تكوين فئة من الشباب تكوينا خاصا، وتمرينهم على إلقاء الخطب، وكتابة المقالات والأشعار، مع تزويدهم بالعلم الضروري، وبقدر كافي من الوعي السياسي والوطني غير المباشر، حتى يستطيعون مخاطبة وتوجيه وتوعية الجماهير [1].

وأسس أيضا في مدينة سطيف أول جمعية دينية بها وجامعا لإقامة الصلاة، وإلقاء الدروس[2]، ويتضح أن الشيخ الإبراهيمي من خلال تركيزه على بناء المدارس والمساجد في الجزائر بعد عودته سنة 1920 م، قد استفاد كثيرا من الحركة الإصلاحية التي لمس أثرها طوال سفره إلى المشرق العربي.

كما باشر عقد الندوات العلمية للطلبة، وإلقاء الدروس الدينية لمجموعة صغيرة من الحضور، ثم إلقاء الدروس المنظمة للتلامذة الملازمين بعد أن أصبحت الظروف مواتية، والمحاضرات ذات المواضيع العلمية والأخلاقية والأدبية والتاريخية

على عامة الناس في المدن والقرى على حد سواء، ودروس الوعظ والإرشاد أيام الجمع في مناطق مختلفة، إضافة إلى الدروس الليلية المخصصة للكبار فقط[3].

والحق أن الإبراهيمي كان يعتريه من حين لآخر بعض الفتور في نشاطه، وذلك لخوفه من المكائد والدسائس التي كانت تدبرها ضده السلطات الفرنسية، وعن طريق أعوانها في المنطقة، فقد كانت تترصد حركاته وتراقبها مند حلوله بالوطن.

---

[1] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 217.

[2] محمد خير الدين: مذكرات، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون تاريخ، ص 101.

[3] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 217.

والظاهر أن الشرطة كانت تعد التقارير حوله يوميا، وتضيق الخناق على زواره من تونس والحجاز، ومما زاد الطين بلة هو رفضه لمنصب الإفتاء الذي عرضته عليه، ونفس السلوك كانت تقوم به مع رفيقه ابن باديس[1]، إلا أن الإبراهيمي أصر على الاستمرار في العمل خارج الدوائر الاستعمارية مع توخي الحيطة والحذر، ولذلك راح يتظاهر بممارسة التجارة واعتياده الأسواق الشعبية، للتمويه على العيون التي تترصده حيثما حل وتنقل من جهة، ولإعالة أفراد أسرته من جهة أخرى.

والشيء الذي أثر على الإبراهيمي زيادة على الرقابة الاستعمارية هو اليأس في بداية حركته الإصلاحية هذه، بسبب عدم تهافت وإقبال سكان سطيف وقراها على العلم والمعرفة، إذا كانت المنطقة تعرف نسبة كبيرة من الأمية[2]، نتيجة سياسة التجهيل التي مارستها فرنسا على الأهالي مند بداية الإحتلال، بالإضافة إلى نقص المنطقة من المؤسسات التربوية التعليمية ولا سيما المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية المؤهلة.

وقد كانت فلسفة الشيخ الإبراهيمي في تكوين النشئ تقوم على تربيته على الأفكار الصحيحة، والأخلاق الحسنة، وعدم التوسع له في العلم[3]، ليس معنى هذا أنه كان يرفض الحضارة المادية والعلوم الدنيوية، التي ترقى بها المجتمعات إلى مصاف الدول والشعوب المتقدمة، وإنما كان يرى ضرورة توفر الجانب الروحي في أبناء الشعب الجزائري، لأن ذلك يكسبهم تمسكا وتشبعا بشخصيتهم الوطنية، ويمنعهم من الذوبان في الأبوة الفرنسية.

ومن أجل تحقيق ذلك ظل الشيخ الإبراهيمي على اتصال دائم ومكثف، ومنظم مع الشيخ ابن باديس إذ كانا يتبادلان اللقاءات والزيارات مرة كل أسبوع أوكل شهر على أقصى تقدير في سطيف أو قسنطينة، يتباحثان ويدارسان فيها أحوال الشعب الجزائري، ويضعان الخطط والبرامج لمستقبل الأمة الجزائرية بحكمة وتدبر[4]، ومنه نستنتج أن كلا من الإبراهيمي وإبن باديس كانا يتريثان

---

[1] الإبراهيمي، في قلب المعركة، مصدر سابق، ص ص 217 –218.

[2] بعزيز بن عمر: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقيد الجزائر الكبرى، مجلة العربي، الكويت، 1377 هـ، ص 126

[3] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 4، المصدر السابق، ص 343.

[4] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 218.

لتحقيق أهدافهما، ويحرصان على التدرج في العمل ولو بخطى بطيئة، في ظل الأوضاع أنذاك التي تتطلب العمل المرحلي لكي يثمر بالنجاح.

وفي سنة1924 م زار الشيخ إبن باديس الشيخ الإبراهيمي وإقترح على الإبراهيمي فكرة تأسيس هيئة تحت إسم " **جمعية العلماء المسلمين** "، ويكون مقرها بمدينة قسنطينة، نظرا لمركزها الثقافي والعلمي الهام، وقد وافق الإبراهيمي على الفكرة بعد أن راح إبن باديس يعدد له محاسنها وفوائدها، رغم أنه كان يرى أن الوقت لم يحن بعد لإنجاز هذا المشروع الكبير، خشية أن يضعف من إرادة وعزيمة إبن باديس، وقد كلفه هذا الأخير بوضع قانونها الأساسي.

فوضعه في ليلة واحدة وعرض عليه فاستحسنه، لكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح، لأن الظروف لم تكن مناسبة كما إعتقد الإبراهيمي فعلا.[1] لكون المعركة الإصلاحية مازالت في مهدها، ولم ترق بعد إلى مستوى النضج، حتى يتم تجميع علماء الجزائر في مثل هذا التنظيم الذي أراد إبن باديس إنشائه وهو جمعية الإخاء العلمي، والتي يدل إسمها على أنها جمعية ثقافية وعلمية، تهدف بالنهوض بالمجتمع الجزائري من وضعه المزري.

وبالرغم من فشل مشروع إنشاء جمعية الإخاء العلمي، وذلك لعدم نضجها حسب تعبير الإبراهيمي[2]، إلا أن الشيخ الإبراهيمي واصل جهوده التربوية والتعليمية بمعية الشيخ إبن باديس على الطريقة التي إتفقا عليها في المدينة المنورة، وقد توجت هذه التجربة الحكيمة بتكوين عدد معتبر من التلاميذ والطلبة، الذين يحلمون أفكارهما وتصوراتهما مسلحين بإتقان الكتابة والخطابة، كما استطاعوا تضامن الآلاف من الأنصار الجزائريين وإلتفافهم حول المشروع الإصلاحي الناشئ [3]، يربطهم في ذلك معاداة الإستعمار الغاشم والغضب عليه، الذي أوشك على محو الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

ولعل فشل الإبراهيمي وابن باديس في تكوين جمعية الإخاء العلمي هو الذي بابن باديس إلى التفكير من جديد في توسيع نطاق العمل الإصلاحي وتخليه عن الإقليمية في أسلوب العمل، ففي

---

[1] سعد الله، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 218.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار الكتاب، الجزائر، د. ت، د. ط، ص 47.

[3] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 4، المصدر السابق، ص 343.

سنة 1928م، إستدعى الميلي، والعقبي، وسعيد الزاهري، والإبراهيمي، وخير الدين إلى قسنطينة، حيث لبى رجال الإصلاح دعوة ابن باديس، وعقد اجتماع في مكتب إدارة جريدة الشهاب، وبعد المناقشة بين المجتمعين والتقريب في وجهات النظر بينهم خرجوا بضرورة جمع الشمل وتأسيس جمعية إصلاحية، وسمي هذا اللقاء بإجتماع الرواد [1].

كما تردد الإبراهيمي على تونس من حين لآخر، لزيارة أصاهره الذين كانوا يقيمون فيها، وأصدقائه الذين كانوا ينشطون هنالك في حقل الإصلاح والأدب [2]، وفضلا عن ذلك قام الإبراهيمي بتحرير عدد قليل من المقالات الصحفية في مجلة الشهاب إبتداءا من سنة 1929م[3]، تناول فيها موضوعات متنوعة، وعلى سبيل المثال: التعاون الإجتماعي [4]، والذي أكد فيه على أن التعاون له فوائد كثيرة على الشعوب والمجتمعات التي تتخذه وسيلة في حياتها، هذه الفضيلة التي افتقدها المجتمع الجزائري مع مرور الزمن، بسبب سياسة التفرقة والتشتت التي طبقتها السلطات الفرنسية في المجال الإجتماعي من أجل تفرقة فئات المجتمع الجزائري عن بعضها البعض، وتستغل ذلك في بسط السيطرة وإبقاء تحكمها في الأوضاع، ومنع أية عمل وطني ضدها.

ولما حلت سنة 1930 م فهي تحمل ذكرى أليمة في نفوس الجزائريين، ذكرى مرور قرن بأكمله على اغتصاب المستعمرين الغلاة لأرض الجزائر، حيث خصصت لها فرنسا احتفالات ضخمة، تظهر من خلالها مدى عظمة فرنسا وسيطرتها على الجزائر أو " المستعمرة الهادئة " [5]. كما كانت تصفها دائما، وقد حضر هذه الاحتفالات رئيس الجمهورية الفرنسية شخصيا– قاستون دو ميرقو– [6] **Gaston Doumergue**، وقد دعى إليها عدد كبير من رجال الدين المسيحيين من مختلف الدول المسيحية في العالم، ليشهدوا حسب رأيهم غروب شمس الإسلام في الجزائر كما غربت في الأندلس في الماضي القريب.

---

[1] محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، ص 83.

[2] نفسه، ص 10.

[3] نفسه، ص 42.

[4] نفسه، ص 50.

[5] سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 363.

[6] إبن العقون، المصدر السابق، ج 1، ص 305.

وقد ساد هذا الإحتفال في الجزائر العنصرية الحاقدة والإمعان في إهانة ودل الجزائريين، وإثارة عواطفهم الوطنية والدينية [1]، وإن ذلك يدل على طبيعة فرنسا الإستعمارية في فرض وتجسيد فكرة الجزائر الفرنسية.

وقد خصص لهذه الإحتفالات غلاف مالي ضخم من الخزينة الفرنسية تجاوز 120 مليون فرنك فرنسي قديم، على أن تستمر من بداية جانفي 1930 م إلى غاية 05 جويلية 1930 م، وهو تاريخ الإحتلال [2].

وقد كانت الإحتفالات تتم في كل مدينة جزائرية حسب تاريخ إحتلالها، زيادة في إستفزاز وإثارة عواطف الجزائريين [3].

وقد بلغت هذه الإحتفالات المئوية دروتها ليلة05 جويلية 1930م، رغم معارضة النواب المسلمين لتجديدها، وظهر إستياء كبير أبداه عدد هائل من الجزائريين، وحتى المعجبين منهم بالحضارة الفرنسية [4]، ولكن آمال فرنسا خابت بسبب نشاط العلماء ومنهم الإبراهيمي وإبن باديس اللذان كانا بالمرصاد، إذ إستطاعا أن يفسدا على فرنسا فرحتها المئوية هذه التي انتظرتها طويلا، وهذا بفضل دعايتها السرية الموجهة إلى الجزائريين قصد مقاطعة الإحتفالات، وعدم الإقبال على مختلف النشاطات والمهرجانات والتظاهرات التي كانت مبرمجة في كل أنحاء الوطن، وقد كانت الإستجابة كبيرة من طرف فئة عريضة من الجزائريين الذين لبوا الدعوة.[5]

إن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الشعب الجزائري قد بدأ يلتف حول المشروع الإصلاحي، الذي يعود الفضل في وضع أسسه الأولى الشيخ ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

---

[1] إبن العقون، المصدر السابق، ج 1، ص 357.

[2] سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 324.

[3] إبن العقون، المصدر نفسه، ص 357.

[4] نفسه، ص 306.

[5] سعد الله، في قلب المعركة، ص 218.

حيث داع صيتها نفي مختلف أنحاء القطر بفضل التلامذة والطلبة الذين تخرجوا من المدارس التي أنشأها.

إن هذه الهزيمة التي منيت بها الإحتفالات القرنية الفرنسية في الجزائر، خير دليل على نمو الوعي لدى الشعب الجزائري، وتسرب الأفكار الإصلاحية إليه، إذ حدث عكس ما كانت فرنسا تتوقعه من تلك الإحتفالات.

ومن خلال ما ذكرناه على نشاط الإبراهيمي بعد عودته إلى الجزائر 1920 م – 1931 م تخلص إلى أن ذلك العقد من الزمن كان في الواقع الأرضية الحقيقية لنشاط ونضال الإبراهيمي في الميدان الإصلاحي، إذ وضع مع رفيقه اللبنات الأولى للمشروع الإصلاحي الذي تم الإتفاق عليه مند سبع سنوات خارج الوطن، والذي يتركز على تربية النشئ الصحيحة ولو مع قليل من العلم، إدراكا منهما إستحالة مقاومة الإستعمار الفرنسي الذي يملك وسائل التسلط الروحي والمادي، بشعب كان غارقا في الجهل والأمية، والخرافات والبدع التي كانت تنشرها الطرق الصوفية المنحرفة، والتي ملك شيوخها نفوس الكثير من الجزائريين.

ورغم الصعوبة التي تلقاها الإبراهيمي بادئ الأمر بسبب ظروف الإستعمار، إلا أنه إستطاع مع مرور الوقت التعريف بنفسه وبمشروعه التربوي ثانية عن طريق إنشاء المدارس والجوامع الحرة، وإلقاء المحاضرات والخطب والدروس الليلة.

ورغم النقص الشديد للمعلومات المتعلقة بنشاط الإبراهيمي في هذه الفترة، إلا أن المتوفر منها يؤكد نجاعة منهجية الإبراهيمي وتدرجها بالموازاة مع نشاط إبن باديس في مدينة قسنطينة، فكانت هذه الحركة المزدوجة – الباديسية والإبراهيمية – اللبنة الأولى لإرساء قواعد الحركة الإصلاحية التي عمت أنحاء الوطن، وبلغت قمتها في عقد الثلاثينات، وهو ما سنعالجه فيما بعد.

2- الإبراهيمي وتأسيس جمعية العلماء: 1931:

لقد ظلت جهود العلماء ورجال الإصلاح في الفترة (1920 م-1931م) تتصف بالعمل الفردي، وتفتقر إلى التنظيم والشمول القائم على تحديد الأهداف الكبرى والوسائل المعتمدة لتحقيقها، باستثناء التنسيق الذي كان بين الشيخ ابن باديس والبشير الإبراهيمي، وهذا لكون الفكرة الإصلاحية لم تخرج إلى حيز التنفيذ.

ورغم ذلك تواصلت الجهود، بخطى ثابتة، وإلى أن رست قواعدها، ورأى رجالها أن الوقت حان لتتويج تلك الجهود بتجميع العلماء في إطار عمل قانوني وجماعي منظم، على مستوى القطر الوطني كله.

فتم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 م بنادي الترقي[1] بمدينة الجزائر العاصمة في ظرف أصبحت فيه الحاجة ماسة لتجميع أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر[2]، واشتداد السياسة الإستعمارية القائمة على محاولات تحطيم مقومات الشعب الجزائري، لتحقيق حلم الجزائر اللاتينية[3].

وبتكليف من الشيخ ابن باديس قام الإبراهيمي بوضع قانونها الأساسي بشكل مختصر [4]، وفي أثناء الجلسة الأولى، طلب أعضاء المجلس الإداري وعددهم ثلاثة عشر عضوا [5]لجمعية العلماء من الإبراهيمي أن يعد لائحة داخلية تشرح أعمالها، فأعدها بسرعة، وعرضها على المجلس، وتمت الموافقة عليها بالإجماع.

---

[1] نادي الترقي: هو عبارة عن مركز أفتتح 1927 م ببطحاء الحكومة في الجزائر، أنشأه جماعة من أعيان وأغنياء الجزائر المسلمين، بغرض بحث ومناقشة الأوضاع التي آل إليها المجتمع الجزائري بين رواد النهضة وعلمائها، أنظر: جريدة الشهاب، العدد 106، قسنطينة، 21 جويلية 1927، ص 16.

[2] أبوا القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 97.

[3] Charles Rebert Ageron: Les politique Coloniales au maghreb, presses universitaires de France, paris, 1972, p 156.

[4] ذكر أحمد توفيق المدني في كتابه: حياة كفاح، ج 2، بأنه هو من كلف شخصيا من طرف أعضاء نادي الترقي بالعاصمة بوضع قانون أساسي بسيط للجمعية.

[5] وهم: إبن باديس، الإبراهيمي، العقبي، العمودي، الميلي، بيوض، الحافضي، بن الشريف، المهادي، اليجوري، الطرابلسي، القالمي، الورتلاني.

وهو ما جعل ابن باديس يشيد به كثيرا ومما قال في نذكر: "**عجبت لشعب أنجب مثل فلان – يقصد الإبراهيمي – أن يضل في دين، أو يخزي في دنيا**".[1] وهو ما يعكس مدى إعجاب ابن باديس بالإبراهيمي.

وقد تمكن العلماء بعد خمسة عشر يوما من طلب الإعتماد من إنتزاع قرار الموافقة على تأسيس الجمعية من الإدارة الفرنسية، رغم أنها كانت تمتلك عنهم معلومات مند سنة 1925 م تحذرها من خطر نشاطهم، وعلى رأسهم الإبراهيمي وإبن باديس [2]، وذلك لما جاء في قانونها الأساسي على أنها جمعية دينية بحتة كما هو الأمر بالنسبة للجمعية التوفيقية والراشدية وغيرها.

وبتأسيس جمعية العلماء المسلمين تبدأ المقاومة الفعلية للشيخ البشير الإبراهيمي وزملائه المصلحين في تحقيق الأهداف المرجوة منها وهي:

الرجوع إلى المنابع الصافية للإسلام والمتمثلة في الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح، والقضاء على الجمود الفكري والبدع والخرافات التي كانت تنشرها الطرق الصوفية المنحرفة، ومحاربة الجهل والأمية والظلم والإستغلال.[3]

وقد إتخذت جمعية العلماء من التربية والتعليم وسيلة في مقاومتها للإستعمار الفرنسي البغيض، لإدراك العلماء انها الطريقة المثلى لمواجهته، والتي ينتظر منها أن تثمر جيلا جديدا من الجزائريين، يحافظ ويتمسك بعروبته وإسلامه ووطنيته، وهو الشرط الضروري لتحرره من الإستعمار الفرنسي.

وبالرغم من رفض الإبراهيمي التعاون مع السلطات الفرنسية في بداية العشرينات، إلا أنها لم تيأس من إستقطابه، وإستدراجه، رغم إدراكها شبه إستحالة ذلك، فقد توسطت له عن طريق شيخ زاوية آقبو المذكورة آنفا السيد بن علي الشريف الذي كان يحظى بمكانة كبيرة لديها، من أجل أن

---

[1] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 220.

[2] عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 م– 1945 م، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996 م، ص 122.

[3] نفسه، ص 120.

يتولى منصب الإفتاء في مدينة بجاية، إلا أنه أبى، وبقي متمسكا بموقفه الرافض، مفضلا الإحتفاظ بمنصبه كنائب لرئيس جمعية العلماء [1].

وإنطلاقا من ذلك، ضاعفت السلطات الإستعمارية رقابتها على تحركات وسكنات العلماء، وعلى سبيل المثال لا الحصر، إرسال الحاكم العام رسالة إلى عاملي قسنطينة ووهران مؤرخة في 08 أوت 1932، تضمنت أمرا بضرورة مراقبتها لنشاط الإبراهيمي وإبن باديس، وملاحقتها بالجواسيس والعيون، وجمع الأخبار عنهما حيثما نزلا [2]، ونستنتج من هذا أن أمر الإبراهيمي وإبن باديس لم يصبح من إهتمامات الإدارة المحلية، بل أصبح من إنشغالات السلطات بالولاية العامة.

والحق أن جمعية العلماء ما فتئت تحققه من نجاح كبير، بإنتشارها في مختلف أنحاء القطر الجزائري عن طريق فتح فروع والشعب المحلية، وبناء المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية، ولا سيما المجلس الإداري للجمعية قد إنتدب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في أواخر سنة 1932 م، ليشرف على الحركة الإصلاحية في القطاع الوهراني[3]، متخذا تلمسان عاصمته التاريخية مركزا لنشاطه التربوي والإصلاحي.

وقد حل بتلمسان في أول جانفي 1933 م، وبمجرد نزوله بها شرع في مباشرة عمله، فقام بتأسيس جمعية دينية محلية، لأن الأولى التي كانت موجودة بالمدينة رفضت التعاون معه[4]، كونها كانت تحت نفوذ الطرق الصوفية بالمنطقة، ثم أخذ بعد ذلك يلقي الدروس التي بلغ عددها حسب أحد تلامذته ثلاثة عشر درسا في اليوم في مختلف المواد من صلاة الفجر وحتى بعد صلاة العشاء، وإلغاء المحاضرات في الجامع الكبير بالمدينة، وفي مختلف النوادي التلمسانية: كنادي

---

[1] محمد الصالح صديق: "يفنى الرجال وتبقى الأعمال"، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ماي/جوان 1985 م، ص 365.

[2] عبد الكريم بو الصفصاف، المرجع السابق، ص 156.

[3] تم إنتداب الشيخ عبد الحميد بن باديس على القطاع القسنطيني، والشيخ العقبي على وسط البلاد.

[4] أبو القاسم سعد الله، الشيخ البشير الإبراهيمي، تلمسان من خلال الوثائق الإدارية (1933 م – 1940 م)، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد101 ، السنة الثامنة عشر، ص 76.

السعادة، والنادي الإسلامي، ونادي الشباب الإسلامي[1] وغيرهم، وقد إستطاع بذلك جذب أنظار التلمسانيين، فأقبلوا على دروسه، ومحاضراته إقبال الضمآن على مورد الماء [2].

كما استطاع الشيخ الإبراهيمي توطيد علاقته وصلته بالأعيان المحليين، والممثلين

السياسيين أمثال المستشارين البلديين، عن طريق المحاضرات أو اللقاءات الشخصية الخاصة، ومن الأعيان نذكر العز وني وهو مهندس كهربائي، وطالب عبد السلام المستشار والنائب المالي، وبربار عبد الكريم موظف في البنك، وأبي عياد بن عودة المحاسب [3]، وغيرهم، حيث كان عند كل محاضرة يجمع التبرعات المالية لصالح جمعية العلماء.

3-مشروع الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي:

إن محنة المجتمع الجزائري المغلوب على أمره منذ الاحتلال الفرنسي، وما تعرض له من ظلم في حياته الاجتماعية، وامتهان لقيمه الروحية الدينية والوطنية، حرك رجال الإصلاح والإبراهيمي واحد منهم، فحاول بدوره النهوض بالأمة الجزائرية، وإصلاح أحوالها.

ففي سنة 1929 م، ألقى الشيخ الإبراهيمي محاضرة بالعاصمة، تحت عنوان "التعاون الاجتماعي"[4]، حدد فيها معالم مشروعه الإصلاحي، انطلاقا من وعي كامل أن الجزائر تنتمي إلى الحضارة الإسلامية، وأن في كل حضارة ثابتا ومتغيرا، وأن المحافظة على الثابت هو حفاظا للشخصية الوطنية من الاستلاب والمسخ، وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 م، أدرج مشروعه في القانون الأساسي للجمعية[5].

وتقوم أسس مشروع الإبراهيمي الإصلاحي على أربعة دعائم كبرى وهي: الدين، العلم، الأخلاق والإقتصاد.

---

[1] Mohamed El-Korso: Politique et relgion en Algérie L'islah: ses structures et seshommes. le cas de l' association des ulana Musulmans Algeriens en ORANIE (1931 – 1945), T 1, Université, Jussieu, Paris, 1989, p 163.

[2] سعد الله، المصدر السابق، ص 08.

[3] نفسه، ص 77.

[4] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص 50

[5] نفسه، ص 15.

الدين: يري الإبراهيمي بأن الدين هو الدعامة الأولى التي ينبغي أن تتوجه نحوها الجهود لتدارك ما آلت إليه أوضاع الأمة من انحراف في قواها الإيمانية من نحو، وإبراز مدى فعالية تلك القوة (العقيدة الدينية) في توجيه نشاطات الإنسان في مختلف مجالات حياته فردا أو جماعة من نحو ثان[1]، وتحقيقا لهذه الغاية كانت العناية بهذا الجانب في المنهج الإصلاحي تسبق غيره من الجوانب الأخرى، وبهذا الصدد يقول الإبراهيمي عن الدين:"... وأنه دين الفطرة، لا يرجع في أحكامها إلا إلى النص القطعي من كتاب محكم أو سنة عملية متواترة وأن كل ما ألصق بالدين من المحدثات فهو بدعة يجب اعتبارها ليست من الدين وإن تراءت في صورة ما يقتضيه الدين، ... وأن المعاملة مبنية على مراعاة مصالح البشر ونظام اجتماعهم العمراني ولذلك كانت أغلب أحكام المعاملات المأخوذة من القرآن كلية قل أن نعثر فيها على التفصيل وأن الأنسب لسماحة الدين وبقائه وصلاحيته لكل زمان ومكان والعرف والعادة والبيئة مدخل في تكييف أحكام المعاملات وتطبيقها على الحوادث الجارية. وأن التاريخ شهد بأن أسلافنا كانوا يراعون هذا المعنى في إدارتهم الإسلامية وفي سياستهم للشعوب الأخرى... " [2].

ويؤكد الإبراهيمي أن الأمة مهما تبلغ من درجات على سلم التفوق المادي على أهميته، فإنها لن تستطيع أن تصل به وحده إلى ما تتطلع إليه من عزة ورقي، ما لم يستند جهدها في هذه العملية إلى الدين، فيقول:" إن المادة نافعة، ولكن الروح التي تصرفها وتتصرف فيها أنفع، وإن العمل جميل ولكنه مع الدين أجمل، وإن الثقافة كمال، ولكنها مع الفضيلة أكمل، وإن العروبة شرف، ولكنها زادت بالإسلام شرفا على شرف، وإن الوطنية مكرمة، ولكن وطنية الإسلام أكرم وميدانها أوسع، وصاحبها أغر نفرا وأقوى ناصرا وأكثر عددا" [3].

والجدير بالذكر أن إعطاء الأولوية في العمل الإصلاحي إلى الجانب العقائدي قبل غيره، أصيل في حضارتنا، فقد قامت الدعوة الإسلامية على أساسه، ثم أخذ به جميع من انشغل بالعمل

---

[1] محمد بن سمينة، " ملامح من إسهامات الإبراهيمي في المشروع النهضوي بالجزائر"، الموافقات، عدد04، الجزائر، جوان 1995، ص 500

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص51

[3] محمد بن سمينة، المرجع سابق، ص 505

الإصلاحي على منهج السلف، في التاريخ الإسلامي كالأفغاني والشيخ محمد عبده، وهما شخصيتان أثرتا على فكر الإبراهيمي.

العلم: إهتم الشيخ الإبراهيمي بالعلم فجعله الأساس الثاني لمشروعه الإصلاحي تطبيقا لقوله تعالى: << يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات >>[1]، لهذا دعا الإبراهيمي إلى تحرير العقل من قيود التقليد والجمود وإطلاق العنان له للنظر في آيات الكون والتفكير في أسراره، والتزود بإبداعات العلم والمعرفة لاكتشاف ظواهره.

ومكانة العلم عند الإبراهيمي هامة ورفيعة، وذلك من خلال قوله:" أما البحث في أنواع العلوم التي تصلح لنهضتنا فهو معدود من لغة الحديث، واحتياج الحي إلى العلم في هذا الزمن أصبح قرين احتياجه إلى الطعام "[2].

كما قال أيضا في هذا الصدد: " إن المهمة التي تقوم بها جمعية العلماء المسلمين بأدائها، هي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين...، وهي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة..."[3]، كما يقول أيضا: " إن العلم يبدأ رحلته الأولى من هذه البسائط التي تقع عليها حواسكم في الحياة...، مع أن مجموعها هو العلم إذا وجد ذهنا محللا، وهو الحياة إذا وجد عقلا مفصلا "[4].

لهذا أكد الشيخ الإبراهيمي على ضرورة الجمع بين علوم الدين والدنيا، وتجاوز الاهتمامات المحدودة التي لا تكاد تمد بصرها إلى أبعد من الإلهام بشيء من علوم العقائد والعبادات معزولة عن آثارها في مسار الحياة الإنسانية، كما أكد على ضرورة الأخذ بعلوم العصرنة دون عقدة[5].

الأخلاق: يقر الإبراهيمي إلى حاجتنا الماسة ما نكون إليه في هذا الزمان الذي كثرت فيه المبادئ العاملة على هدم الأخلاق الخيرية، وكثرت الرذائل على الفضائل، حيث يري الإبراهيمي

---

[1] الآية 11 من سورة المجادلة.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 1، ص 15.

[3] محمد بن سمينة، مقال سابق، الموافقات، ص 511.

[4] نفسه، ص 512.

[5] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، 15.

أنها أشد العوامل خطرا على المجتمع ضاهرة الفساد الأخلاقي، وأن المجتمعات الإنسانية مهما يكن حضها من المعرفة ناقصا، فإن ذلك لا يؤثر في جميع الأحوال، سلبا على كيانها وسير أعمالها مثلما أثر، ويؤثر الوهن الروحي الذي إذا ما تسرب إلى نفوس أفرادها أنذر تلك المجتمعات بالسقوط والاضمحلال، هذا ما أدى إلى حرص الشيخ الإبراهيمي على إعطاء الأخلاق أهمية كبيرة في برنامجه، حيث يقول في هذا الصدد: "... لنا أساس نبني عليه، ولا يعسر جد العسر إحياؤه هو الأخلاق الإسلامية المتوارثة، والتي نجد معظمها في القرآن الكريم في أوضح عبارة وأوضح بيان، ثم الأخلاق العربية المأخوذة من آدابهم التي هي أنفس ما خلفوه لنا من تراث "[1].

كما قال أيضا:" لا يضركم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة، فإن أمتكم بحاجة إلى الأخلاق والفضائل...، وإن حاجتها إلى الفضائل أشد وأوكد من حاجتها إلى العلم، لأنها ما سقطت هذه السقطة الشنيعة من نقص في العلم، ولكن من نقص في الأخلاق"[2]. ويري بأن رقي الإنسان وكماله إنما يتحققان بقدر ما يستطيع هذا الإنسان أن يبلغ إليه في حياته من تكامل بين العلم النافع والخلق الحسن في قوله: "العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان يبنى عليهما كمال الإنسان "[3].

المال: يعتبر الشيخ الإبراهيمي، كغيره من المصلحين، المال لازما رابعا من لوازم بناء حياة الأمة فلا ينكر بأنه أقرب نواحي النهضة إلى التحقيق، وأن صلتنا به لا تنقطع، كما يعتقد الإبراهيمي أن تقدم الأمة في قدرتها العقلية، وتطورها في المجال العلمي والعمراني مرهون إلى جانب توفر مقوماتها الروحية، بمدى ما يتوفر لها من رصيد مالي، ولن يستطيع أي مجتمع أن يبلغ ما يصبوا من عز ورقي ما لم يكن في حوزته وافر من العلم وفائض من المال، حيث يقول في هذا الصدد: " أن سوق المال اليوم معترك أبطال، وأن في جوانبه رماة ونحن الهدف وأن مكان المال من الحياة مكان الوريد من البدن، وأن الزمان قد دار دورته وقضى الله أن يصبح المال والعلم سلاحين لا يطمع طامع في الحياة بد ونهما فلننظر مكاننا منهما ومكانهما منا... والذي

[1] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص 53.

[2] عزيز سلامي، "أسس العملية التربوية عند الإبراهيمي "، الموافقات، عدد 04، ص 708.

[3] عزيز سلامي، المقال نفسه.

تقتضيه الحكمة الهادئة لنحفظ أنفسنا من هذه المزاحمة المريعة هو تأسيس شركات التعاون[1] بين الفلاحين وشركات التعاون بين التجار لتقي الصغار من الجانبين شر تحكم الأجانب في أملاكهم ومجهوداتهم، ثم تأسيس مصارف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع وتكون مع ذلك مستودعا للأموال المخزونة المعطلة ومرجعا لصناديق التوفير والاحتياط التي يجب أن تصحب هذه الحالة"[2].

3-1 – في الميدان الديني:

- محاربته للطرق الصوفية المنحرفة:

يرى الشيخ البشير الإبراهيمي بأن الدين هو الدعامة الأولى التي ينبغي أن تتوجه نحوها الجهود لتدارك ما آلت إليه أوضاع الأمة من انحرافها في قواها الإيمانية، وإبراز مدى فعالية العقيدة الدينية في توجيه نشاطات الإنسان في مختلف مجالات حياته [3]، وتحقيقا لهذه الغاية كانت العناية بهذا الجانب في المنهج الإصلاحي إذ يقول الإبراهيمي في هذا الصدد: "... **إنه دين الفطرة، لا يرجع في أحكامها إلا إلى النص القطعي من كتاب محكم أو سنة قولية أو عملية متواترة، وأن كل ما ألصق بالدين من المحدثات هو بدعة يجب اعتبارها ليس من الدين، وإن تراءت في صورة ما يقتضيه الدين، .. إن العملية مبنية على مراعاة مصالح البشر، ونظام إجتماعهم العمراني، ... وإن الأنسب لسماحة الدين وبقائه وصلاحيته لكل زمان ومكان...**"[4].

وانطلاقا من قوله بالبصائر: " عاهدنا الله أن نطهر دينه من الداخل ومن الخارج، وأن ننصره على أنفسنا حتى يكون له عليها سلطان، قبل أن ننصره على الأجنبي حتى لا يكون له عليه سلطان.. لذلك حملنا حملتنا المشهورة على البدع والضلالات..."[5]، وأمام هذا الوضع المتدهور

---

[1] حث الإبراهيمي أنصاره وتلامذته على الإهتمام بشراء ما أمكن من الأراضي الزراعية عن المعمرين بإنشاء تعاونيات بين التجار والحرفيين، أنظر: الإبراهيمي، الآثار، ج 1، ص 16.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 1، ص 55.

[3] محمد بن سمينة، " ملامح من إسهامات الشيخ الإبراهيمي في المشروع النهضوي بالجزائر "، الموافقات، العدد 04، 1995م، ص 500.

[4] الإبراهيمي، الأثار، ج1، ص 51.

[5] الإبراهيمي، قضية فصل الدين نظرتنا إليها "، البصائر، العدد 154، 07 ماي 1951م، ص 01.

يتمحور نشاط الإبراهيمي في محاربة الطرقية المنحرفة حيث شن حربا واسعا على أهل البدع فكتب في مقدمة سجل جمعية العلماء المسلمين تحت عنوان أثار الطرق السيئة على المسلمين إذ يقول " إن أعظم مصيبة أصابت المسلمين، وهي جفائهم للقرآن وحرمانهم من هديه وأدابه، منشؤوها من الطرق، فهي التي غشيت المسلمين لأول ما طاف بهم طائفها، وغشيتهم بهذه الروح الخبيثة روح التزهيد في القرآن... "[1].

ولما أخذت دروس ومحاضرات الشيخ الإبراهيمي تأتي ثمارها في الأوساط الإجتماعية، خلال سنة 1934 م، إلا أن هذه الأوساط لم تكن كلها متفقة على الولاء أو مشايعة لأفكاره، فقد وقعت بين أنصاره ومعارضيه عدة مشاحنات بسبب البدع والبدع والخرافات التي كان ينشرها شيوخ الطرق الصوفية المنحرفة.

ولعل المتصفح لمقالات الشيخ الإبراهيمي حول الطرق الصوفية وشيوخها، سيدرك لا محال الأسباب التي دفعت بالطرقيين إلى ثورة عارمة ضدهم، حيث أنه بمجرد نزوله بتلمسان راح يمطر بقلمه السيال المجتمع الطرقي وشيوخه، عدة مقالات كانت تنزل عليهم كالصواعق.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل توالت الهجمات الطرقية على الشيخ الإبراهيمي من كل جانب، نذكر مقال لطرقي على سبيل المثال نشر بجريدة " لسان الدين " التي كانت الطريقة العليوية[2] في تلمسان، تحت عنوان " **ويل للأمة التلمسانية من الأعرج وفكر الأعرج** " [3]. إذ قال فيه أن الإبراهيمي من شر الناس الذين أبتلي بهم الإسلام والمسلمين في الجزائر، وأنه داعية الضلال وآفاك أثيم وفيلسوف ماسوني مدعي الإلحاد والكفر.[4]

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، سجل جمعية العلماء، ص 30.

[2] الطريقة العليوية: نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مصطفى المشهور ببن عليوة بمستغانم، وهي متأثرة بالفرق المبتدعة كالقيديانية بالهند، والبيهائية في إيران، والأحمدية بباكستان كما يقال، ونظرا لإختلاف مبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين مع الطريقة العليوية فقد دخلت معها في صراع طويل تعود جدوره إلى قبل ميلاد الجمعية، وتتمثل في محاولة إغتيال ابن باديس في قسنطينة. للمزيد أنظر، أحمد حماني، المصدر السابق، (صراع بين السنة والبدعة)، ص 273.

[3] هو لقب أطلقه شيوخ الطرق الصوفية على الشيخ البشير الإبراهيمي إشارة لعاهة العرج التي أصيب بها في صغره في رجله اليسرى.

[4] إبن العقون، المصدر السابق، ج 1، ص 290.

أما بالنسبة لإتباع الطريقة الدرقاوية [1]، لقد إتهموا الإبراهيمي ورجال جمعية العلماء بمحاولة إيجاد دين إسلامي مصطنع.[2]

وأمام هذا بدا الإبراهيمي يفضح حقيقتها الخفية، وهي تستعمل الدين لتستر على غرائزها التي لا حدود لها، كابتزاز أموال الناس بالباطل، والتقرب إلى أصحاب الأموال طمعا في الكسب والثراء، وقد مضي الإبراهيمي في القدح والضرب في الطرقيين إلى وصفه لشيخ الطريقة العليوية "ابن عليوة"[3] بأنه دجال وأن مقدميه دجاجلة وصعاليك وحمر ناهقة.[4]

إضافة إلى وقوف الإبراهيمي في وجه ما إبتدعه الطرقيون من "زردات " والتي كانوا يقيمونها كلما إنتصف فصل الربيع من كل سنة، وأيضا الجفاف للإستسقاء، وإنفاق المال عليها في الذبائح وتبييض وإصلاح الزوايا تقربا لولي الصالح[5]، حيث وصفها بأعراس الشيطان، وفي هذا الصدد قال الإبراهيمي: " **هذه (الزردة) التي تقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشيطان، وولائه وحفلاته ومواسمه، وكل ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كله رجس من عمل الشيطان، وكل داع إليها، أو معين عليها، أو مكثر لسوادها فهو من أعوان الشيطان أم ترى إلى كل ما يركب فيها من فواحش ومحرمات؟ وما يهتك فيها من أعراض وحرمات؟ كل ذلك مما يأمر به الشيطان** " [6]، وأشار الإبراهيمي أيضا إلى أن العودة إلى هذه المنكرات بعدما كادت تموت، مرده إلى الإستعمار الذي عمل على تنشيطها والتحريض على إحيائها من جديد، بهدف

---

[1] هي طريقة صوفية نسبة إلى مؤسسا الشيخ العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الملقب ب" أبو درقاوة " الشريف الإدريسي، حيث كانت تدعوا إلى السلم والإبتعاد عن الإظضطرابات والمشاركة في الثورات ضد الحكام، للمزيد أنظر: مختار فيلالي: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط 1، دار الفن الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د. تاريخ، ص 53.

[2] سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان، المرجع السابق، ص 78.

[3] احمد بن عليوة (1874م – 1934م) ولد بمستغانم، وتلقى دروسه الأولى بها، ومع مطلع سنة 1909م هاجر إلى الشرق الأدنى، وتنقل طويلا بين مصر وسوريا وإيران والهند، دامت رحلته عشر سنوات، وبعد الحرب العالمية الأولى رجع إلى الجزائر وأسس طريقته، وكون لها زاوية، وأصدر جريدة البلاغ الجزائري لسان حال الطريقة العليوية. للمزيد أنظر، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 12، ص 418.

[4] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 1، ص 170.

[5] الإبراهيمي، " أعراس الشيطان "، البصائر، العدد 95، 14 نزفمبر 1949م، ص 02.

[6] نفسه، ص 02.

عرقلة رجال الإصلاح ومقاومة الحركة الإصلاحية في المنطقة، كما توجه بنداء إلى سكان المنطقة يطالبهم فيه بالتراجع والإقلاع عن هذه العادات المبتدعة.

وفي الأخير يجمع جل المؤرخين أن فشل الطرقيين والسلطات الفرنسية التي تقف من ورائها مشجعة، إنما يعود لنشاط العلماء والشيخ الإبراهيمي واحدا منهم، حيث إستطاعوا تحويل المسلمين الجزائريين من جهلة مستغفلين إلى مثقفين مناهضين للبدع، حيث يقول الإبراهيمي: ".. **أما الطرقية فقد فرغنا منها هدما وتخريبا، واقتحمنا عليها معاقلها الحصينة، ودككنا صياصيها المنيعة وأستبحنا حماها بكلمة الله، وأقمنا على أنقاضها بناء الحق، بدأنا ذلك كله بإزالة هيبتها الباطلة من الصدور، ومحو سلطتها الكاذبة من النفوس... وقد أحيانا الله حتى شهدنا جنازتها بلا ردة وهلنا عليها التراب بأيدينا غير آسفين.**" [1]

ولم تتوقف الحرب بين الطرفين عند حدود كتابة المقالات الصحفية، وتأليف الكتب، بل تعدت إلى حد الاصطدامات والاشتباكات، بعد أن صعد الإبراهيمي وزملائه في الأمر، وقاموا بمنع الطرقيين من قراءة البردة[2]، في إحدى الجنائز، الأمر الذي أدى إلى إحداث فوضى كبيرة في تلك الجنازة.[3]

وزيادة على الحملات الصحفية، وصل الطرقيين طرق أبواب الولاية العامة بتقديم المزيد من العرائض والاحتجاجات التي يطالبون فيها بوضع حد لنشاط الإبراهيمي وزملائه، وحجتهم في ذلك أن ما يقوم به هؤلاء نشاط سياسي يخفونه خلف ستار التعليم والدين، وأن هدفهم الحقيقي هو القضاء على الوجود الفرنسي في الجزائر.[4]وظلوا يلحون في ذلك إلا أن منعوا الإبراهيمي من إلقاء دروس التفسير بالجامع الأعظم في تلمسان عن طريق برقية بعث بها الوالي العام إلى عامل وهران في أواخر سنة 1933م[5].

---

[1] الإبراهيمي، الأثار، ج 1، ص 407.

[2] الإبراهيمي، الأثار، ج 1، ص 172.

[3] نفسه، ص 291.

[4] سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان، المرجع السابق، ص 332.

[5] نفسه، ص 76.

ورغم قرار المنع المذكور آنفا، واصل الإبراهيمي نشاطه فكان يتنقل إلى خارج تلمسان لإلقاء المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد، والتي كانت مواضيعها تدور حول تفسير القرآن الكريم، والتوحيد وغرس الروح الإسلامية في النفوس، وهذا في مختلف المدن، وأنحاء الإقليم الوهراني، كمعسكر، وسيدي بلعباس ومستغانم والمحمدية وبني صاف... إلخ، [1] فكانت شعبيته تزداد يوما بعد يوم مع كل محاضرة أو درس يلقيهما، وهو ما أكده " شارل أندري جوليان " الذي أورد أن الإبراهيمي أصبح يسيطر على المنطقة ببصيرة وهدوء.[2]

والظاهر أن تلمسان كانت تعرف صراعا طبقيا حادا إستحكم بين سكانها مند قرون مضت، وخاصة بين الكراغلة والعرب، وقد زاد الإستعمار من إشعال لهيب هذا العداء، خدمة لأغراضه الإستعمارية الدنيئة، ولوضع حد لهذا العداء والتطاحن الذي لا يخدم المصلحة الوطنية قام الإبراهيمي بالتوسط بينهما، ورغم كثرة الصعوبات التي واجهته، إلا أنه إستطاع في نهاية الأمر أن يحسم الخلاف، وأن يقضي على الخرافات والبدع التي إستفحلت في المدينة، ليجتمع الجميع على الإصلاح وتآلف القلوب، وبعد ذلك أقبل شباب المدينة على التعليم، وإعتناق الفكر الإصلاحي.[3]

وأثناء تنقلاته في مدن الإقليم الوهراني، كان يندد بفرنسا، ويدعوا إلى عدم الخوف منها، وضرورة الإستعداد لطردها من الجزائر، وذلك باللغة العامية، حيث كان يسندها إلى المداحين الذين كانوا ينشدونها في الأسواق والمناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية.[4] وفي نفس الوقت كان الإبراهيمي يشد الرحال إلى تونس دوريا، بغية لقاء علمائها وزعمائها، وللاطلاع على أحوال وشؤون طلبتها وعمالها المهاجرين الجزائريين بها، ونشر الفكرة الإصلاحية بين صفوفهم، وتذكيرهم بواجبهم نحو وطنهم، وكان يحثهم على تمتين روابط الصلة بينهم، وبين إخوانهم التونسيين، كل

[1] نفسه.

[2] شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ص 135.

[3] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 2، المصدر السابق، ص 24.

[4] فضلاء، المرجع السابق، ص 121.

هذا من أجل التعريف بقضية الوطن الجزائري، وقد توجت هذه الزيارات بإنشاء " **جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين 1934 م** ".[1]

- الإبراهيمي وقضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية:

مند إنشاء الجمعية سنة 1931، بدأ العلماء يطالبون الحكومة الفرنسية بتطبيق قرار 1907م الذي ينص على فصل الدين عن الدولة، حيث سحبت فرنسا سلطتها عن المسيحية واليهودية واحتفظت بسلطتها بخصوص الإسلام مبررة ذلك أن الإسلام لا إنفصال فيه بين اسلام الروح والدنيا [2]، هذا ما أثار السخط في أوساط الجزائريين، لأن المسلمين الجزائريين إعتقدوا أن هذا القانون إنما يعنيهم بإعتنبارهم هم المحرومون من الحرية، وأنهم المتضررين من جميع القوانين التي تصدرها الحكومة الفرنسية تضييقا للحريات الجماعية والفردية، والضغط على العلماء المسلمين.

ورغم مرور السنين لم يحصل المسلمين ما تمنوه من هذا القانون، وبقوا تحت الملاحقة والإضطهاد، وبقيت السلطات الفرنسية قابضة على تسيير شؤون الدين

الإسلامي [3].

إن تعارض قواعد الإسلام مع القوانين الفرنسية حال دون تطبيق القانون الفرنسي، حيث أن القضاء بين المسلمين إذ ما تعلق الخلاف بأمر من أحوالهم الشخصية والمالية والجنائية، فإنه جزء لا يتجزء من دينهم الإسلامي، لأن أصول الحكم بينهم نابعة من احكام الله المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وكل ما جاء فيهما دين، وما خضعوا لتلك الأحكام إلا لكونهم مسلمين والدولة الفرنسية لا تعترف بهذه الحقيقة صراحة، لأنها تقف أمام مطالبة المسلمين بحقوقهم السياسية موقف الرافض ما داموا متمسكين بالقانون الإسلامي.

والجدير بالذكر أن وقاحة الفرنسيين وصلت إلى محاولة إجراء إستفتاء بغرض إلغاء القضاء الإسلامي، لذلك تجند المسلمون وأعلنوا معارضتهم، وحذروا إدارة الإحتلال من النتائج السيئة

---

[1] البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ص 24.

[2] أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 198.

[3] نفسه، ص 192.

والفوضى التي قد تعم المحاكمات، إذ أصروا على فرضها بالقوة، مطالبين تحرير القضاء الإسلامي برفع القيود عنه، حيث جاء في كتب الإبراهيمي عدة مقالات بهذا الشأن إذ يقول: " نريد لقضائنا الإسلامي حرمة ومكانة، وندافع عنه بحماسة، ونطالب بإصلاحه، ثم إستقلاله، ... لأن لا عز للأمة إلا بعزة قضائها وقضائها... " [1]، وتقديم الجمعية رؤية من شأنها إصلاح القضاء الإسلامي وذلك بوجوب توسيع برامج التعليم القضائي في مادة اللغة العربية، الفقه وأصوله، ودراسة التفسير والحديث، وإدخال عناصر من المتخرجين ذوي الكفاءات، وتكوين مجلس قضائي أعلى، وتكون سلطته مستقلة عن القضاء الفرنسي، أما محاكم الإستئناف فيجب أن تكون سلطتها إسلامية محضة، والقاضي مسلم لا ينقضه إلا قاضي مسلم.[2]

كما طالب الشيخ الإبراهيمي بتحرير المساجد وذلك برفع يد الحكومة الفرنسية عنها، وعدم تضييق الخناق عليها، إضافة إلى تحرير الأوقاف الإسلامية بإرجاعها إلى المسلمين الجزائريين، كما تحرر رجال الدين الإسلامي من الحكومة المسيحية [3]، إضافة إلى تحرير الحج وذلك بعدم تدخل الحكومة الفرنسية في أي شأن من شؤونه لن الحج في الإسلام ركن من أركانه التي بني عليها، يشاركها في الركنية والروح والمعنى العام للتعبد، واختار الله سبحانه وتعالى له من الأماكن تلك الصحراء الطاهرة الطيبة، إلا أن الحج في نظر الإستعمار أداة مهيأة لإستعباد الأمم الاسلامية التي أوقعها القدر في قبضته، ويريد أن يتحكم فيه، بتسليط عدة شروط للقيام بالحج في حق المسلمين الجزائريين [4].

كما طالب الشيخ الإبراهيمي في هذه القضية بتحرير الصوم بحيث تبتعد الحكومة الفرنسية عن كل شؤونه، لأنه عبادة دينية محضة، وهي أبعد العبادات عن الماديات، حيث يقول: "**إن الصوم هو ما أشبه بالفقير الذي ليس معه من المال ما يغري اللصوص بالإعتداء عليه...**"[5]

---

[1] البشير الإبراهيمي " فصل الدين عن الحكومة "، البصائر، العدد 154، 07 ماي سنة 1951م، ص 01.

[2] خير الدين، المصدر السابق، ج 1، ص 146.

[3] البصائر، العدد 154، المصدر نفسه.

[4] نفسه، العدد 157، ص 01.

[5] البصائر، العدد 157، 28ماي 1951 م، ص 02.

هذا هو جهاد الشيخ البشير الإبراهيمي في قضية فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية حيث أنه لا يوجد فرنسي مسلم أو مسلم مسيحي، أو عربي فرنسي، كل هذه الصفات لا يقبلها لا العقل ولا الدين حسب قول الشيخ الإبراهيمي، لهذا بقيت الجمعية ورجالها يطالبون بهذه القضية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كخطوة أولية نحو المطالبة بوضع حد نهائي للتبعية السياسية والثقافية، ناشد وراء ذلك الإستقلال التام.

3-2 – في ميدان التربية والتعليم:

- إنشاء المدارس:

- إنشاء مدرسة دار الحديث 1937م:

لم يقتصر الإبراهيمي على العمل التربوي والإصلاحي، ومحاربة الشعوذة الطرقية، بل طرق أبواب العمل التعليمي بعزيمة وإرادة، تماشيا مع المنهج القويم الذي إتخذته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو تحرير العقول قبل تحرير الأبدان.

ونظرا لتزايد عدد أبناء الجزائريين الذين كانوا يتلقون التعليم الذي تقدمه لهم جمعية العلماء، إرتأ الشيخ الإبراهيمي أن ينشأ مدرسة كبيرة على سبيل المثال لا الحصر أهل تلمسان بتبرعاتها، ولم يحل شهر ديسمبر 1934 م حتى انطلق الإبراهيمي في مشروع بناء مدرسة للتعليم الحر، وبعد اجتماع الجمعية الدينية الثانية والذي حضره مئة وخمسين (150) شخصا، وطرح عليهم فكرة إنشاء المدرسة، والحصول على الرخصة أمر أكيد، لأن الإبراهيمي كان على علاقة طيبة مع نائب الوالي لتلمسان، ومند ذلك الوقت وصلت التبرعات إلى ثمانين ومئة ألف فرنك.[1]

وخلال سنة 1935م حاول أنصار الإبراهيمي في طلب الرخصة له، لكي يلقي دروسه بالجامع الكبير، إلا أن معارضوه كثرة، إلا أن مساعيهم فشلت، وأما هذه الظروف، تكاثفت الجهود المبذولة من طرف أنصار الإبراهيمي، وكذا الاعتماد على النفس لتموين مشروع بناء المدرسة.

[1] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990 م، ص 66.

ولما بدأت الأشغال كان الإبراهيمي مشرفا على متابعتها شخصيا، وإختار لإنجازها أمهر البنائيين وأفضل الطرز المعمارية، وهو الطراز الأندلسي، وأطلق عليها اسم " دار الحديث " نسبة إلى دار الحديث الدمشقية التي تأسست مند قرون في دمشق، وكان من مدرسيها هو شخصيا.

إضافة إلى الإمام النظار تقي الدين السبكي، والإمام الحافظ محمد الدين النووي [1] وغيرهم.و ذات ثلاث طوابق: طابق أرضي عبارة عن مسجد جامع ومكتبة، تحته طابق سفلي خاص بدورة المياه والمئضات، وطابق فوق المسجد فيها قاعة للمحاضرات ومسرح صغير للتمثيل، ومكتب إدارة المدرسة، وطابق ثالث فوقه هو المدرسة بفنائها ومرافقها. [2]

وإبتداء من سبتمبر سنة 1937 م، كثف الشيخ الإبراهيمي المراسلات للتحضير لفتح دار الحديث، حيث دهب الإبراهيمي إلى الجزائر لوضع اللمسات الأخيرة في برنامج الإحتفال والتشاور مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث إتفقوا هناك على حضور حوالي مأتي (200) شخص من الجزائر، وترأس ابن باديس الإحتفال مع فتح باب التبرعات المالية لتغطية الديون الباقية على المدرسة، كما أنهم دعوا كل رؤساء الطرقية من دائرة تلمسان لحضور الإحتفال، إلا أنهم أبو.[3]

ولما اجتمعت الوفود أمام مدرسة دار الحديث، وتم افتتاحها في 27 سبتمبر 1937 م، حيث وصف الشيخ ابن باديس الإبراهيمي " بمحي تلمسان "، وألقي ابن باديس بالمناسبة كلمة الإفتتاح، كما ألقى الشيخ الإبراهيمي كلمته حيث مجد فيها هذا العمل، وافتخر بدوره، وتوقع إتحاد جميع المسلمين على حب الإسلام حيث قال:"... **إن هذه المدرسة هي الشاهد الذي لا يكذب على صدق النهضة الإسلامية العلمية ونضوجها، ووصولها إلى درجة الكمال التي يفرح لها العاملون، وييأس منها الظالمون**".[4]

---

[1] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، المصدر السابق، ص 309.

[2] محمد الصالح رمضان: الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية دار الحديث بتلمسان، ط 2، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2003 م، ص 51.

[3] سعد الله، أبحاث وأراء، ج 3، ص 68.

[4] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 3، ص 308.

كما كانت هناك محاضرات دينية، ومن الخطباء ابن باديس والشيخ الفضيل الورتيلاني، والشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي من أعضاء جمعية العلماء كما ألقى شاعر الجمعية محمد العيد آل خليفة قصيدة بالمناسبة ومما جاء فيها:

أحيي بالرضى حرما يزار ودارا تستظل بها الديـار.

وروضا مستجد الغرس نظرا أريضا زهره اللأدب النضار.

وميدانا سترتبع المهاري بساحتـه وتستبق المهـار.

وعينا ما لنبعها مغاض وأفقا مالأنـجمه صغار.

أحيي خير مدرسة بناها خيار فـي معونتهم خيـار. [1]

وبعد إفتتاح مدرسة دار الحديث بدروس في القرآن والفقه على يد الإبراهيمي والهادي السنوسي، وكان للمدرسة ستة أقسام مع حوالي 130 تلميذا، سبعين منهم على قسمين، من 05 إلى 13 سنة يتعلمون العربية والكتابة وحوالي عشرين تلميذ من 15 سنة فما فوق يتلقنون الدروس في القرآن، إضافة إلى دروس في الفقه، إبتداءا من الرابعة بعد الظهر من إلقاء الشيخ الأبراهيمي، ومن أشهر المعلمين في المدرسة نذكر:

بابا أحمد، البغدادي، ومرزوق يدرسون أيام الخميس والحد.[2]

والجدير بالذكر أن المدرسة لم تتحصل على الرخصة، لأن أصحابها كانوا عازمين على إفشال قانون 1892 م بشأنها، ونصح نائب الوالي لتلمسان بعدم التسامح مع هذا الوضع، وإقتراحه تطبيق القانون على المدرسة وذلك بتوجيه الإتهام إلى مسؤولي هذه المدرسة لأنهم خافوا الإدارة في عدة أمور، هذا ما جاء في التقارير الرسمية من الولاية العامة إلى والي تلمسان في شهر نوفمبر سنة1937 [3].

والحق أن إنشاء مدرسة " دار الحديث "، كان نقلة نوعية سمحت بتنظيم الحركة التعليمية في تلمسان بقيادة الشيخ الإبراهيمي الذي أصبح مشرفا ومعلما بها، يلقي فيها عشرة دروس يوميا، وفي

---

[1] سعد الله، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 223.

[2] سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ص 70.

[3] تقرير من الوالي العام الى والي تلمسان، نوفمبر 1937 م، أرشيف ما وراء البحار، 9H46.

العطلة الصيفية كان يستغل الفرصة ليلقي دروسا في الوعظ والإرشاد في المناطق المجاورة لتلمسان، الأمر الذي أولى إلى تهافت الناس عليه.[1]

ونظرا لنشاطات الشيخ الإبراهيمي وتصعيده من موقفه اتجاه الإدارة الاستعمارية، وبشكل علني، ويظهر ذلك من خلال موقفه من مناسبة ذكرى مرور مائة عام على احتلال مدينة قسنطينة سنة 1937، من خلال تحريره لنداء دعى فيه الأمة الجزائرية إلى الصيام وملازمة المساجد إفسادا للاحتفالات الفرنسية كما فعل في ذكرى القرنية لاحتلال الجزائر سنة 1830 م، مع ابن باديس.[2]

وكما كان متوقعا فإن السلطات الفرنسية قد ذاقت من نشاطات الإبراهيمي الدائب وبحركته التي لا تهدأ، فراحت تضع حدا لنشاطه المتزايد، ولا سيما إصدارها قرارا إداريا في يوم 31 ديسمبر 1938 م يقضي بغلق مدرسته " دار الحديث " دون سبب يذكر، حيث رد الإبراهيمي على ذلك برفض التوقيع على محضر غلق المدرسة، وبالقيام بمسيرة سلمية من محطة القطار إلى مقر مدرسة دار الحديث، ولكون هذه المسيرة غير مرخص لها حكمت عليه المحكمة بدفع غرامة مالية قدرها 16 فرنكا. [3]

وقد علق على قرار الغلق هذا الذي أصبح ساري المفعول إبتداء من جانفي 1339 م، بأنه عمل يستهدف عمل جمعية العلماء وذلك لقتل الإسلام والعروبة في الجزائر، بشل حركتهم النهضوية والمتمثلة في المدارس، بعد أن أغلقت المساجد في وجوههم وأعطي فيها الحق لرجال الدين الرسميين، الذين باعوا أنفسهم ودينهم من أجل " خبزة طعمها قذر ".[4]

---

[1] عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر، الجزائر (1925 م – 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 54.

[2] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، المصدر السابق، ص 309.

[3] سعد الله، ابحاث وأراء، ج 3، ص 71.

[4] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 303.

وفي 28 فيفري 1939م أصدرت السلطات الفرنسية قرار أعطى بموجبه للإدارة الإستعمارية حق مراقبة المطبوعات وحق منعها أو وقفها، والمطبوعات التي استهدفها هذا القرار بطبيعة الحال ما كانت تصدره جمعية العلماء المسلمين، إذ كانت ترى فيها صحفا معادية لها.[1]

وعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية في شهر ديسمبر 1939 م قامت الأكاديمية الفرنسية في تلمسان باحتلال مدرسة دار الحديث، وألحقتها بمدرسة "دوفو" "Duff au " الفرنسية بحجة ظروف الحرب، وهو ما يبين أن السلطات الفرنسية كانت قد عقدت العزم قصد السيطرة على المدرسة مند حوالي سنة كاملة، وبذالك فإن احتلال وتعطيل مدرسة دار الحديث مسألة لا تهم جمعية العلماء وحدها، بل تهم الأمة الجزائرية كلها، حيث قال الشيخ البشير الإبراهيمي: " **وإذا ضاع حق النفوس المتعطشة لمعرفة أسباب الحادث، فما ضاع حق التاريخ الذي يخص الخبر، لاستجلاء العبر، ودين التاريخ أحق أن يقضى** ".[2]

وخلال الحرب اتصلت الإدارة الإستعمارية بالشيخ البشير الإبراهيمي عن طريق أحد عملائها وهو القاضي ابن حورة الذي ذهب إليه في تلمسان، وحاول إقناعه أن يكون واحدا من الدعاة لصالح فرنسا ضد دول المحور عبر أمواج الأثير، وكتابة عدد من مقالات التأييد في الصحف الفرنسية مقابل أن تسند له فرنسا منصب " شيخ الإسلام " الذي كانت تتزعم إنشاءه في الجزائر[3]، إضافة إلى مكافآت مادية تمنحها له، ولكنه رد على ذلك بالرفض القاطع إقتداء بموقف صديقه ابن باديس.[4]

ولما فشلت السلطات الفرنسية في إستمالة الشيخ الإبراهيمي ومن منعه من العلماء إلى جانبها، قام رئيس الوزراء الفرنسي " دلاديه " " **Deladier** " بإصدار قرار الإبعاد والنفي في حقه إلى أفلو وإعتقاله يوم 12 أفريل 1940 م، بحجة أنه يمثل خطر كبير على فرنسا وذلك مباشرة

[1] سعد الله، ابحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ص 71.

[2] البشير الإبراهيمي: تعطيل مدرسة الحديث، جريدة البصائر، العدد 100، السنة 3، 18 فيفري 1938 م، ص 1.

[3] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص 19.

[4] محمد خير الدين، المصدر السابق ج 1، ص 19.

بعد وصول الأمر من الوالي العام إلى عامل تلمسان.[1] ومن هنا نستنتج أن هذه العقوبات الصارمة التي أنزلتها السلطات الإستعمارية في حق العلماء حتى تتصدى لكل وطني يتحرك في اتجاه معاكس لها.

والظاهر أن مدرسة دار الحديث لم تفتح إلا بعد سقوط فرنسا في الحرب العالمية الثانية، واحتلال الألمان لها ونزول الحلفاء في شمال إفريقيا سنة 1942م، الذين حاولوا التقرب من الأهالي الجزائريين بإطلاق صراح المعتقلين، وفتح الأحزاب والمنظمات المعطلة، وإطلاق صراح الشيخ الإبراهيمي من منفاه سنة 1943م، وتوليه رئاسة جمعية العلماء المسلمين خلفا للشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث انتقل الإبراهيمي إلى العاصمة سنة 1945 م لتسيير الحركة الإصلاحية والثقافية، من هناك وكلف محمد الصالح رمضان بإدارة مدرسة دار الحديث من سنة 1945م إلى غاية 1953م.[2]

ولمعرفة قيمة مدرسة دار الحديث بين مدارس جمعية العلماء نجدها تتمثل في عدد الناجحين في المدرسة والمتحصلين على شهادة علمية إبتدائية رسمية تمنحها الجمعية وحدها وخمسة وثلاثون (35) ناجحا من مجموع مائة وثلاثة وعشرين ناجح على مستوى كل مدارس الجمعية.[3]

ولما ضاقت مدرسة الحديث بتلمسان لتعليم المئات الراغبين في طلب العلم والمعرفة، عززت هذه المدرسة بمدرسة ثانية ملتصقة بها سنة 1952م، تحت إسم مدرسة عائشة أم المؤمنين والتي استقلت لتعليم البنات فقط، وهي أول مدرسة خاصة بتعليم البنت المسلمة في الجزائر، وتخصصت دار الحديث لتعليم البنين، ومند ذلك الوقت وهما خاضعتان لإدارة واحدة، حيث بلغ عدد تلاميذهما معا قبل اندلاع الثورة التحريرية الكبرى أكثر من ألف وثماني مئة بين البنات والبنين.[4]

وبالرغم من أن الفضل مشترك في تشيد مدرسة دار الحديث في تلمسان على سبيل المثال لا الحصر، فإن النصيب الأوفر يعود إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، فهو إذن ضمير الحركة

---

[1] سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 152.

[2] محمد الصالح رمضان، المصدر السابق، ص 57.

[3] جريدة البصائر، العدد 202، 10 محرم 1372 هـ، الموافق ليوم 24 سبتمبر 1952 م، ص 02.

[4] محمد الصالح رمضان، المصدر نفسه، ص 71.

الإصلاحية وهو مهندس الحركة الوطنية في تلمسان، وجعل منها محطة إشعاع ثقافي ووطني، تتجاوب مع المقاطعات الأخرى في أنحاء الوطن.

وبعد عودته من المنفى بأفلو الصحراوية في أوائل سنة 1943م ازداد اهتمامه ببناء المدارس، فأسس ثلاثة وسبعون مدرسة خلال هذه السنة[1]، وقد ساعده في ذلك إندفاع الشعب في كل القطر، وبذله الأموال في سبيل تنشيط التعليم العربي الحر، وأهم المدارس التي أسسها نذكر على سبيل المثال لا الحصر، مدرسة الفتح بسطيف، ومدرسة الحياة بجيجل، مدرسة تازمالت وابن خلدون ببجاية، ومدرسة الفلاح بوهران، ومدرسة الجلفة، ومدرسة التربية والتعليم بغليزان[2].

- **إنشاء معهد ابن باديس 1947م:**

لقد خطى الشيخ الإبراهيمي خطوة أخرى إلى الأمام سنة 1947م، فقرر تكوين معهد ثانوي بقسنطينة يتابع الممتازون من خرجي المدارس الابتدائية والابتدائية التكميلية دراستهم فيه، وأستقر رأيه على أن اسم أول رئيس جمعية العلماء عبد الحميد بن باديس اعترافا بفضله وتخليدا لذكراه إذ يقول الإبراهيمي: " **ولما بلغ عدد المتخرجين من مدارسنا بالشهادة الابتدائية عشرات الآلاف وجدت نفسي أمام معضلة يتعسر حلها، ذلك أن حاملي هذه الشهادة ذاقوا حلاوة العلم فطلوا المزيد، وأرهقوني من أمري عسرا وألحوا علي أن أتقدم بهم خطوة إلى الأمام، وحرام علي- على حد تعبيرهم- أن أقف بهم دون غاياته، فكان واجبا على أن أخطوا بهم إلى التعليم الثانوي، واهبت بالأمة أن تعينني بقوة أبلغ بها غرض أبنائها، فاستجابت، فكان ذلك مشجعا على إنشاء معهد ثانوي بمدينة قسنطينة نسبناه إلى إمام النهضة ابن باديس...** " [3].

والظاهر أن الإبراهيمي قام بجمع التبرعات واشترو دارا كبيرة كانت ملكا لأحد أفراد عائلة إبن الفقون – وهي من الأسر العريقة المشهورة بالعلم في قسنطينة – وعمدوا إلى تجهيزها بالطاولات والمقاعد[4].

---

[1] البشير الإبراهيمي، " أنا "، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ماي / جوان 1985 م، ص 27.

[2] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 391.

[3] الإبراهيمي، " أنا "، مقال سابق، ص 29.

[4] محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، ط 1، ص 205.

ووضع لائحة داخلية للمعهد ومما جاء فيها:" تتألف الإدارة العامة للمعهد من ثلاث هيئات متضامنة، وكل واحدة مسؤولة فيما يخصها من الأعمال للمجلس الإداري لجمعية العلماء، الأولى الهيئة العلمية، والثانية الهيئة المالية، والثالثة هيئة المراقبة والضبط ويرأس المدير العام جميع الهيئات..."[1].

كما حدد شروط الإلتحاق به تتمثل فيما يلي:

1- أن لا ينقص عمر التلاميذ عن ست عشرة سنة.

2 – أن لا يكون مصابا بمرض ومعه شهادة طبيب المعهد.

3 – أن يقدمه أبوه أو وليه مادام قاصرا، بتعريف كتابي يتعهد فيه بلوازم التلميذ وضرورياته.

4 – أن يكون حافظا لجزء معتبر من القرآن كالربع ولا يقبل من يحفظ أقل منه.

5 – القدرة على نفقات الأكل والسكن بحسب حال التلميذ، والمعهد لا يلتزم بشيء من ذلك نظرا لضيق موارده المالية، حيث يشرف إلا على عدد محدود من المعوزين فقط.

6 – كسوتان للشتاء على حسب حال الطالب وفراش وغطاء[2].

وقد أسندت إدارة هذا المعهد للشيخ العربي التبسي، بحكم مقامه العلمي، ومكانته بين الشعب[3].

وفي جوان 1947م وجه الإبراهيمي رسالة إلى جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين[4]، وطلب منهم أن يعرضوا على مدير الجامعة الزيتونية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الاعتراف بالمعهد كفرع من فروع الزيتونة، ففعلوا، ورحب مديرها بالفكرة، وأعرب عن سروره باعتراف بمعهد يحمل اسم أحد تلامذته الأصفياء عبد الحميد بن باديس، كفرع للجامعة الزيتونية[5]، والسبب في جعل الإبراهيمي يسعى لربط معهد ابن باديس بجامع الزيتونة:

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، " معهد قسنطينة "، البصائر، العدد 08، 26 سبتمبر 1947م، ص 01.

[2] نفسه، ص 02.

[3] الإبراهيمي، الأثار، ج 2، ص 223.

[4] ترأسها عبد الرحمن الشيبان، وهو مدرس بالمعهد الباديسي ورئيس جمعية العلماء المسلمين حاليا.

[5] محمد الهادي الحسني، الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الموافقات، العدد 4، ، جوان 1995م، الجزائر، ص 564.

- إيجاد ثقافة علمية بين المؤسسة العلمية العربية، وهي فكرة حاز فيها الإبراهيمي بالسبق فأنشأ الأزهر فرعا له في لبنان، وأنشأت جامعة القاهرة فرعا لها في السودان.
- تمكين حاملي شهادة المعهد من الإلتحاق بالمؤسسات التعليمية العليا في الشرق العربي، لأن الإبراهيمي كان ينوي توجيه النوابغ إلى إستكمال معلوماتهم في جهة أخرى غير الزيتونة[1]

وحرص الإبراهيمي – رغم المشكلة المالية التي كانت تعانيها الجمعية، ورغم ضيق المكان – على تزويد المعهد بمكتبة يجد فيها الطلبة والأساتذة المصادر والمراجع التي تعنيهم على إستكمال معلوماتهم وتنمية معارفهم، حيث لم يكن في مكنة أغلبهم شراء الكتب، وقد نشرت اللجنة الأدبية لطلبة المعهد نداءا جاء فيه: "... **ولكن المعهد لا يؤدي رسالته على الوجه الكامل إلا إذا كان مجهزا بأشياء منها المكتبة...فإن طلبتنا متعطشون إلى القراءة، ولكنهم لا يجدون ما يقرءون فإن الكتب غالبها غير موجود، والموجود منها عزيز المنال وذلك لغلاء الثمن من ناحية، وفقر الطلبة من ناحية أخرى** "[2].

ودعا الإبراهيمي أسرة الإمام ابن باديس إلى وقف مكتبته على المعهد، كما سعى بعد وصوله إلى المشرق العربي للحصول على كتب لإثراء هذه المكتبة، فتبرع له ولي عهد المملكة السعودية الأمير سعود (1902م – 1969م) بألف مجلد[3].

ويذكر جميل صليبا، أنه جمع لجمعية العلماء بطلب من الإبراهيمي عدد كثيرا من الكتب المدروسة وغير المدرسية، وأعداد من مجلدات الثقافة، والمعلم العربي والمجمع العلمي العربي[4].

- إنشاء دار الطلبة 1953 م:

كما سعى الإبراهيمي إلى فتح دار للطلبة، فدعى إلى ذلك سنة 1952م في قوله:" واجب الساعة وفريضة الوقت هي دار الطلبة بقسنطينة، وإن من جمال الواجب إن لم يكن من كماله أن يكون أدائه في وقته، فتبادر الأم التي حركناها بالأقوال، وأيدنا بالأعمال، إلى المساهمة بأقصى ما

[1] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 1، ص 20.

[2] اللجنة الأدبية لطلبة المعهد، " مكتبة المعهد "، البصائر، العدد 90، 5 سبتمبر 1949م، ص 05.

[3] محمد الهادي الحسني، مقال سابق، ص 565.

[4] جميل صليبا، " عن الشيخ الإبراهيمي "، مقال سابق، ص 57.

يسعه الإمكان في هذا المشروع الجليل حتى تقطع هذه المرحلة التي هي أوسع المراحل إلى غاية... أيتها الأمة، إن خير ما يكون الإيجاف، في السنوات العجاف، فلا تعللي بالسنيين، فإن تكون، ولا تتعدى بالأزمات فإنها تزول، وإبني نفسه ما يعود عليك نفعه ويقرب لك أجره وشكره ".[1]

وتم افتتاح دار الطلبة بقسنطينة سنة 1953م، في غياب الإبراهيمي، الذي سجلت له كلمة في أوت 1953م، بمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة، وألقيت في الإفتتاح، جاء فيها: " **أيها الإخوان في العلم، اليوم قضيت الحاجة، واطمأن المشفقون، فلتهنأ جمعية العلماء بهذا النجاح، وليهنأ المعهد العظيم بهذه التكملة بل بهذا الكمال، ولتهنأ الأمة بهذه الثمرات لجهودها الخالصة المخلصة، وليهنأ التلاميذ بهذا القرار المكين الذي أعدته لهم الأمة... أيها الإخوان يعز علي أن أكون غائبا بشخصي، ويسرني أن أشارككم بصوتي فأعجب للغائب الحاضر... أما روحي فهي حاضرة معكم في كل حين، وأما سمعي فهو مرهف دائما لتلقف أخباركم حتى كأني معكم أرى وأسمع، وما أنا بالناسى ولا أنا بالجاحد** "[2].

- **إرسال البعثات الطلابية إلى الدول العربية:**

في سنة 1938 أرسل الشيخ الفضيل الورتيلاني رسالة إلي الإمام عبد الحميد بن باديس من القاهرة، واقترح فيها بعثتين من الطلاب إحداهما إلى الأزهر الشريف، والأخرى إلي الشام، وقد أجابه الشيخ ابن باديس برسالة في5 أوت 1938، أخبره فيها بعدم قدرة الجمعية آنذاك على تنفيذ الفكرة[3].

وبعد اتساع حركة التعليم التي أحدثها الإبراهيمي بعد الحرب العالمية الثانية، وشمولها لمراحل التعليم بعد تأسيسه لمعهد ابن باديس، ففكر في توجيه البعثات إلي المعاهد والجامعات العربية، حيث كانت البعثات الأولي مقتصرة على البلدان العربية القديمة، مثل الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب، وذلك لعدة اعتبارات منها أن الطلبة الجزائريين الموفدين إلى تونس والمغرب لن يجدوا

[1] محمد البشير الإبراهيمي، " دار الطلبة بقسنطينة"، البصائر، عدد 178 – 179، 07 جانفي 1952م، ص 15.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 3، ص ص 247 – 248.

[3] محمد الهادي الحسني: من وحي البصائر، تقديم صالح ناصر، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 2004 م، ص 567..

صعوبات من الإدارة الفرنسية كالذي يجده من يولي شطر المشرق العربي، مع إمكانية تعرضهم للبطش والظلم، إضافة إلي قلة المصاريف اللازمة لكل طالب في هذين القطرين مقارنة بالمشرق العربي[1].

والمعلومات المتوفرة تشير إلي أن عدد الطلبة الجزائريين الموفدين إلي تونس، من طرف جمعية العلماء المسلمين، تجاوز سنة 1948م 200 طالب، ليصل سنة1952م إلى ألف وخمسمائة (1500) طالب، ووصل عدد الطلبة الموفدين إلي القرويين سنة 1952م إلى 200 طالب، وهذا الفرق الشاسع بين عدد الطلبة إلي الزيتونة والقرويين، يفسره الإبراهيمي بقوله: " جامع القرويين دون جامع الزيتونة نظاما واتساعا في الدراسات، وابعد عن التجديد والإصلاح لان أصابع الاستعمار الفرنسي تدشنت فيه أكثر جامع الزيتونة "[2].

وكانت أول بعثة للجمعية باتجاه المشرق العربي، ولاسيما إلي مصر في السنة الدراسية (1951-1952 م)، وقد ضمت 25 طالبا وطالبة واحدة، وتوزعوا على مختلف أقسام كليات الآداب ودار العلوم والكليات الأزهرية [3]، وبعد وصول الشيخ الإبراهيمي إلى القاهرة، وبفضل جهوده، تمكن من الحصول على عدد آخر وبذلك تزايد عدد الطلبة بها باستمرار[4].

كما استطاع الإبراهيمي وهو بالمشرق العربي من الحصول على منح من العراق وسوريا والكويت في العام الدراسي (1952 م- 1953 م)[5]، وبلغ عدد أفراد بعثة العراق عشرة طلاب (10) التحقوا كلهم بدار المعلمين العالمية التابعة لجامعة بغداد ماعدا طالبا واحدا التحق بكلية الحقوق، وتتكون بعثة سوريا من عشرة طلاب، التحقوا بمدارس المعلمين الابتدائية في دمشق وحلب، أما بعثة الكويت فتتكون من 15 طالبا[6].

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 2، ص 23.

[2] محمد الهادي الحسني، المقال نفسه، ص 568.

[3] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، د، ط، ص 223.

[4] نبيل بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، دار الكتب، مصر، 1990 م، (د. ط). ص 134.

[5] نبيل بلاسي، المرجع السابق، ص 134.

[6] رابح تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1930 - 1956 م)، ط 1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص 216.

وهكذا توالت بعثات الجمعية إلى دول المشرق العربي، بحيث وصل عدد بعثاتها في معاهده سنة 1955 م إلى مئة وتسعة (190) طالب وطالبة، كل ذلك بفضل جهود ونشاط الإبراهيمي، وهو ما يؤكده الشيخ محمد خير الدين في مذكراته بقوله:«... فبفضل مساعي الرئيس الجليل محمد البشير الإبراهيمي، حفظه الله، وزميله في الكفاح الأستاذ الفضيل الورتلاني، قبلت أمم الشرق من تلامذتنا (190) (مصر، سوري، العراق، الكويت)...» [1].

وإذا كانت الحكومات العربية في المشرق قد تحملت تكاليف إيواء الطلبة، فإن جمعية العلماء هي التي تولت إيواءهم في تونس والمغرب حيث يقول الشيخ الإبراهيمي: « أما مدرستنا تونس لسكن الطلبة فهما داران اكترتهما جمعية العلماء لتشارك يهما في تخفيف أزمة إسكان الطلبة... وقد كانت الجمعية تدفع ثمن كرائهما كل سنة » [2]، وإثر اجتماع عقده الإبراهيمي مع العمال والطلبة في العاصمة التونسية قررت كراء مركزا لجمعية الطلبة والتي تأسست في الثلاثينات[3] بتحريض من الإبراهيمي، كل هذا ليتفرغ الطلبة لما تغربوا من أجله وهاجروا في سبيله وهو تحصيل العلم.

ووضعت الجمعية دستورا أخلاقيا لأعضاء البعثات، ومما جاء فيه، أن يخضع الطالب لإدارة البعثة التي يمثلها من يعتمده الإبراهيمي رئيس الجمعية أو من يقوم مقامه[4]، فقد اتخذ الإبراهيمي من مصر مقرا بشرف منه على تصريف شؤون هذه البعثات التعليمية، كما عين نواب عنه في العراق وسوريا، والكويت للإشراف عن شؤون هذه البعثات من النواحي الأخلاقية والاجتماعية، وكان يقوم بين الحين والآخر بزيارات لهذه البلاد لتفقد أحوال الطلبة الجزائريين والسعي لدى حكومات هذه البلدان من أجل الحصول على منح دراسية للطلبة الجزائريين [5].

كما جاء في الدستور أن يرجع إلي وطنه الجزائر التي هي ميدان الكفاح حين انتهائه من التعليم، وان لا يرضي بالإقامة في وطن آخر ولو صب عليه الخير صبا وان يقتحم عند رجوعه

---

[1] محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج 1 ن ط 5، ص 232.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 3 ص571.

[3] نفسه، ج 2، ص 24.

[4] تركي رابح، التعليم القومي...، ص 225.

[5] نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 134.

ميدان التعليم ليصرف معلوماته في نفع أمته تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين، ولا خيار له في الخروج عن سلك التعليم إلا بعد أربع سنوات من العمل[1]

فكانت معظم أحاديث الإبراهيمي تدور حول نصائحه للطلبة، وتذكيرهم بالوطن المستعمر، وبواجبهم نحو إحياء ثقافتهم العربية الإسلامية التي حاربتها فرنسا، والتي حاولت النيل من مقوماتهم، ويذكرهم بالواجب الذي ينتظرهم عند العودة إلي الوطن[2].

والجدير بالذكر هو إن جهود الإبراهيمي وجمعيته قد أثمرت في تكوين البعثات العلمية التي درست في المعاهد العلمية في البلاد العربية، وبدورهم قد ساهموا في تحقيق الفكرة العربية الإسلامية، التي يؤمن بها الإبراهيمي.

وجملة القول أن فترة (1931م – 1940 م)، قد تمثلت الانطلاقة الفعلية والمنظمة لعطاء الإبراهيمي في مجال التربية والتعليم ونشر الوعي الو طني والديني بين الجزائريين الذين كانوا مستعدين للإستيعاب، وقد أتاح له تأسيس جمعية العلماء الفرصة لإبراز قدراته في تعبئة الجماهير الشعبية، وضمها إلى صفوف الحركة الإصلاحية خاصة، والحركة الوطنية بصورة عامة، فأقبلت على إعتناق الفكرة، وتقديم المساعدات المادية للمشاريع التربوية والدينية والثقافية كبناء المدارس والمساجد الحرة، وإنشاء النوادي، وإصدار الصحف، التي كانت ضمن برنامج الجمعية، وتسهر على تنفيذه يوما بعد يوم، في كل القطر الجزائري، رغم المضايقات الشديدة التي كانت تمارسها الإدارة الإستعمارية على العلماء من أجل ثني عزيمتهم، وإجهاض حركتهم الإصلاحية في مهدها.

كما استطاع الشيخ الإبراهيمي من تحرير عقول الجزائريين من الإستعمار الروحي الذي مهد للإستعمار الأبدان، وهو ما أدى على اندلاع معارك حامية الوطيس بين شيوخها والشيخ الإبراهيمي بتلمسان سنة 1932 م.

[1] تركي رابح المرجع السابق، ص 225.

[2] نبيل بلاسي، المرجع السابق، ص 134.

وفي هذا السياق أيضا نسجل للشيخ الإبراهيمي بعد النظر بتأسيس " لمدرسة دار الحديث "، حيث كان يأمل مع الشيخ ابن باديس أن تكون نواة لجامعة كبيرة على غرار جامع الأزهر، والزيتونة والقرويين.

وأمام العناد والتحدي اللذين أبداهما الإبراهيمي، لم تجد فرنسا من حل سوى إنزال عقوبة الإبعاد والنفي في حقه إلى منطقة أفلو الصحراوية القاحلة بالجنوب الوهراني ضنا منها أن عزيمته ستغور، وما نستكشف صحته أو خطأه في الفصل القادم.

الفصل الثالث

مواقف الإبراهيمي من بعض القضايا السياسية:

1- من السياسة الفرنسية:

- **موقفه من مشروع فيوليت 1935 م**
- **موقفه من مجازر 08 ماي 1945 م.**
- **موقفه من لجنة الإصلاحات الإسلامية 1943 م.**
- **موقفه من دستور 1947 م وانتخابات 1948 م.**

2- من السياسة الوطنية:

- **موقفه من جمعية علماء سنة 1932 م.**
- **موقفه من المؤتمر الإسلامي الأول 1936 م.**
- **موقفه من بعض الأحزاب الوطنية.**

مواقف الإبراهيمي من بعض القضايا السياسية:

لم يقتصر الشيخ الإبراهيمي على العمل التربوي والتعليمي وكذا الإصلاحي ومحاربة الشعوذة والطرقية، بل طرق أبواب العمل السياسي من خلال مواقفه التي نحن بصدد دراستها، والتي ظهرت بصفة رسمية سنة 1936 م، بمشاركته في كل المراحل التي مر بها المؤتمر الإسلامي الأول، وهو ما شكل تطورا في حياة الجمعية، فالعمل السياسي كان من أهدافهم البعيدة، وما إن سنحت الفرصة كشف العلماء عن قدراتهم وطموحاتهم في هذا المجال، والذي كان حكرا على الأحزاب السياسية.

1- من السياسة الفرنسية:

- موقف الإبراهيمي من مشروع فيوليت 1935م:

في حقيقة الأمر مشروع فيوليت هو إقتراح بقانون، وضعه النائب موريس فيوليت[1] عام 1931 م، وأثار ضجة في كل من فرنسا والجزائر، وينص هذا المشروع على منح الجنسية الفرنسية لبعض الفئات المدنية والعسكرية من مسلمي الجزائر، وعلى منح الجزائريين بعض الحريات بصورة تدريجية.[2]

إن مسألة الجنس لم تكن جديدة على الشيخ الإبراهيمي بقدر ما كانت مفاجئة عندما طرحت من طرف حكومة الجبهة الشعبية [3]عام 1935م، بإعتبارها جبهة يتوقع منها تقدير معاناة الشعب الجزائري، فتعمل على منح الحقوق، وقد سبقت محاولة لما صدر قانون 14 جويلية 1865م والمعروف بقانون سيناتوس كونسلت[4]. تمهيدا لطمس الشخصية الجزائرية، والذي ينص على أن الجزائر لا يمكن أن تتمتع بامتيازات الجنسية الفرنسية، إلا إذا تخلت عن أحوالها الشخصية الإسلامية.[5]

---

[1] موريس فيوليت، رجل ينتمي إلى الحزب الإشتراكي الفرنسي، حكم الجزائر ما بين (1925 – 1927 م)، وأصبح كنائب في مجلس الشيوخ بعد إستقالته من منصب الحاكم العام، وكتب كتاب بعنوان هل ستعيش الجزائر ؟، للمزيد: أنظر عبد الكريم أبو الصفصاف، المرجع السابق، ص 258.

[2] أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 248.

[3] الجبهة الشعبية: تكتل سياسي من احزاب اليسار الفرنسي، رئيسها ليون بلوم، ونال السلطة عام1936م، وبقي فيها حتى سنة 1938 م.

[4] سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 67.

[5] نفسه، ص 171.

لهذا كان مشروع فيوليت يشترط على طالبي التجنس التخلي عن أحوالهم المستمدة من الإسلام، والمتعلقة أساسا بمسائل الزواج، الطلاق والميراث والقبول بتحكيم جميع الإجراءات طبقا لإحكام القوانين الفرنسية، ومعنى ذلك تنازل المتجنس طواعية عن دينه، وشخصيته وكرامته، وهي العناصر الأساسية التي أرادت جمعية العلماء المسلمين إحياؤها.

يقول في ذلك الإبراهيمي أن مشروع فيوليت في عيب من الناحية الدينية، وهو تركه للمسلم الجزائري حرية قسم ميراثه بين من يشاء من أقاربه، أو تخصص من يشاء به، وهذا على سبيل المثال لاالحصر من العيوب الجديرة بالإمعان، والاهتمام لأنه يهدم ركنا عظيما من أركان البقية من الذاتية الإسلامية.

ومما لا شك فيه قول الإبراهيمي في إبداء موقفه حيث يقول: " **إن كنت مبدئيا من أنصار فيوليت فإني أطلب بإلحاح لا بد من تنقيحه من الناحية الشرعية، فيما يخص المسائل الميراثية، والأحكام التي تقدم بها من الناحية السياسية، فيما يرجع إلى مسائل أخرى لا فائدة من الكلام في جريدة العلماء.**" [1]

وتطرح الجمعية من طرف أعضائها بأنها عارضت مشروع فيوليت[2]، لما فيه من عدم التسوية في الحقوق، لا بين الجزائريين والفرنسيين، ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم، وما فيه من تهيئة الطبقة المثقفة للإندماج مع السكوت التام عن الدين واللغة.[3] وذلك إنطلاقا من مبدأ الجمعية وهو المساواة في الحقوق والمحافظة على المقومات الذاتية، لأن تلك المقاومة تعبر عن عقيدة جمهور الأمة وتعرب عن إحساسها.

لهذا كانت الجمعية وعلى رأسها الإبراهيمي ينظر إلى هذا المشروع بعين الريبة، لأنه يعتمد على مبدأ التجنس كشرط لمنح بعض الجزائريين حق الانتخاب، ولأنه لا يمنح الحقوق السياسية للمواطنين الجزائريين إلا بتخليهم عن أحوالهم الشخصية، وكانت الجمعية تخشى من هذا المشروع

---

[1] البشير الإبراهيمي، " موقف جمعية العلماء المسلمين من موقف فيوليت، جريدة البصائر "، العدد 22، السنة الأولى، 1935، ص 1.

[2] أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 242.

[3] " الأمس واليوم "، الشهاب، ج 4، م 12، جويلية 1935، ص 197.

تشجيعه لمزيد من الشبان الجزائريين على التجنس بالجنسية الفرنسية ليتسنى لهم الحصول على الحقوق السياسية دون الإكتراث لأحوالهم الشخصية [1].

وقد بلغت حدة التصدي ذروتها عندما سارعت الجمعية إلى إصدار فتوى تنص على:"...إن المتجنسين مرتدين لا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا الصلاة عليهم، لأن ذلك يعتبر تخلي المتجنس عن أحكام الشريعة الإسلامية، وإرتداد صريح عن الإسلام، وبتجنسه يكون قد ارتكب جناية ضد أبنائه، لأنه يخرجهم من حظيرة الإسلام... " [2].

وكانت هذه الفتوى بمثابة الهول الذي حطم كل آمال المتجنسين، وضربة مدمرة لسياسة الإدارة الفرنسية الرامية إلى حمل الجزائريين على التخلي عن أهم مقوماتهم وهو الإسلام، وهو ما أغضب السلطات الفرنسية، واعتبرته عملا سياسيا ضدهم...

– موقف الإبراهيمي من حوادث 08 ماي 1945 م:

إن جمعية العلماء المسلمين لم تكن بعيدة عن مجمل التطورات التي أفرزتها أحداث الحرب العالمية الثانية، فبعد النكسة التي أصابت فرنسا بموجب تقهقرها أمام الألمان، فإن مواقف الجمعية تجاه فرنسا ظلت صامدة، وواضحة سواء مع حكومة الماريشال بيتان أو حكومة ديغول في لندن وحتى في فرنسا فيما بعد، حيث أن ديغول زار الجزائر بهدف كسب عطف الجزائريين وحتى المعمرين، والتي ضمنها في مرسوم 07 مارس 1944م، الذي لم يضف من شأنه جديدا لصالح الجزائريين لذلك فقد رفضته الجمعية برئاسة الإبراهيمي[3].

لهذا فإن جمعية العلماء قد استطاعت أن تحافظ على توازنها ومكانتها بين الجزائريين، والتعايش مع الأحزاب الوطنية، وهذا من خلال مواقفها المذكورة آنفا تجاه السياسة الفرنسية.

ومهما يكن من أمر فإن الجبهة الوطنية الموحدة التي انظم إليها الإبراهيمي قد عقدت إجتماعا هاما يوم 06 ماي 1945م على حد قول الشيخ أحمد توفيق المدني في مذكراته، بمخزن

---

[1] أحمد الخطيب، المرجع نفسه، ص 242.

[2] ابن باديس: " فتوى جمعية العلماء في التجنس والمتجنسين"، البصائر، العدد 95، 12 ذي القعدة 1356، 14 جانفي 1937م، ص 01.

[3] سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 242.

السيد محمد علي عباس التركي[1]، بحضور كل من فرحات عباس، والشيخ الإبراهيمي، والشيخ محمد خير الدين والمدني نفسه، من أجل بحث الأوضاع المستجدة بعد إستسلام الألمان في الحرب، وقد تقرر خلال هذا الإجتماع إيفاد المدني إلى تونس وشخص آخر لم يذكر إسمه إلى المغرب من أجل التنسيق مع أحزاب القطرين الشقيقين وتوحيد مطالبهما[2].

وبعد الأحداث والمجازر الدموية التي عرفتها مختلف أنحاء الجزائر، وخاصة أحداث 07 ماي 1945م بالعاصمة، والتي قتلت فيها الشرطة الفرنسية الكثير من الجزائريين المتظاهرين، وفي هذه الأثناء ترأس الإبراهيمي إجتماعا للجنة الوطنية الموحدة بمركز حركة أحباب البيان والحرية في مدينة الجزائر، والذي توج بإصدار بيان إستنكار، وتنديد بأعمال الشرطة الفرنسية بلهجة شديدة، وبتكليف فرحات عباس والدكتور سعدان لمقابلة الوالي العام للجزائر، لكنهما أعتقلا لما كانا في طريقهما إلى الولاية العامة، وتم نقلهما على متن طائرة عسكرية إلى السجن العسكري بقسنطينة[3].

وفي يوم الثامن ماي 1945م، قامت قوات الجيش الفرنسي المدعمة بغلاة المعمرين في سطيف وخراطة وقالمة بشكل خاص، بارتكاب جرائم يندى لها جبين البشرية جمعاء، والتي فاقت في وحشيتها أي تصور ضد أبرياء عزل خرجوا من ديارهم إلى الشوارع يهتفون بطريقة سلمية بنهاية الحرب، وسقوط الديكتاتوريات العسكرية، ويطالبون من فرنسا التي كانوا إلى جانبها في الحرب بالأرواح والأموال[4]، أن تفي بوعودها، وتنظر إلى مطالبهم بعين الود والإحترام، لكن أين موقع فرنسا من الوفاء بالوعد وإحترام العهود؟ ومكافئة من يضحي في سبيلها؟ وقد كان وقع الصدمة على الجزائريين عنيفا.

---

[1] كان من كبار الأثرياء في الجزائر.

[2] أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات) (1925م، 1954م)، الجزء 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م، ص 382.

[3] محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 2، ص 19، 20.

[4] قدر الشيخ الورثلاني عدد القتلى: 70.000 قتيل، والمعتقلين ب 80.000 معتقل ردا لجميل الجزائريين الذين شاركوا في الحرب إلى جانب فرنسا بنصف مليون من خيرة شبابهم جنودا وعمالا، أنظر: الفضيل الورثلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليانة، الجزائر، 1982 م، ص 86.

أما الإبراهيمي فقد هزته أحداث 08 ماي 1945 م هزا عنيفا، فجعلته ينتفض إنتفاضة كبرى بقلمه السيال الترجمان الوفي لتلك الثورة التي إمتلكت نفسه، إذ وصف ما إرتكبته فرنسا من مجازر في حق الأبرياء وإحراق لقراهم، وإتلاف ممتلكاتهم أعمالا لو شهدها فرعون لتبرأ منها وأفتخر بعدم إرتكابه له[1]، كل ذلك جزءا لجميل الجزائريين الذين لبوا نداء النجدة والاستغاثة، فقاتلوا مع فرنسا، وزادوا عن حياضها وساهموا بقسط وافر في تحريرها من الغزاة الألمان تاركين ورائهم أهلهم وأبنائهم تحت رحمة الجوع والفاقة والمرض، وتشريد الأهل وإنتهاك الأعراض وإغتصاب الأموال[2].

وقد اعتبر الإبراهيمي تلك المجازر وصمة عار ستبقى تلطخ جبين الحضارة الفرنسية مهما طال الزمن، وعبر عن ذلك بقوله: " أما والله لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور بمداد من عصارة الشمس في لوح منحوت من صفحة القمر، ثم قرظه عشاقها المتيمون باللؤلؤ المنثور بدل القرض المشعور، والشعر المنثور، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان ' مذابح سطيف وقالمة وخراطة' لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله[3] "، إنه وصف ما بعده وصف يعكس الجرح العميق الذي تركته مجازر 08 ماي 1945م في نفسية الشيخ البشير الإبراهيمي.

ولم تنس فضاعة المجازر الإبراهيمي أن يحمل الشعب الجزائري المسؤولية الكاملة فيما وقع له من الإستعمار الفرنسي، الذي ما إقترف تلك المذابح إلا بعد أن خبر نفسية الشعب الجزائري جيدا، هذا الأخير الذي أعانه على نفسه بإفساد دينه وأخلاقه، وبالفرقة والتشتت والجري وراء المغريات الإستعمارية: " **لك أيها الشعب المعذب، لقد هنت عليهم حين هنت على نفسك إنهم ما ضربوك إلا بعد أن جربوك، وما جرفوك إلا بعد أن عرفوك، وما جنوا عليك واتهموك إلا بعد أن قرءوك وفهموك، فلا تلمهم، ونفسك فلم، وغير بنفسك وهمم... أعنتهم في إفساد دينك وأخلاقك فارتفعوا وانحدرت، وأعنتهم على إفساد دنياك فاستغنوا وافتقرت، واجتمعوا وافترقت، وانتظموا وانتثرت، وجروك بمعنوياتهم ومعنوياتهم وانجررت** "[4]، ومن هنا يتضح أن الإبراهيمي لم يكن من الذين يحملون دائما مسؤولية المصائب التي تحل بهم

[1] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 3، المصدر السابق، ص 376.

[2] نفسه، ص 335.

[3] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 5، ص 283.

[4] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 3، المصدر نفسه، ص 379.

لخصومهم وحدهم، دون أن يلتفتوا لأنفسهم ليسألونهم بطريقة موضوعية عما إذا كانوا هم السبب في كل الذي حصل لهم.

وفي نفس السياق دعى الإبراهيمي الشعب الجزائري إلى الإعتماد على النفس وطرق أبواب العلم والعمل إذا أراد أن يستعيد مكانته اللائقة وكرامته المهدورة[1].

لقد أدت أحداث 08 ماي 1945 م إلى تطور واضح في الموقف السياسي للشيخ البشير الإبراهيمي من الإستعمار الفرنسي، ونلمس ذلك في أحاديثه وكتاباته التي تلت الأحداث[2]، وفي هذا الإطار ذكر الشيخ محمد خير الدين أن الإبراهيمي قال في إحدى تدخلاته معلقا على أحداث 08 ماي 1945م، بأنها تمثل نهاية لزمن المطالب السياسية وبداية للتحضير الجدي للثورة المسلحة التي يجب إعلانها طال الزمن أم قصر، إذا أراد الشعب الجزائري فعلا إنتزاع حقوقه المغتصبة[3].

ومنه نلاحظ أن مواقف الإبراهيمي من الإستعمار الفرنسي قد بدأت تبتعد شيئا فشيئا عن النهج السلمي لتأخذ منحى التصعيد والثورة، وبطبيعة الحال فإن مواقف الإبراهيمي تلك، لم تكن لتمر دون أن يلقى عليها العقاب الذي تراه السلطات الفرنسية الإستعمارية في مستوى تحديه لها ففي 27 ماي 1945م داهمت الشرطة الفرنسية بيته بمدينة الجزائر، وقامت بإعتقاله بتهمة تدبير أحداث 08 ماي 1945م القيام "بالمؤامرة الكبرى "على فرنسا وهي تهمة يعاقب عليها القانون الفرنسي بالإعدام[4]، ونقلته إلى السجن العسكري بباب الوادي، ووضع في زنزانة تحت الأرض تغرق في الرطوبة لمدة ثلاثة أشهر أصيب إثرها بأمراض في يده وكتفه[5] , ولما رأت السلطات

---

[1] نفسه.

[2] المصدر نفسه، ج 5، ص 283.

[3] محمد خير الدين، مصدر سابق، ج 2، ص 20.

[4] أحمد مريوش: جمعية العلماء المسلمين وحوادث 08 ماي 1945م، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، العدد 10، 1997، ص 131.

[5] توفيق المدني، المصدر السابق، ج 2، ص 96، ص 225.

الفرنسية تدهور حالته الصحية قامت بنقله إلى إقامة خارج السجن، وبعد استرجاعه لبعض قواه حولته إلى السجن العسكري بقسنطينة قصد محاكمته، وقد مكث فيه ثمانية أشهر[1].

وبهذه الحرب النفسية والمعنوية واجهت الإدارة الإستعمارية رجال الجمعية واعتبرتهم من وراء أحداث الثامن من ماي، كما زجت بهم في السجن والمعتقلات لا لشيء سوى لأنهم استطاعوا أن يكونوا جيلا جديدا من أبناء الجزائر رفض أن يبقى تحت كابوس الهيمنة الفرنسية[2].

وخلاصة القول أن حوادث الثامن ماي 1945م هي بمثابة البداية الجديدة في تاريخ الجزائر المعاصر، وطريقا للتلاحم وتنسيق الجهود بين رجال الجمعية والأحزاب الوطنية الأخرى، وأتضح ذلك جليا بعد صدور البيان الجزائري.

وكانت الجمعية كغيرها من الاتجاهات الوطنية قد انتهجت في عملها السياسي، إذ أصبحت أكثر إنتاجا في علاقاتها مع البيانيين للتقارب في وجهات النظر معهم، إذ كانت خلال منتصف الأربعينيات قريبة في مواقفها مع الأحزاب الوطنية، فعمدت لذلك حتى تحافظ على توازنها بعدما أصبحت تمتلك رصيدا من المؤسسات والشباب لا يستهان بهما.

- موقفه من لجنة الإصلاحات الإسلامية ديسمبر 1943م:

بعد أن استلم الإبراهيمي رئاسة الجمعية بعد عودته من منفاه بآفلو، راح يعيد تنظيمها بما يتناسب وأفكاره وشخصيته، وأدخل عليها روح الشرق، [3] وهذا خير دليل على كذب ما كانت تبثه فرنسا وأذنابها من أن جمعية العلماء قد ينتهي أمرها بوفاة رئيسها الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس، باشر الشعب الجزائري (10 فيفري 1943م) مرجعية وإيديولوجية نضالها.[4]

[1] أحمد حماني، المصدر السابق، ص 269،

[2] أحمد مريوش: المقال نفسه.

[3] سعد الله، أفكار جامحة، المرجع السابق، ص 99.

[4] André Nouschi, opcit, p 39.

ولما زارت الجزائر لجنة الإصلاحات الإسلامية التي تشكلت إثر خطاب الجنرال ديغول[1] – **Charles Degaulle** – بقسنطينة في شهر ديسمبر 1943م، بهدف دراسة موضوع الإصلاحات الواجب القيام بها في الجزائر، وتقديم توصيات بشأن ذلك إلى لجنة فرنسا الحرة برئاسة ديغول[2]، كان الإبراهيمي ممن إستدعتهم اللجنة إلى الاستماع لرأيه[3]، فقدم لها تقريرا في 03 جانفي 1944 م برر فيه أولا تلبيته لطلب اللجنة بكونه جزائري مسلم من حقه الطبيعي أن يبدي رأيه في أوضاع وطنه وأبنائه، إضافة إلى كونه رئيسا لجمعية العلماء من واجبه التعبير عن رأيها في المشاكل الخطيرة التي كانت تعيشها الجزائر، ثم بعد ذلك أن هناك ثلاث مجالات يجب أن تشملها الإصلاحات وعلى جناح السرعة وهي: القضاء الإسلامي، والمساجد وأوقافها وموظفيها، والتعليم العربي الحر.

فبشأن النظام القضائي المتتبع قال عنه انه فاسد ويحتاج الإصلاح، وأما بخصوص المساجد فقد وصف النظام الذي تسيرها به الإدارة الفرنسية بأنه نظام شاذ لا يستند إلى العدل والحق، لأنه ليس من حق الحكومة الفرنسية اللائكية أن تتولى تسيير المساجد وتعيين القائمين عليها، وإنما يجب أن يوكل الأمر إلى جمعيات منتخبة، والتي تكون نواة لمجلس ديني أعلى ليتولى أمور المساجد والأوقاف، ويكون هيئة تشاور مع الحكومة الفرنسية في هذا المجال.[4]

أما فيما يتعلق بالتعليم العربي، فقد ذكر الإبراهيمي لجنة الإصلاحات الإسلامية بما يعانيه من التضييق والضغوطات، عن طريق التقليل من قيمته في المدارس الحكومية وتقييده بالقرارات الإدارية الجائرة، طالبا من الحكومة الفرنسية العدول عن هذه السياسة وإعطاء الحرية المطلقة لهذا النوع من التعليم في المدارس الحرة، مع الإكتفاء فقط بالرقابة القانونية.

---

[1] شارل ديغول: هو رجل دولة فرنسي (1890 م – 1970 م)، قاد المقاومة ضد الألمان بعد إحتلالهم لفرنسا سنة 1940م، أسس ونظم الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية ثم في باريس من 1944 م إلى 1947 م، وأصبح رئيسا لفرنسا من 1959 م إلى 1969م.

[2] سعد الله، أفكار جامحة، ص 214.

[3] إضافة إلى زعماء الحركة الوطنية: فرحات عباس، مصالي الحاج، عمار أوزقان، إبراهيم بيوض، عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، أنظر إلى محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، ص 256.

[4] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 2، المصدر السابق، ص 136.

كما أبدى رأيه في الإصلاحات السياسية التي تقضي بمنح الجنسية الفرنسية لعدد من الجزائريين مقابل التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، معتبرا إياها أشباه حلول، لأنه من العدل والإنصاف أن تعطي الأمة الجزائرية كل حقوقها غير منقوصة، جزاءا لما قدمته من تضحيات بالأنفس والأموال لفرنسا في محنتها أثناء الحرب، كما رفض الإبراهيمي التجنيس حتى مع الإبقاء مع الأحول الشخصية الإسلامية، لأنه كما يرى أنه يمثل خطوة نحو الإدماج الذي يؤدي إلى محو هذه المقومات العربية والإسلامية تدريجيا، وهو أمر مخالف للمنطق وحتى لمصلحة فرنسا نفسها.[1]

إن هذه المطالب التي رفعها الإبراهيمي إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية الثانية، في الحقيقة هي نفسها مطالب غالبية الشعب الجزائري في شقها القضائي والتربوي والديني والسياسي، وما يلاحظ عليها أن الإبراهيمي إستطاع أن يشرح بدقة أوضاع كل مجال، مقترحا الحلول المناسبة لذلك، ومحملا السلطات الإستعمارية مسؤوليتها الكاملة فيما هي عليه أوضاع الجزائريين.

ولكن يجب أن يفهم أن الإبراهيمي لم يلب دعوة لجنة الإصلاحات الثانية، إلا ليقيم الحجة على سلطات الإحتلال، لأنه يدرك تمام الإدراك أن فرنسا لاتريد من وراء تكوين اللجان إلا ربح الوقت، وذر الرماد في الأعين، فمنذ الإحتلال وهي ترسل اللجنة تلوى الأخرى إلى الجزائر دون أن يتغير من الأمر شيء، فهي موضة إستعمارية تلبسها فرنسا كلما حاولت إمتصاص غضب الجزائريين إتجاهها.

إن لجنة الإصلاحات الإسلامية الثانية التي تشكلت مند 1943م لم تكن في الواقع سوى نسخة طبق الأصل للجان السابقة، ففي الوقت الذي كان فيه الجزائريون ينتظر منها الكثير خاصة وأنها تظاهرت بالتحقيق الجدي في مطالبهم، جاء أمر 07 مارس 1944م، الذي خيب الآمال، بإقتراحه لإصلاحات سياسية وإقتصادية وإجتماعية شكلية كالعادة لا تخرج عن إطار الوعود السابقة، وهو ما أدى إلى الإستياء والتذمر من الجميع، وحتى من جماعة النخبة التي كانت

[1] نفسه، ص 135.

المعنية بالدرجة الأولى بهذه الإصلاحات، ولهذه الأسباب كان الإبراهيمي من أوائل المعرضين بشدة لأمر 07 مارس 1944م باسم جمعية العلماء[1].

وقد أدت خيبة الأمل في هذه الإصلاحات إلى إحداث تقارب كبير بين زعماء الحركة الوطنية الجزائرية، إذ عقد الإبراهيمي سلسلة من اللقاءات مع كل من فرحات عباس ومصالي الحاج اللذان زاراه في معتقله بقصر الشلالة 19 أفريل 1944م وقد أسفرت هذه الإتصالات عن تكوين " جبهة موحدة " بزعامة فرحات عباس وإصدار جريدة مشتركة بإسم " المساواة " في 15 سبتمبر 1944م، كما قام الثلاثة بدعوة الجزائريين إلى مقاطعة الإنتخابات الفرنسية بالإحجام عن تسجيل أسمائهم في القوائم الإنتخابية وعدم التصويت[2].

والمراد من هذه الجبهة الوطنية الموحدة هو التعاون وتنسيق الجهود من أجل الوقوف ككتلة واحدة في وجه الإدارة الإستعمارية، ولإستغلال التطورات التي عرفتها نهاية الحرب العالمية الثانية لصالح الفضية الجزائرية.

2- من السياسة الوطنية:

- موقفه من جمعية علماء السنة 1932م:

لما مضت السنة الأولى من حياة جمعية العلماء المسلمين بدون صراع بين المصلحين الطرقيين أو الموظفين الرسميين، إلا أن حل موعد الإجتماع العمومي سنة 1932م لإنتخاب المجلس الإداري الجديد حتى حدثت خلافات كانت نتيجتها خروج الطرقيين من الجمعية.

ويقول أحمد حماني في كتابه "الصراع بين السنة والبدعة ": " ولما حان موعد إنعقاد الإجتماع السنوي العام في السنة الثانية، وفيه يتجدد أعضاء المجلس المصلحين من الجمعية، ... وكان من فصول المؤامرة أن يكون الإنقلاب بواسطة الإنتخابات ولا ينتخب من الأعضاء حسب القانون الأساسي - إلا من كان يملك بطاقة عضو كامل - وهوما يصدق عليه لقب عالم في الجزائر، وقد تكفل العليويين بسد هذه الثلمة وإغراق الإجتماع بسيل من هؤلاء العلماء "[3].

---

[1] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 217 .

[2] المصدر نفسه، ص 218.

[3] أحمد حماني، المصدر السابق، ج 1، ص 320.

وقد تأسست هذه الجمعية رسميا بتاريخ 13 أكتوبر 1932م، برئاسة الشيخ المولود بن الصديق الحافظي[1] الذي لم يكن راضيا بعضوية المستشار في المجلس الإداري للجمعية المنتخب عام 1931، لذلك إتخذ جانب المعارضة للحركة الإصلاحية، وبالتالي فإنه يمثل وجهة نظر الطرقيين الذين فشلوا في إنتخابات المجلس الإداري للجمعية، إثر مقاطعتهم لها، وراحوا يدعون إنشاء جمعية منافسة لجمعية العلماء فكانت هذه الجمعية[2].

وعن جمعية علماء السنة يقول الإبراهيمي: "... فما بال أصحابنا علماء السنة يتسمون باسم لا يلتقون مع معناه في طريق ولا يقوم عليه شاهد من أقوالهم ولا ينتزع عليه دليل من أفعالهم، لولا أنها الشعوذة لبستهم فأنكرناهم فيها فلبسوها فأنكرناها عليهم، فخرجوا من باب اللباس إلى باب التلبس وقالوا نحن قوم أصحاب أسماء قد أسقطنا الواقع من إعتبارنا، وأسقطنا الأعمال من حسابنا فلا نرفع بها رأسا ولا رجلا، وما دمنا بهذه الصفة وما دامت في هذه الأمة بقايا من البله والغفلة والنية فلندع أنفسنا بالعلماء وإن لبسنا بالجهل سرابيل، ولنسمي أنفسنا "علماء السنة "، وإن كنا نخوض في البدعة خوضا فجاء هذا الإسم كما ترى وليس في الأسماء أكذب منه ولا أشد منافرة لمسماه"[3].

وكانت فكرة الانفصال عن جسم الجمعية بإيعاز من الإدارة الفرنسية وأعوانها ذوي الوظيف، ورجال الطرق، وذلك لا لشيء سوى بغية الحفاظ على مناصبهم واستئصال رجال الإصلاح من المشروع الوطني وتأليب الرأي العام الجزائري ضدهم4، فأصدر مؤسسو جمعية علماء السنة بيانا

---

[1] مولود الحافظي: (1895م – 1948م) من قبيلة بن حافظ بنواحي سطيف، تعلم مبادئ العلوم بمسقط رأسه ثم سافر إلى بلاد المشرق العربي وتابع تعليمه بالأزهر الشريف، تحصل على الإجازة العلمية، بدأ نشاطه الصحافي في الجزائر مند 1925م، كما ساهم في تةأسيس جمعية العلماء المسلمين 1931م، وفي السنة الموالية إنشق عن الجمعية مع جماعته، ولم يكن راضيا بعضوية المستشار في مجلس جمعية العلماء واسس جمعية علماء السنة كما تولى تحرير جريدة الإخلاص لسان حال هذه الجمعية، وبذلك زادت الهوة بينه وبين المصلحين، للمزيد أنظر

Ali Merad:Le reformisme Musulman en Algerie de (1925 - 1940), 2éme edition, el hikma, Alger, 1999, p 131 .

[2] أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 180.

[3] الإبراهيمي، الأثار، ج1، ص 114.

[4] أحمد مريوش، " دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1931م – 1952م)، الرؤية، السنة الأولى، العدد 2، ماي / جوان 1996، ص 136.

ذكروا فيه أن رجال الإصلاح هم الذين بدأوا العداوة بينهم وبين الطرقيين، وأنهم تآمروا على الاستئثار بالجمعية، وإخراجهم منها، كما أصدروا صحيفة الإخلاص (14 ديسمبر 1932م)، وتميزت محاربتهم للجمعية بوصف الجزائر قبل الجمعية بأنها هادئة جدا والكل ينعم بالتآخي والمحبة1، حيث رد عليهم الشيخ الإبراهيمي عما يدعيه رجال جمعية علماء السنة وصحفها بترك الكذب على السنة والتلبس باسمها كما دعاهم بعدم رميهم لزعماء الجمعية بالوهابيين2.

كما سخر من جرائدهم وشعاراتها في قوله: " ومن المضحكات أن جريدة الإخلاص وضعت فوق اسمها أية وتحتها حديثا كأنهما شعار لها ولكنك لا تكاد تجاوز الإسم وما فوقه وما تحته حتى تجد نفسك خرجت من بحر لبر، ولا تجد أثرا ولا رائحة من معنى الآية ولا من معنى الحديث ولا تذوق لهما طعما وتمر على صحائفها الأربع بأنهارها وسواقيها فلا ترى إلا دعاءا للشر لا للخير، ولا ترى إلا بدعا تشهر وتنصر ومنكم لا غير" [3].

ولم يكن لجمعية علماء السنة إستوعدادا لمسايرة التطور والأخد بالأساليب الحديثة لتطوير أساليبها وتوسيع نشاطها مما أفقدها الكثير من أتباعها.

والظاهر أن الشيخ الإبراهيمي أراد مقاومة هذه الجمعية، والقضاء عليها في كل باطل ومنكر وشر، وذلك لما لها من إفساد للعقول وقتل للمواهب إذ يقول بهذا الصدد: " **إن هذه السنة المطهرة تأبى علينا أن نهن مع هؤلاء الأدعياء، أو نلين لغمزاتهم، أو نتسامح معهم، أو نقرهم على باطلهم، أو نخلي لهم الميدان ليفسدوا من هذه الأمة ما أصلحه الدين، ويفرقوها بكثرة النسب بعد أن وحد الله نسبتها، وينحطوا بها إلى أسفل الرتب بعد أن رفع رتبتها... "** [4].

---

[1] مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931م- 1939م)، تقديم أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار القلم – دار العلوم، دمشق – بيروت، 1988م، ص 142.

[2] الإبراهيمي، الأثار، ج 1، ص 115.

[3] نفسه، ص 125.

[4] الشيخ الإبراهيمي، الآثار، ج 1، ص 42.

ويضيف الشيخ أن السنة المطهرة تأبى لنا إلا أن نسميهم بأسمائهم وأن نفضح مخازيهم وننزع عنهم هذا التوب المستعار، ونظهرهم للأمة الجزائرية كما هم في الحقيقة والواقع، لا كما في الدعوى والزعم. [1]

والحق أن البشير الإبراهيمي طلب من علماء السنة أن يسلموا بالعلم والكتاب والسنة وهدى السلف الصالح، لأن التسليم من أصول هؤلاء المنسابين نحو السلطات الفرنسية، ولا يجب التسليم لكتاب الله إلا إذا قام دليله، ولهدي نبيه إذا اتضح سبيله.

لهذا كان موقف الإبراهيمي صريح معهم، وواجب تسمية كل شيء باسمه وأن الحق فوق كل الأشخاص من حيث أن السنة لا تسمى باسم من أحياها، وأن الوهابيين قوم مسلمون يشاركون علماء السنة الانتساب إلى الإسلام، بل يفوقونهم في إقامة شعائرهم وحدوده، وأكد الشيخ على أن الإصلاح مبدأ وفكرة وليست مسألة أشخاص، وذلك ما تقتضيه حالة الأمة الجزائرية المسلمة.[2]

والجدير بالذكر أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي لم تنفق كل أوقاتها، ولم توجه قوتها إلى هذه الجمعية، كما يتوهم البعض، بل أن للجمعية برنامجا إصلاحيا عمليا، وهي موزعة أعمالها على فصوله واقفة على كل عمل عندما يتهيأ لها من وسائله، ويتيسر من أسبابه، وقد عمل في سبيل تحقيق هذا الهدف.

– الإبراهيمي والمؤتمر الإسلامي الأول 1936م:

وفضلا عن أعمال الإبراهيمي التربوية منها والإجتماعية، التي كان يقوم بها في مدينة تلمسان منذ أن إنتدبته جمعية العلماء المسلمين للإشراف على الحركة الإصلاحية، ولج الإبراهيمي باب النشاط السياسي من خلال مشاركته البارزة رفقة الشيخ ابن باديس والشيخ العقبي عن جمعية العلماء، في الأشغال التحضيرية للمؤتمر الإسلامي الذي أنعقد بقاعة الماجستيك [3] بالعاصمة في 07 جوان 1936م، وضم لأول مرة حوالي خمسة ألاف مشارك من مختلف الإتجاهات السياسية والوطنية في الجزائر، وقد تم إنتخاب الإبراهيمي في مكتب

[1] الشيخ الإبراهيمي، الآثار، ج 1، ص 42.

[2] نفسه، ص 59.

[3] هي قاعة الأطلس حاليا.

المؤتمر، واختير عضوا في اللجنة المؤقتة التي أوكلت لها مهمة تنظيم المطالب، وترتيبها والسعي إلى تكوين لجنة تنفيذية للمؤتمر.[1]

كما كان من الأعضاء الذين مثلوا جمعية العلماء بمعية بن باديس والشيخ العقبي في الوفد الذي تم تشكيله من ستة عشر عضوا يمثلون مختلف التيارات السياسية المشاركة لنقل مطالب المؤتمر إلى حكومة الجبهة الشعبية في باريس، والتي تضمنت ثقة الوفد في الحكومة وشكرها على عواطفها إتجاه الأمة الجزائرية، والمطالبة ب:

أ – إلغاء جميع القوانين الإستثنائية الخاصة بالمسلمين.

ب – تحويل المسلمين الجزائريين جميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون مع المحافظة التامة على الأحوال الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري.

ج – منح الأهالي المسلمين حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي[2].

وقد اعتبر الشيخ الإبراهيمي انعقاد المؤتمر الإسلامي الذي استطاع أن يجمع لأول مرة مختلف التيارات السياسية والوطنية بالجزائر، يوما مشهودا من أيام الجزائر التي ستبقى خالدة في تاريخها المعاصر 3.

وأثناء الإحتفال الشعبي الكبير الذي أقيم على شرف أعضاء الوفد بعد عودته من فرنسا بالملعب البلدي بالعاصمة في 2أوت 1936 م، ألقى الإبراهيمي خطابا نوه فيه بالمجهودات التي قام بها أعضاءه، ونشكرهم على تبليغهم للأمانة التي كلفوا بها رغم فشل المؤتمر في مسعاه بسبب رفض الحكومة الشعبية للمطالب التي رفعها إليها.[4]

ولقد مثل فشل المؤتمر الإسلامي الأول في مسعاه منعرجا حاسما في المسار النضالي للشيخ الإبراهيمي، إذ أفرز تغييرا كبيرا في نظرته للسياسة الإستعمارية، وأساليبها في التعامل مع

---

[1] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 1، ص 250.

[2] إبن العقون، المصدر السابق، ج 2، ص 24.

[3] البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 250.

[4] محمد زرمان: معالم الفكر السياسي والإجتماعي عند الشيخ الإبراهيمي، ديوان المطبوعات الجامعية، باتنة، الجزائر، 1988 م، ص 26.

الجزائريين، وتأكد من أن أسلوب المفاوضات والمساومات لا ينفع مع الإستعمار الفرنسي، فلا بد إذن من طرق أبواب أخرى ومنها أسلوب التصعيد معه أكثر [1].

وعاد بعد ذلك إلى مركزه بتلمسان، ليواصل نشاطه التربوي والإصلاحي بالإقليم الوهراني بعزيمة وإرادة فلاذيتين.

- مواقفه من الأحزاب الوطنية:

في بادئ الأمر. يعتبر الإبراهيمي نفسه والجمعية حكما بين الأحزاب إذا تنازعت في شيء أو اختلفت في شان، حيث يقول في هذا الصدد: «فان جمعية العلماء فوق الأحزاب كلها، ما ظهر منها وما علن، ولقد اتصلت بجميع الأحزاب، فرادى ومجتمعين في المصالح العامة فأرتهم بأقوالها وأعمالها أنها فوق الأحزاب،

وقد احتكت بها جميع الأحزاب، ومن خاطب لودها إجلالا، إلى دائم من نفوذها استغلالا إلى عامل على الكيد لها إحتيالا.... فأرتهم بمعاملاتها لجمعهم أنها فوق الأحزاب»[2]، ويقصد الإبراهيمي بفوق الأحزاب أنها هي فوقية الإرشاد والنصيحة والمحافظة على الوحدة، لا فوقية التعالي والترفع.

النواب (فدرالية المنتخبين الجزائريين 1927/09/11 م).

إن أول احتكاك للإبراهيمي برجال السياسة والأحزاب الوطنية كان مع النواب، فبالرغم من الاختلافات الجوهرية بين مبادئ الجمعية الرافضة للفرنسة والتجنس والإلحاق، ومبادئ الفيدرالية المتعاونة مع فرنسا والمؤيدة لسياسة الفرنسة والتجنس[3]. نجد هؤلاء النواب وعلى رأسهم فرحات عباس وابن جلول أيدوا مطالب الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين في المؤتمر الإسلامي، والتي تتلخص في فصل الدين عن الدولة، وحرية التعليم العربي، وحرية الوعظ والإرشاد في المساجد، كما أنه وقبل انعقاد المؤتمر الإسلامي، كانت تربط الإبراهيمي في تلمسان علاقة متينة بالنواب، لكن هذا الموقف لم يستمر طويلا لان بعض النواب كانوا يريدون استعمال الجمعية لشهرتهم ثم

[1] البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 5، ص 238.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، " دعوة مكررة إلى الإتحاد"، البصائر، مقال سابق، ص 2.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، يوم الجزائر، الشهاب، ج4، م12، جويلية1936 م، ص 232.

يتركونها أمثال ابن جلول، وقد تحصل على هذه الشهرة والدعاية برئاسة المؤتمر الإسلامي ووفده إلى باريس، وقرر بعد ذلك أن يتملص منها حيث يعلق الشيخ الإبراهيمي عن هذا بقوله:«.... لان اسم ابن جلول، وزعامته السياسية تجاوزت مقاطعة قسنطينة على المقاطعتين الأخريين (الجزائر ووهران)، ولكن الرجل تملكه الغرور، وتذبذبت سياسته بين الفردية والأنانية وبين الوطنية التي تذوب فيها الفردية والأنانية... وظهر بعده سياسيون اصدق منه وطنية... وكان أقوى الأسباب في سقوطه وإصدامه لجمعية العلماء وهي التي كونته وأذاعت اسمه وعبدت له الطريق إلى النيابات...» [1]

وإذا كان موقف الإبراهيمي من ابن جلول واضحا فهو على العكس من ذلك بالنسبة للنائب فرحات عباس، إلا أن العلاقة بينهما تظهر بطابع التعاون والتقارب وذلك من خلال تتبعنا لعلاقة الجمعية بحزب البيان ثم الاتحاد الديمقراطي للبيان، حيث أيد الإبراهيمي مطالب عباس في البيان خاصة بعد تخلي فرحات عباس عن فكرة الإدماج، وهو الذي كان يهدف لتحويل الجزائر من مستعمرة فرنسية إلى مقاطعة فرنسية، وبعد انفصاله عن كتلة النواب وابن جلول، ليعزز وجوده أكثر بالتقرب إلى العلماء، وإدراكه أن كل حركة بعيدة عن الشعب فمآلها الفشل، وأن أقرب طريق إلى الشعب هي جمعية العلماء المسلمين، ودافع بقلمه واتصالاته عن الجمعية ومشاريعها.

كما نلمح هذا التقارب من خلال موقف الإبراهيمي وفرحات عباس من مرسوم 7 مارس فقد هاجم كل منهما هذا التشريع الفرنسي هجوما شديدا، واعتباره خطوة عملية لإدماج المسلمين الجزائريين في المجتمع الفرنسي، وكونا بالاتحاد مع حزب الشعب الجزائري جبهة متجددة لمعارضة هذا الإجراء الجديد وإنشاء حركة أحباب البيان والحرية، واتفق الإبراهيمي وفرحات عباس على مقاومة الاستعمار وفضح مناورات الإمبريالية وأعمال الرجعية الإقطاعية من أوروبيين وجزائريين، والعمل على تقريب فكرت الأمة الجزائرية[2].

[1] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج 5، ص 132

[2] عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى(1931-1945)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 283.

وقد ازداد هذا التقارب وتوطد العلاقات بين الإبراهيمي وفرحات عباس بعد مجازر وأحداث 08 ماي 1945 م وسجنهما في سجن واحد[1]، حيث يقول الإبراهيمي: «وكان زملائي في السجن الدكتور محمد الشريف سعدان رحمه الله، والصيدلي فرحات عباس...».

ويمكن تفسير هذا التقارب بين الإبراهيمي وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ورئيسه فرحات عباس بجملة من العناصر المشتركة بين الطرفين، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- مبدأ الإبراهيمي في العمل السياسي الذي يرتكز على مرحلية المطالب، جعله يميل أكثر إلى حزب فرحات عباس.
- رغبة حزب البيان في التقرب من الجمعية لكسبها المصداقية الدينية منهم.
- كفائتهم العلمية وطاقتهم الفكرية التي كان الشعب في أمس الحاجة إليها.[2]
- موقف الإبراهيمي من نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري:

فإذا كانت مواقف الإبراهيمي متقاربة مع فرحات عباس، فإنها على العكس من ذلك بالنسبة لحركة مصالي الحاج، فبالرغم من تقارب مبادئ الإبراهيمي والجمعية، ومبادئ حركة مصالي فكلاهما يرفض سياسة الإدماج ويهدف للاستقلال إنما الاختلاف في الأسلوب.

ونلمح هذا التوتر بين الطرفين في العلاقات إلى جملة من المحطات، وعلى رأسها معارضة النجم لمطالب المؤتمر الإسلامي خاصة فيما يتعلق بربط الجزائر رأسا بفرنسا وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي الذي يؤدي إلى الإدماج وضياع الوطنية، وتحميلهم المسؤولية للعلماء الذين عملوا على تجميع الشعب من حول المؤتمر لثقته فيهم، في حين كان الإبراهيمي يؤيد المؤتمر الإسلامي مادامت الشخصية القومية محفوظة من خلال حرية التعليم العربي وفصل الإسلام عن الإدارة الفرنسية، والمحافظة على الأحوال الشخصية، إضافة إلى رفض أنصار مصالي الحاج دعوة الإبراهيمي سنة 1947 م، للوحدة بين حزبي الإتحاد الديمقراطي للبيان وحركة الانتصار للحريات في الانتخابات بتقديم قائمة موحدة وحثهم على تناسي نزاعاتهم، وخلافاتهم الحزبية

[1] محمد البشير الإبراهيمي، " أنا"، مقال سابق، ص 28.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 3، ص 29.

الضيقة حتى لا تتشتت الجهود ويفوز الخصوم[1]، وحسب الشيخ محمد خير الدين أيضا فإن مصالي الحاج رد بالإيجاب إذ وعد الإبراهيمي بقبول المبادرة، ولكنه لم يوف بوعده، وهو ما أدى إلى فشل مساعي التوحيد تلك التي كان ينشدها الإبراهيمي، حيث تقدمت الأحزاب الوطنية بقوائم مستقلة عن بعضها البعض، مما دفع بالإبراهيمي إلى الغضب والنقد الجارح لتلك الأحزاب وعلى رأسها المصاليين، على صفحات جريدة البصائر، فوصف سلوكاتها بالكذب والنفاق السياسي، وهاجم بشدة أساليبها التي تقرن المبادئ بالخضوع المطلق للأشخاص وتقديس وعبادة الزعامات، في حين تحتقر الأمة بعدم الالتفات والتقرب إليها لتوجيهها الوجهة السليمة[2].

إن هذا النقد العنيف الذي وجهه الإبراهيمي لمصالي وحزبه، ينبع من تذمره الشديد من الخصومات والحساسيات والنظرة الحزبية الضيقة التي كانت السمات الغالبة والدائمة في تعامل مثل هذه الأحزاب فيما بينها رغم وحدة الواقع والأهداف، وهو ما خدم الاستعمار، ولذلك جاء صوت الإبراهيمي جهيرا يدعو إلى الترفع عن مثل هذه التفاهات التي لا طائل منها، لان الخاسر فيها في النهاية هو الجميع ماعد الاستعمار. وقد اعتبر كل ذلك طريقة سياسية لاتختلف عن الطرقية الدينية تفسد الجيل الناشئ في أفكاره وإيمانه وأخلاقه، وتلهيه عن واجباته الحقيقية اتجاه أمته[3].

ويبدو من خلال ماسبق ذكره أن الإبراهيمي كان يوالي حزب فرحات عباس على حزب مصالي الحاج. وهذا أمر يشوبه ريب ،فالإبراهيمي لم يكن يوما "بيانيا " ولا "انتصاريا " إنما كان حكما بين الحزبين، والدليل على ذلك هو ما جاء في إحدى محاضراته 1955م، والتي أكد فيها دور كل من الحزبين في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، واعترف بعملهما في سبيل الاستقلال، حيث يقول:« أما الحركة الوطنية بمعناها الصحيح المنطبق على لفظها، فقد قامت بها في الجزائر ثلاث هيئات تتفاوت في القوى والضعف، وفي الشدة والتسامح وفي التسرع والأناة وفي وضوح المبدأ وغموضه، وفي استقامة الاتجاه والتوائه، ولكنها لا تختلف في الغاية، وهي العمل والإعداد

[1] محمد خير الدين، مذكرات، مصدر سابق، ج 1، ص 302.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 3، ص 28.

[3] نفسه، ص 55.

لاستقلال الجزائر وإنقاذها من الاستعمار الفرنسي... الهيئة الأولى فهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأما الهيئة الثانية فهي حزب الشعب الجزائري، وأما الهيئة الثالثة فهي حزب البيان الجزائري »[1].

وخلاصة القول نستنتج أن نشاط الإبراهيمي لصالح القضية الوطنية الجزائرية في الفترة ما بين1931 م- 1945م، وقد إكتسى طابعا تدريجيا وتصاعديا إذ كان يغير أو يطور أساليب ووسائل النضال والمقاومة حسب الظروف والتطورات هذا من جهة، ووفقا للإستراتيجية التي خطط لها رفقة صديقه الشيخ ابن باديس في لقائهما الأول سنة 1913 م، ومن جهة أخرى، وقد كانت تلك الإستراتيجية تزداد نضجا عبر زياراتهما التنسيقية والتشاور فيما بينهم.

ودون شك فإن وجود الشيخ الإبراهيمي في هرم جمعية العلماء المسلمين قد أعطى سندا قويا للشيخ ابن باديس وللمشروع الإصلاحي، إذ كانت تستشيره في كل صغيرة وكبيرة، ويرى فيه مستقبل الفكر الإسلامي في الجزائر، لما كان يتمتع به من قدرات علمية وفكرية، وروح نبيلة وأخلاق رفيعة وجرأة وشجاعة كبيرتين وهي خصال ضرورية لأي نشاط إصلاحي كان أو سياسي.

ورغم الفراغ الكبير الذي تركه وفاة الشيخ إبن باديس، إلا أن الإبراهيمي تمكن من مواصلة قيادة جمعية العلماء والإصلاح معا بثبات وحكمة، واستطاع أن يخرج الجمعية تدريجيا من قيد كونها جمعية تربوية، ثقافية ودينية إلى فضاء أوسع وهو الفضاء السياسي، بالمشاركة في الحياة السياسية الوطنية عن طريق عقد الإتصالات واللقاءات مع مختلف قادة الأحزاب السياسية الوطنية، من أجل توحيد المواقف اتجاه السلطات الفرنسية.

وقد كان المؤتمر الإسلامي الأول الذي أنعقد بمدينة الجزائر سنة 1936م البداية الحقيقية لهذه النقلة النوعية في نشاط العلماء وعلى رأسهم البشير الإبراهيمي.

والحق أن الإبراهيمي لم يكتف بانتزاع لقب الإمام والمصلح فحسب بل تمكن من البروز كرجل سياسي محنك رغم تكوينه الأدبي والسياسي، مفندا بذلك المزاعم التي كان يدعي أصحابها أن العلماء لا يصلحون لممارسة السياسة وعليهم الاكتفاء فقط بسلطتهم التربوية والدينية.

[1] محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 5، ص 136.

وفي المقابل من ذلك أدت النجاحات التي كان يحققها الإبراهيمي يوم تلوى الآخر في المجالات التربوية والسياسية، إلى اصطدامه بالإدارة الاستعمارية التي أصبحت ترى فيه خطرا يهدد القضية الفرنسية في الجزائر حيث ما حل وارتحل.

ولما يئست الإدارة الإستعمارية من تدجينه وضمه للعمل في إطار الدوائر الإستعمارية، من خلال المناصب المغرية التي كانت تعرضها عليه في كل مرة عساه أن يغير من مواقفه، أنزلت به عقوبة الإبعاد والنفي إلى منطقة آفلو الصحراوية، التي مكث فيها قرابة ثلاث سنوات (1940م – 1942م)، ثم سجنته لمدة إحدى عشر شهرا بتهمة تدبير أحداث 08 ماي 1945م.

ورغم ما كانت تمارسه الإدارة الإستعمارية عليه من ضغوطات ومطاردة ونفي وسجن، إلا أن الإبراهيمي ظل متمسكا بمواقفه الرافضة للتعاون مع سلطات الاحتلال أو مهادنتها، وبالثبات على النهج الذي اختاره في بداية الطريق هو إصلاح العقول التي أفسدها الاستعمار والطرق الصوفية التي تحالفت معه.

الفصل الرابع

مواقف الإبراهيمي من بعض قضايا عصره

1–حركات التحرر في بلدان المغرب العربي:

أ – قضية المغرب الأقصى.

ب– القضية التونسية.

ج – القضية الليبية.

2 – قضايا المشرق العربي:

أ – القضية الفلسطينية.

ب – القضية المصرية.

تفاعلت جمعية العلماء المسلمين منذ نشأتها سنة 1931م مع قضايا المغرب العربي، فساندت الحركات التحريرية والإصلاحية ودعمت مسعى الأحزاب، والمقاومة المسلحة في صراعها مع الإستعمار، فقد إستطاعت أن تجعل منطقة المغرب العربي كتلة ثقافية وحضارية تخوض حرب الهوية والمقومات الوطنية، وكثيرا ما تصادمت مع السلطات الإستعمارية إدارة وأعوانا ومستشرقين وكنيسة، لهذا كانت تدعوا إلى توحيد العمل وتنسيق الجهود، حيث دأبت الجمعية على تثبيت خصوصية العروبة بالشمال الإفريقي بجميع أجزائه لهذا أتبثت أن أساس وأقدم عهد وأصفى عنصرا من إنجليزية الإنجليز وألمانية الألمان[1]، ولذلك كان الإلحاح شديدا على التناصر بما أمكن من الوسائل " بالكلام وهو سلاح المغلوب، ونتعاون بالأقلام وهي بقية المتاع المسلوب[2].

وهذا التوجه فرض على رجال الجمعية وعلى رأسهم الشيخ الإبراهيمي حيث نسج علاقات سياسية وثقافية وعلمية مع أقطار المغرب العربي ولو بدرجات مختلفة ويظهر هذا من خلال مساندته للحركات الإستقلالية في المغرب وإرسال البعثات الطلابية إلى جامع الزيتونة وغيره، إضافة إلى مساندته القضية الفلسطينية العادلة.

1 – حركات التحرر في بلدان المغرب العربي وموقفه منها:

أ – قضية المغرب الأقصى:

- **المؤسسات الدينية:**

بإعتبار أن القرويين أحد القلاع الثقافية بالمغرب العربي، فقد كان محل إهتمام كبير من قبل علماء الجمعية، وحضى بزيارة أحد رجال الجمعية السيد حمزة بوكوشة، ولقاءه بمدير جامعة القرويين الذي إستعد لقبول الطلبة الجزائريين، وأطلع على النظام الدراسة، وتخصيص أقسام للبنات فيها، وفي أوائل الخمسينات إهتمت الجمعية بقضايا الطدلبة القرويين ووضعهم السيئ، نشر مطالبهم على جريدة البصائر المقدمة للملك، ومنها إحترام الحق المقرر للقرويين والمعاهد الدينية،

[1] الإبراهيمي، " عروبة الشمال الإفريقي "، البصائر، العدد 150، السنة الرابعة، 03 رجب 1370هـ، 09 أفريل 1951م، ص 6.
[2] نفسه.

وإحداث نظام جديد وعصري، وإدخال علوم جديدة ولغات أجنبية وتشكيل المجلس الأعلى للقرويين والمعاهد الدينية[1].

ودعت الجمعية إلى ضرورة التكفل بطلبة العلم القرويين[2] في ظل السياسة الإستعمارية الفرنسية، التي تريد محو الثقافة العربية والإسلامية، وبحكم سعي الجمعية إلى إخراج المؤسسات الدينية من دائرة التصرف الإستعماري تتلاقى في ذلك مع نظرة علماء الدين المغاربة إثر ما سمي: بثورة الجلاوي وطلبه من فرنسا حماية الإسلام ومؤسساته، وقد إعتبر ذلك الشيخ الإبراهيمي إبليس يأمر بالمعروف[3].

- أزمة نفي محمد الخامس:

إبتداءا من سنة 1953م كانت قضية نفي محمد الخامس وخلعه من العرش، لهذا سعت الجمعية إلى مخاطبة الحكومة الفرنسية، والإحتجاج عليها، ومخاطبة الضمائر الحرة، وكذا الجامعة العربية، للعدول عن هذا الأمر، إضافة إلى مخاطبة الشعب المغربي للإلتفاف حول ملكه، وكان هذا سواء من داخل الجزائر أو من مكتب الجمعية بالقاهرة.

أصدرت الجمعية وعلى لسان رئيسها من مكتبها بالقاهرة رسالة إحتجاجية إلى الحكومة الفرنسية حول المغرب الأقصى أكد فيه " **أن أعمال فرنسا وتصرفاتها مع السلطان أثار غضب العالم الإسلامي كله على فرنسا، وحركت فيهم روح الانتقام، لأن كل ما تفعله حكومتكم ضد السلطان يعد تعديا شنيعا** "، ونبه فرنسا على أنها مارست عملا منافيا ضد السلطة الدينية، متناقضا مع إتفاقيات الحماية الجائرة ذاتها، وأن هذه الأعمال ليست في مصلحة فرنسا وسمعتها في العالم، ويجب عليها ألا تنجر وراء شرذمة من أصحاب المصالح الشخصية في المستعمرات[4]،

[1] البصائر، العدد 136، السنة الرابعة، 29 ربيع الأول 1370 هـ – الموافق 07 جانفي 1951م، ص 8.

[2] البصائر، العدد 22، السنة الثامنة 1376هـ، ص 2.

[3] الإبراهيمي، " إبليس يأمر بالمعروف «، البصائر، العدد 144، 20 جمادى الأول 1370هـ، 26 فيفري 1951م، ص 1.

[4] "برقيات إحتجاج "، البصائر، العدد 240، السنة السادسة، 16 محرم 1373هـ، 25 سبتمبر 1953 م، ص 01، وذكر ذلك الشيخ الإبراهيمي في أثاره، ج4، ص 89، وأخذت الرسالة توقيع الإبراهيمي والورثلاني من مكتب الجمعية في القاهرة.

والملاحظ أن معظم البيانات التي كانت تخاطب فرنسا، أو تهاجمها في قضية المغرب كانت صادرة عن مكتب الجمعية بالقاهرة، وهذا بحكم وجود الشيخ الإبراهيمي بمصر.

كما توجهت الجمعية إلى الشعب المغربي ودعوته إلى الوحدة والإلتفاف حول ملكه المخلوع، وعدم الإعتراف بالملك المنصب، ويبدو أن الجمعية كانت تجند محمد الخامس، وإهتمامه بتعليم اللغة العربية، والعلوم الدينية وإعتزازه بالموروث الحضاري الإسلامي، ووفائه بوطنه رغم الضغوط الكبيرة عليه، ورغم أن الشيخ الإبراهيمي يقر أنه لا تروقه الأنظمة الملكية أو التقرب والثناء على الملوك، ولكن يثني على الأعمال الصالحة فينصرف الثناء إلى العاملين بإتباع، وليس على الأشخاص لذواتهم أو لمقاماتهم التي قررتها الأوضاع والمصطلحات [1]، والملاحظ أن الملك محمد الخامس حضي بمدح وثناء واسع سواء من خلال الجرائد العربية أو جريدة البصائر.

وبعد التأكيد على شرعيته، كان الإحتفال بعودة الملك محمد بن يوسف للعرش وقدومه لوطنه، حيث حاول وفد من الجمعية التوجه نحو المغرب لتهنئة السلطان بسلامة عودته إلى عرشه[2]، وفي ظرف إندلعت فيه ثورة التحرير وتوسط هذا الوفد[3] بفرحات عباس للحصول على موافقة فرنسا على الخروج إلى المغرب، وقد وجد رجال الجمعية ترحابا وتعاطفا لدى الملك وتفهما للثورة في الجزائر[4].

ب- القضية التونسية:

- التيار الإصلاحي:

تعتبر بلدان المغرب العربي متشابهة الروابط ولهذا فالحدث فى احداها يؤثر على البقية وخاصة فى المرحلة التحريرية وقد اكد الشيخ ابن باديس ان الروابط عديدة بين تونس والجزائر بل بين المغرب العربي بصفة عامة طرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى كالروابط العلمية والسياسية التي داقت بها هده الاقطار حلاوة الاستقلال تحت ضل الاسلام والتاريخ يشهد على

[1] الإبراهيمي، الأثار، ج 2، ص 679.

[2] البصائر، العدد 343، السنة الثامنة، 16 ربيع الثاني 1375 هـ، 02 ديسمبر 1955 م، ص 01.

[3] يتكون الوفد: العربي التبسي، الشيخ محمد خيير الدين، عبد اللطيف سلطاني، أحمد توفيق المدني.

[4] مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج2، ص 175.

ذلك، وبحكم الامتداد الجغرافي لهده الاقطار والروابط الثقافية والتأثر السياسي المشترك بالأحداث التي مرت بها المنطقة وقد عزز هده الروابط البعثات العلمية الطلابية نحو تونس ومنها جعلت الجزائريين يشاركون في الحياة السياسية والوطنية بتونس عن طريق الانخراط في صفوف الاحزاب التونسية او الكتابة في صحفها وندكر بالأخص الشيخ الإبراهيمي وكتابته في الصحف التونسية وعلى سبيل المثال حماية الادب والقومية العربية لبقية معهد الزيتونة.

يعتبر معهد الزيتونة احد الروابط الهامة في تواصل العلاقات الثقافية والروحية وفي بناء جسور التنسيق وتوجهات الحركة الوطنية في كلا البلدين ودلك من خلال العدد الهائل من الطلبة الجزائريين الدين كانوا يقصدونه قبل ان تؤسس جمعية العلماء وعززت الجمعية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية صلتها بالمعهد في ارسال البعثات العلمية الطلابية وبغض النظر عن ظهور عدة حوادث عابرة في المعهد والتي نقلت جزء من الصراع الدائر في الجزائر الى اوساط الطلبة بتونس فان التعاون بين الجمعية والمهد قد تطور الى تبادل الخبرات والزيارات بين رجال المعهد الباديسي والزيتونة، حيث زار مدير معهد الزيتونة علي النيفر مقر دار الطلبة بمعهد ابن باديس بقسنطينة على إثر إفتتاحها، وكان الشيخ الإبراهيمي وعلي النيفر رئيس الحفل شرفيا، وقدم هذا الأخير كلمة أكد فيها على تثبيت الروابط بين البلدين[1].

- **قضية المنصف باي:**

أخذت قضية المنصف باي إهتماما كبيرا من طرف الجمعية وعلى رأسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي كتب عدة مقالات أشاد فيها بمواقفه الوطنية وعدم خضوعه للإدارة الإستعمارية، وهذا ما عرض المنصف إلى المنفى[2]، ومات بفرنسا، ورثاه الشيخ الإبراهيمي بهذه الكلمات: " **لو مات بأي بقعة بأرض الجزائر لكانت هي تونس نظرة وإخضرارا، ولأكتسبت الجزائر بجميع أقطارها شرفا ممن مات ميتة الشرف.. أي والله لو مات المنصف في الجزائر لمات في وطنه، وبين أهله، ولكنه مات " ببو " في دار غير داره وفي وطن غير وطنه الذي لقي الأذى في سبيله...**

[1] "الاحتفال بدار الطلبة معهد ابن باديس "، المنار، العدد 49، السنة 03، 14 ربيع الأول 1373 هـ، 20 نوفمبر 1953 م، ص 02.

[2] نفي إلى الأغواط بالجزائر، ثم إلى تنس ثم إلى (يو) جنوب غرب فرنسا.

وما زالت الأوطان محتاجة إلى هذا النوع السامي من الهمم، فإن كانت في الغربة جمالا، فإن كانت نتيجة للظلم زادت جمالا، فإن كانت في سبيل الوطن كانت جلالا وجمالا، فإن صاحبها سلب العز والملك كانت حلية وكمالا كل ذلك إجتمع في موت المنصف "[1]، وحز في نفسه أن مات وتونس ليست حرة طليقة[2].

- موقفه من إعتقال بورقيبة:

يتجلى موقف الشيخ الإبراهيمي من قضية بورقيبة عند إعتقاله عند أحد المظاهرات في بنزرت، وغيرها، فقد وجهت الجمعية عدة رسائل ومساعي منفردة في قضية بورقيبة ومنها الرسالة الموجهة إلى سفير الحكومة الفرنسية بالقاهرة بإمضاء الشيخ الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني والتي جاء فيها: " **باسم الشعوب التي تجمعها العروبة ويظللها الإسلام في المغرب العربي، وتوحد بين قلوبها المظالم المنصبة عليها من حكومتكم نرفع إحتجاجنا الصارخ وإستنكارنا العميق للمعاملة القاسية التي يعامل بها الزعيم الحبيب بورقيبة، لا لشيئ إلا لأنه يطالب بحقوق بلاده، ونعد هذه المعاملة قتلا بطيئا أن أباحته قوانينكم الجائرة فستعاقبكم عليه قوانين الله العادلة**[3] "، ولنفس الغرض وجهت رسالة للجامعة العربية للتحرك من أجل القضية التونسية وزعمائها، وبإمضاء الشيخ الإبراهيمي والورتيلاني أيضا[4].

ج – القضية الليبية:

كان إحتلال ليبيا من طرف إيطاليا عام 1911م، في ظرف شهدت فيه الجزائر بدايات العمل الإصلاحي، وتبلور الفكر السياسي الذي يعتمد على التوعية والتنظيم، ولذلك تفاعل رجال الإصلاح مع مقاومة عمر المختار، والتي بلغت ذروتها عامي1930م و1931م، وفي حين نجحت إيطاليا في تسخير عدد من العملاء في الأوساط الدينية، ولذلك وجه ابن باديس نقدا لاذعا لرجال الدين الذين تعاونوا مع المستعمر الإيطالي وخاصة قاضي طرابلس الذي قدم سيفا

[1] الإبراهيمي " دمعة على المنصف "، البصائر، العدد 49، السنة الثانية ذي الحجة 1367 هـ، سبتمبر 1949م، ص 01.

[2] الإبراهيمي، الأثار، ج 02، ص 634.

[3] الإبراهيمي، الأثار، ج4، ص 111.

[4] المصدر نفسه، ص 112.

لموسوليني[1] ، وسماه سيف الإسلام، وأطلق على موسوليني حامي الإسلام[2]، وبعد إنهزام إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، تواصلت فترة الإدارة البريطانية والفرنسية مع بقاء جالية إيطاليا كبيرة في ليبيا، وهو مادفع بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى تحريض الليبيين على أخذ حقوقهم المسلوبة في وطنهم بليبيا، والعمل على توفير شروط الإستقلال قائلا: " **شروط الإستقلال الحقيقية هي الإيمان به مع التصميم ثم العمل له مع الإصرار ثم المحافظة بعد تحصيله** "[3].

وقد أوردنا هذا الكلام لإبراز الإهتمام بقضية ليبيا مبكرا من طرف الجمعية ورجالها وتضامنها مع القضية خاصة في المرحلة الحارجة من تاريخ ليبيا أي بعد إنهزام إيطاليا في الحرب، ومحاولة الدول المنتصرة فيها إقتسام ليبيا.

وفي بداية الخمسينات وجه الشيخ الإبراهيمي كلمة عبر " **صوت العرب** " بالقاهرة إلى الشعب الليبي مثمنا جهوده وحثه على المحافظة على هذا الإستقلال، وأنه جزء من إستقلال الوطن العربي، وخاصة أن ليبيا هي جسر بين الشرق والغرب عبر التاريخ، مؤكدا أن من أوجب الواجبات صيانة هذا الإستقلال " **وأن يجنبوه وهو في الخطوات الأولى مزالق المعاهدات مع من لا عهد له ولا ميثاق وأن يربطوا مستقبلهم بالشرق لا بالغرب، وبالقريب لا بالغريب** "[4]، وتأسف للإرتباطات التي ظهرت مع الإنجليز الذي وصفوا بنقض العهود، ونبه إلى أقدامهم التي ما زالت تدوس العراق والقناة والأردن (المفرق)، وفي شرق الجزيرة العربية، ويتماطلون في السودان، وحذر الليبيين من المعاهدة التي يراد عقدها مع الإنجليز: " **أيها الإخوان الليبيون إنها ليست معاهدة، إنها إستعمار جديد... إنها تمكين إختياري للعدو ومن رقابكم** "[5].

---

[1] بنيتو موسوليني:(1883م- 1945م) أسس الحزب الفشي الإيطالي عام 1919م، وإستولى على الحكم في أكتوبر 1922م، وتحالف مع هتلر 1940، وأقصي من الحكم 1943م ثم قتل من قبل الشعب بعد الحرب العالمية الثانية، أنظر: المنجد في اللغة والإعلام، ص 270.

[2] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 276.

[3] نفسه، ص276.

[4] الإبراهيمي، الآثار، ج 4، ص 269.

[5] الإبراهيمي، الآثار، ص269.

وحذر الشعب الليبي وقادته من الوقوع في هذه المكيدة طالبا منهم أن يراجعوا بصائرهم، وأنها صفقة خاسرة، تؤدي إلى بيع الوطن كله، وشرف الوطن كله وحرية الوطن كله، وأن ها الثمن البخس الذي تبيعون به وطنا كاملا وشعبا كاملا تستطيع كل حكومة عربية أن تسدده عنكم في كل سنة، وختم خطابه " **قفوا صفا واحدا في طريق هذه المعاهدة المخسرة حتى تمزقوها قبل أن تمزقكم.**"[1].

ونظرا لخطورة الوضع وما يراد من هذه المعاهدة التي كانت تلح عليها إنجلترا، فالشيخ الإبراهيمي والورتيلاني قد وجها رسالة من مكتب جمعية العلماء بالقاهرة إلى الملك إدريس السنوسي[2]، مشعرين إياه أن الشعوب العربية والإسلامية كلها ساخطة على المعاهدة التي يخطط لها كي تقيد الحكومة الليبية، وهي أشأم من كل إستعمار مضى، وأضاف: " **وإخوانكم في المغرب العربي يحتجون بشدةعلى هذا الإرتباط المشؤوم، لأنه قاطع لأوصال الوطن العربي، وقاضي على ما يعلقونه من آمال على إستقلال ليبيا، فباسم الجزائريين كلهم نطالبكم بإستخدام نفودكم لإبطال هذه المعاهدة المخزية أعانكم الله.** "[3].

- **الإبتهاج بإستقلال ليبيا:**

وبقدر هذا التواصل، والإهتمام والدعم الإعلامي، والروحي للشعب الليبي والوطن العربي، وهذا من خلال المباركة بالإستقلال، والبرقيات الرسمية، وهذا نص البرقية التي أرسلها رئيس جمعية العلماء المسلمين الشيخ الإبراهيمي إلى الملك إدريس السنوسي يهنأه بإستقلال ليبيا في 24 ديسمبر 1951م قائلا: " **جلالة الملك إدريس السنوسي ملك ليبيا بنغازي، جمعية العلماء المسلمين المترجمة عن إحساسات الأمة الجزائرية تعلن مشاركتها للشعب الليبي في إبتهاجه**

[1] الإبراهيمي، الآثار، ج 4، المصدر السابق، ص.271

[2] البصائر، العدد 240 المقال السابق، ص 1.

[3] الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 90.

بتحقيق إستقلاله وترفع إلى جلالتكم تهانيها الأخوية، راجية تتويج هذا الإستقلال بالوحدة الشاملة، والتقدم المطرد تحت رعايتكم الحكيمة "[1].

وحتى بعد إستقلال ليبيا ظلت العلاقات بين البلدين على ما يرام، وبروز دور الجمعية في الدفاع عن قضايا المغرب العربي، من خلال الرسائل والبرقيات، وحتى الكتابات في جريدة البصائر.

2- قضايا المشرق العربي:

أ - القضية الفلسطينية:

تعتبر القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي عايشتها جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ البشير الإبراهيمي ونظر إليها من وجهتين الأولى باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم[2]، والثانية أن فلسطين بلد عربي مسلم وقع في مخالب الدوائر الإستعمارية على غرار الأقطار العربية الأخرى، وسلم لليهود على مرأى ومسمع من العالم في وقت شهد هذا الأخير مدا تحريريا، ونبدت فيه الشعوب الإستعمار وأشكاله والإستعباد ومظاهره.

وعلق الشيخ الإبراهيمي على هذه المصيبة أن " **وباء الضانون ضن الخير بالضميرين الأوروبي والأمريكي بما يستحقونه من خيبة تعقبها حسرة ... وأن الدول الأوروبية والمريكية دول متحدة على الباطل، وحكمت الإنتخاب، وأي إنتخاب؟ لا يستسيغه عقل ولا مشرع.**"[3] ويقصد بذلك تقسيم فلسطين سنة 1947م، وقال أيضا: " **كان حظ اليهود منها بغير إنتخاب ولا قرعة، الجهات الخصبة المتصلة بالعالم... مامونة الإمداد والمرافق، وكان حظ العرب منها الجهات الرملية والقاحلة والجبلية والجرداء، وكان حظ بيت المقدس ميراث النبوة أن يصبح إرثا لأحفاد الصليبيين.** " [4].

---

[1] الإبراهيمي " تضامنا مع الشعب الليبي "، البصائر، العدد 179، السنة الرابعة، 09 ربيع الثاني 1371هـ، 07 جانفي 1952 م، عدد خاص، ص 13.

[2] " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " سورة الإسراء، الآية 1.

[3] الإبراهيمي " فلسطين "، البصائر، العدد 21، السنة الأولى، 01 ربيع الأول 1367هـ، 23 فيفري 1948 م، ص 01.

[4] نفسه.

وقد حمل الشيخ الإبراهيمي هذه الجريمة التاريخية بالدرجة الأولى: " **إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره** "[1].

كما أنه قال: "**وقد غركم أول الإنجليز، فأعيدكم أن تغتروا بأخذه بعد أن صرح شره، وافتضح سره**"[2].

واعتبر أن الإنجليز حريصين على إثارة الفتن في الوطن العربي لتأمين مشاريعهم، وأمن إسرائيل، وإختراق الإجماع العربي، وتمنى أن يتكتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم، وحذر العرب من كيد الإنجليز الذي لا يرد إلا بإجماعهم على مصلحة العرب لا الأشخاص.

كما أنه ناشد الساسة العرب بأنهم لا يصمدون أمام الإنجليز بقوة الجامعة العربية لوحدها، ما لم يستندون إلى شعوب موحدة بها نفس الشعور الجماعي، متجاوزة خلافاتها، مشتركة في أهدافها، وبحكم الأثر البالغ في نفسية الإبراهيمي قال أنه يعتز بعروبته إلى حد الغلو، ويعتديها إلى حد التعصب، وله بعروبته شرك في فلسطين، وإذ لم يؤد واجبه إتجاهها، ولم يوفي بالعهد ويسم بالعقوق لوطنه الأكبر، ووصم بالخيانة لدينه الجامع[3].

وشاركه نفس الموقف إتجاه القضية الفلسطينية الشيخ الطيب العقبي حيث كتب يقول: " **لبيك فلسطين فما أنت لأهلك ولكن للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين** " وأضاف قائلا: " **كل هذا من الإنجليز الظلمة وتحت نظر، وبموافقة جمعية قالوا عنها جمعية الأمم، وعصبة الشعوب المتمدنة**"[4].

---

[1] الإبراهيمي " الإنجليز حلقة الشر المفرغة "، البصائر، العدد 24، السنة الأولى، 01 ربيع الأول 1367هـ، 01 مارس 1948م، ص 01.

[2] الإنجليز " حلقة الشر المفرغة " المقال نفسه.

[3] الإبراهيمي " فلسطين واجباتها على العرب"، البصائر، العدد 25، السنة الأولى، ربيع الثاني 1367هـ، مارس 1948م، ص 01.

[4] أحمد مريوش " القضية الفلسطينية واهتمامات الطيب العقبي "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، السنة 1415هـ، الموافق 1995 م، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص 241.

ومما لا شك فيه أن رجال جمعية العلماء المسلمين ركزوا إهتماماتهم بالقضية الفلسطينية مند إصدار وعد بلفور 02 نوفمبر 1917م والذي ينص على وعد اليهود بوطن قومي في فلسطين، وبالرغم من ذلك لم يحل وضع الجزائر تحت الإستعمار الفرنسي من أداء واجبهم تجاه هذا البلد العربي المسلم وخاصة بعد الإعلان عن دولة إسرائيل في 15 ماي 1945 م، وأرادت فيها جمعية العلماء تعبئة الشعوب والطاقات والأقلام لإنقاذ الموقف، وهي التي ضاقت مرارة الإستعمار، وفي هذا الصدد يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة شاعر الجمعية:

فلسطين العزيزة لا تراعي فعين الله راصدة تراعي.

وحولك من بني عدنان شديد الباس من كل البقاع.

وإذ إسترخته للحرب لبى وخف إليك من كل البقاع.

يجود بكل مرتخص وغال ليدفع عنك غارات الصياع.

بليت بهم صهاينة جياع فسحقا للصهاينة الجياع.

ستكشف عنهم الهجاء شرا وترميهم بكل فتى شجاع

كما قال الشيخ الإبراهيمي: " **إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا، ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون.**"[1].

- **مشاركة الجمعية في تأسيس الهيئة العليا للإعانة فلسطين:**

سعت جمعية العلماء إلى المشاركة ولو بجهد المقل مع الغيورين على هذا البلد، بما أمكن من التضامن والمساعدة، أمام الأمر المهول والمصاب العظيم للأمة العربية الإسلامية بعد الإعلان عن دولة إسرائيل، وكان من أبرز الأعمال في هذا المجال هو تأسيس الهيئة العليا لإعانة فلسطين، وقد شارك فيها رجال من الجمعية والبيانيين والانتصاريين، حيث يقول الشيخ الإبراهيمي: " **زارني في داري الأستاذ الشيخ الطيب العقبي، وهو الروح المدبرة لتلك اللجنة...**

[1] الإبراهيمي " العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء "، البصائر، العدد 22، ربيع الأول 1367هـ، الموافق 09 فيفري 1948م، ص 02.

وأجمعنا الرأي أن ندعوا الحزبين اللذين كنت تعبت في التأليف (والتقريب بينها) فلم أفلح، وقوى أملي في هذه المرة، لأن قضية فلسطين ليس فيها ولا نيابة، وغاب عني أن شيئ إسمه... الرئاسة... وقلت عسى أن يصدق الفال... فأما رئيس حزب البيان فأجاب الدعوة وأما حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية فقد قال قائلهم... أن فلسطين هنا في الجزائر... لأن أبناء الأمة في السجون وعائلاتهم تعاني من ألم الحاجة والجوع "[1]، ويتضح من خلال الشيخ الإبراهيمي أن الشيخ العقبي هو الذي دأب على إنشاء هذه الهيئة والإتصال بمختلف التيارات، وهذا خير دليل على عكس ما قاله، أحمد توفيق المدني والذي يدكر أنه هو الذي جمع رجال الجزائر معدودين في نادي الترقي ووجه لهم كلمات، وماهي إلا مباحثات قليلة حتى تم تأسيس هذه الهيئة، وكان الإتفاق حسب المدني على أنه هو أمينها العام[2].

وبعد كل ذلك إنظم الإنتصاريون بقيادة أحمد مزغنة بحضور الجلسة بنادي الترقي لإنجاز هذه الهيئة[3]، وأما رجال الزوايا فالظاهر أنهم تلقو الدعوة من جمعية العلماء، ويتضح ذلك من خلال الرد الموجه لتوفيق المدني في رسالة أعربوا فيها عن عدم مشاركتهم في الهيئة، وأن جامعة الزوايا كونت لجنة خاصة بها لقضية فلسطين، ورغم تأسف رئيس زاوية الهامل ببوسعادة القاسمي على ذلك وهو يأمل أن تكون الغاية واحدة وهي التضامن وخدمة القضية[4].

وفي مقال للشيخ الإبراهيمي تحت عنوان " **مؤتمر الزوايا بعد مؤتمر الأمة** " والذي أنعقد في 15 مارس 1948م، شبهه في إجتماع في مقهى ووصف مصطفى القاسمي " **بالدائم الهائم**"، وفي هذا المؤتمر هوجمت الجمعية بأنها وهابية، لذلك كان رد الشيخ الإبراهيمي " **وأنهم مازالوا ألات صماء في يد الإستعمار يصرفهم متى شاء، بل الواقع أنهم إزدادوا تعلقا به وطاعة له بقدر ما أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف... وقد حلت المصائب بهذه الأمة، وهؤلاء القوم غابرون**

---

[1] الإبراهيمي " كيف تشكلت القيادة لإعانة فلسطين "، البصائر، العدد 52، السنة الثانية، 08 ذي الحجة 1367هـ، 11 أكتوبر 1948م، ص01.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 م، ص ص 386، 387.

[3] " كيف تشكلت الهيئة العليا "، البصائر، مقال سابق.

[4] توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 387.

في نومهم وامتلأت السجون والمعتقلات بالرجال وهم آمنون مطمئنون، وجاعت الأمة وما منهم إلا الطاعم الكاسي... أهي زوايا أم متاجر[1] ".

والجدير بالذكر هو إشارة ممثل عن الانتصاريين أحمد مزغنة في الجلسة بنادي الترقي إلى أن يزوروا الحاضرون مصالي في منزله لأنه ممنوع من الهبوط إلى الجزائر، وفعلا فقد زاره الإبراهيمي والشيخ بيوض وفرحات عباس وغيرهم ووجدوا عنده مزغنة وأحمد بودة، وتم حينها الاتفاق على الهيئة وأسماها وأعضاءها الخمسة (الإبراهيمي، العقبي، عباس، ومصالي) دون أن يعين رئيسا لها، وظهر بعد خلاف على إمضاء البرقيات والمراسلات الموجهة للهيئات والشخصيات، وفي هذا الصدد أدلى الشيخ الإبراهيمي بأن يكون على رأس القائمة صاحب الفضل وهو الشيخ العقبي، الأمر الذي أدى إلى اللقاء دون الوصول إلى نتيجة[2].

ورغم محاولة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تذكير الحاضرين بشرف القضية والتمسك بالمصلحة الوطنية والعربية دون جدوى، ووعد مزغنة بالرجوع إلى نقاش القضية في وقت لاحق، وذكر الإبراهيمي" **أنه لم يوف بالوعد ولم يرجع إلينا وأن مصالي أسير الحكومة وأسير أصحابه**[3]".

والظاهر أن تشكيل الهيئة واجه عناء شديد ومتاعب جمة، إلى هذا الجهد الضائع إستغرق وقتا، وبعد يأس الجميع من عدم مسايرة مصالي لهم، أخذوا على عاتقكم تشكيل الهيئة العليا لإعانة فلسطين، ونصبت لها لجنة تنفيذية، وفروع في المدن، وكتب الإبراهيمي في هذا الصدد:" **وقد تشكلت الهيئة العليا من أربعة على الصورة الآتية، ولعل التاريخ الذي غبناه مرارا ينتقل منا هذه المرة فيلجئنا إلى نشر كل شيئ بشواهده وشهوده وأيامه ولياليه، وهذا تركيب الهيئة العليا:**

- **محمد البشير: الإبراهيمي رئيسا.**

---

[1] الإبراهيمي " مؤتمر الزوايا بعد مؤتمر الأئمة "، البصائر، العدد 31، السنة الأولى، 02 جمادي الثاني 1367هـ، 1948م، ص 01.

[2] الإبراهيمي " كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين، البصائر، العدد 53، 05 ذي الحجة 1367هـ، 18 أكتوبر 1948م، ص 01.

[3] المصدرنفسه، ص 02.

- **عباس فرحات: الكاتب العام.**
- **الطيب العقبي: أمينا عاما.**
- **إبراهيم بيوض: نائبه** [1].

وتمثل نشاطها السياسي والتعبوي في مراسلة الهيئات والحكومات والدول، ومن ذلك مراسلة الجامعة العربية، وهيئة الأمم المتحدة، وفرنسا لإظهار التنديد والإستنكار للموقف السلبي في حق الشعب الفلسطيني[2].

ومن جهة أخرى كان للنشاط التعبوي في المدن والقرى أثر فعال في التعريف بالقضية الفلسطينية، والمؤامرة الإستعمارية الصهيونية، وإستشعرت الشعب الجزائري مرارة الإستعمار وخاصة في مكان مقدس وخاطب الشيخ الإبراهيمي الأمة قائلا: " **أيها العرب حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء**[3].

لهذا سخرت الجمعية كل من شعبها ومدارسها للمحاضرات والإشعار تحسيسا بهول الأمر، وكان رد الهيئة العربية العليا التي يرأسها مفتي فلسطين الأكبر[4]، على جهود الجمعية لمساعيها في رسالة بتاريخ 24 سبتمبر 1948م ومما جاء فيها: "....**وبعد فقد بلغتنا أنباء الجهود المباركة التي بدلتها جمعية العلماء المسلمين في الجزائر لنصرة قضية فلسطين المجاهدة، فباسم فلسطين المجاهدة تقدم إلى فضيلتكم ويا أصحاب الفضيلة العلماء... وفضيلتكم في الطليعة،**

---

[1] الإبراهيمي، الأثار، ج3، ص 77.

[2] أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 388.

[3] الإبراهيمي، " كيف تشكلت.... "، مقال سابق، ص 01.

[4] أمين الحسين (1897م – 1972م) ولد بالقدس وتعلم بالأزهر، وبعد عودته للقدس مارس النشاط السياسي والديني مند 1917م، وأعتقله الإنجليز عام 1920م، تولى الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى عام 1931م، هجر وطنه بعد صدمات مع اليهود عام 1937م، وبقي يتنقل بين لبنان وبغداد وعواصم أوروبية، ثم استقر بمصر حتى 1959م، وتوفي ببيروت، أنظر: محمد حسين شريف، المرجع السابق، ص 193.

رفع الأصوات جهرا في أنحاء الجزائر لحمل المؤمنين الصادقين على نجدة إخوانهم حماة الأرض المقدسة... [1].

- الدعم المالي:

ومن الناحية المالية فإن اللجنة التنفيذية وفروعها والتي ضمت أهل العلم والفضل، قد جمعت مبالغ مالية معتبرة، وتنوعت الروايات حولها في وقت جمعها وكيفية توصيلها، لكن على الأرجح ذلك يتوقف على الظرف الأمني والتحفظ الحاصل حينها، وأنها لم تكن دفعة واحدة.

فالإبراهيمي يذكر أنه مع بداية رمضان "**جمعت عدة ملايين من الفرنكات وأبلغناها إلى مأمنها في فلسطين وإستلمنا الشهادة القاطعة على وصولها...**[2] "، وإذ لم يذكر الإبراهيمي حجم هذه الأموال ولا طريق توصيلها، فإن توفيق المدني ذكر سبعة ملايين وحمل ثلاثة ملايين بنفسه إلى باريس، وهذا لم يتوافق مع الدراسة[3] التي يذكر ثمان ملايين حملها العقبي برفقة بالحورة وعباس التركي إلى فلسطين سنة 1950م، والذي يطرح السؤال حوله أن كلام الشيخ الإبراهيمي حول جمع الأموال وإرسالها كان سنة 1948م، بينما زيارة العقبي وقعت في 1950م، وهي مدة زمنية كبيرة، والأرجح

أن الروايات القائلة بأن العقبي أخذ معه شخصيا تسعة ألاف فرنك، وهي القيمة التي تبرع بها أنصاره أقرب إلى الواقع، والاختلاف الوارد في قيمة الأموال المرسلة إلى فلسطين فقد يعود إلى الوضع الاستعماري وعدم التصريح بكل المعطيات.

إن إهتمام الشيخ الإبراهيمي بالقضية الفلسطينية لأنها منطقة مقدسة يجب إنقادها من مخالب الإستعمار الاستيطاني الجديد في زمن تراجع في الإستعمار، وخلص إلى الإنجليز وراء كل شر في المنطقة، كما أنه ترجم مشاعر الشعب الجزائري في تفاعله مع القضية من خلال الدعم المالي والمعنوي المتاح من خلال الهيئة العليا لإعانة فلسطين رغم الظروف والضغوط الاستعمارية

---

[1] الهيئة العربية العليا " رسالة من مفتي فلسطين الأكبر "، البصائر، العدد 52، السنة الثانية 08ذي الحجة 1367هـ، 11 أكتوبر 1948م، ص1.

[2] " كيف تشكلت الهيئة العليا... "، البصائر، العدد 53، مقال سابق، ص 02.

[3] أحمد مريوش، مقال سابق، ص 256.

الصعبة، كما أراد الشيخ أن تكون القضية الفلسطينية فرصة لتقارب التيارات الوطنية، وحذر العرب من طرح خلافاتهم في هذه المرحلة أو تقاسعهم تجاه فلسطين، وأنهم سيدفعون ثمن ذلك لا محال، وهذا الذي جسدته الأيام.

ب- القضية المصرية:

ارتبط التيار الإصلاحي في الجزائر بالمشرق العربي ارتباطا وثيقا عبر مراحله التاريخية بحكم الروابط الدينية واللغوية، والإحساس بالانتماء لأمة واحدة – القومية – خدم كثيرا ظاهرة التناصر أثناء الأزمات ظل المشرق قبلة للجزائريين في مواسم الحج، ووجهه لمراكز العلم والثقافة، وخصوصا أثناء الحقبة الاستعمارية، بل أصبح ملاذا للنضال ضد الاستعمار، وتنظيم الصفوف ومناشدة ما يمكن من الأشخاص والهيئات لصالح القضية الجزائرية، وقد تعزز هذا الأمر بعد الحرب العالمية الأولى وأثناء الثورة الجزائرية.

بلغت الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر نضجا كبيرا استوعبت فيه ضرورة التكامل بين طرفي الوطن العربي في معركته ضد الاستعمار والتحرر منه، ويمكن الاستفادة من استقلال بعض الدول فيه، فضلا عن إنتقال الشيخ الإبراهيمي إلى المشرق العربي في 07 مارس 1952م[1]، وكان محددا لتحقيق عدة أهداف، وكانت رحلته لها الأثر الواضح في توجه جمعية العلماء في علاقتها مع المشرق العربي، وذكر الشيخ الإبراهيمي أن الغرض من رحلته هذه هو مشاركة دعاة الخير في هذا الشرق فيما يدعونه إليه والتعريف بالجزائر المنسية من إخوانها، ودعوة الحكومة الإسلامية والعربية على الخصوص لإعانة نهضتها الثقافية، وأضاف "**إن الغرض الأول حققته بنفسي، والثاني فقد تحقق جزء يسير منه وهو في طريق الإستكمال** [2]"، وبالتالي كان السعي لدى الحكومات العربية لتقبل بعثات علمية من أبناء الجزائر، ومخاطبتها لإعانة الجمعية ماليا حتى تستطيع أن تواصل أعمالها، إذ نبه الشيخ الإبراهيمي أنه: "**إذا لم يعنا إخواننا فربما تنكس حركتنا، وهذا ما ينتظره الإستعمار، ولذلك ظل يتنقل بين أقطار المشرق ساعيا**

[1] الآثار، ج 5، ص 169.

[2] نفسه.

لتوحيد الرؤى والقلوب وشاركه في ذلك الشيخ الفضيل الورتيلاني، والتقيا بالعديد من الشخصيات والرؤساء والساسة وأهل العلم[1].

لهذا كانت حركة الشيخ الإبراهيمي مرتبطة ببلاده واحساسه بأنه سفير مهمته " لا تعجب من هذا التعبير... فأنت لو جالست الشيخ في الشرق لحكمت بأنك معه في تلمسان أو سطيف أو بسكرة أو في المركز لهجة وصوتا رغم السنين التي قضاها في الشرق لم ينس لحظة بلاد الجزائر، ولم ينم ذهنه عن مناجاتها ومواساتها، وليت الحظ يسعدني فأتحدث عن الإبراهيمي الجزائري بكل ما في هذه الكلمة من دقة وعمق وذيوع [2]".

وقد حضيت مصر بإهتمام خاص ضمن المشرق العربي وذلك لما تحتله من مرجعية ثقافية، ومركز لحركة إصلاحية ذاتية، وأهمية سياسية.

لذلك كانت مقرا لمكتب جمعية العلماء بالمشرق، وهذه الخصوصيات جعلت الشيخ الإبراهيمي يقول: " بأن مصر هي قلب العالم الإسلامي، والبرزخ الذي تهوي إليه الأفئدة، ويلتقي فيه الأخ بأخيه حرا طليقا، وهي كذلك نبع من منابع الثقافة، ومهجر لأبنائنا الطالبين للعلم، وفيها عددا وافرا من أبناء الجزائر... فلم يرضوا أن يفارقوا بلد الحرية إلى بلد العبودية، فما عذرناهم ولا شكرناهم، لأن من يحب وطنه يجب عليه أن يستهين في خدمته بكل شيء "[3].

أيدت الجمعية، الشعب المصري وتضامنت معه في موقفه الحازم والمتمثل مطلبها في:

1- إخلاء منطقة ترعة السويس التي تزال ترابط فيها فرق إنجليز.

2- توحيد مصر والسودان تحت التاج المصري، وحذرت الأمة المصرية من إغراءات الإنجليز، ومحاولة إمتصاص غضبهم.

وقد قام مكتب الجمعية في القاهرة بتبليغ هذا التأييد للحكومة المصرية[4].

---

[1] من هؤلاء: فاضل الجمالي، العالم محمد الصواف.... لهذا أنظر:

J M, Le Jeune musulman, Lettre de Baghdad, N 27, 2ém Anneé, Djemada 2 1373, 12,2,1954, p 08.

[2] ابو القاسم سعد الله، " رسالة القاهرة "، البصائر، العدد 342، السنة الثامنة، 09 ربيع الثاني 1375هـ، 25 نوفمبر 1955م، ص 01.

[3] الإبراهيمي، الأثار، ج3، ص 353.

[4] الإبراهيمي، الأثار، ج3،ص 559.

وأستطاع الشيخ الإبراهيمي أن يعبئ الشعوب حتى في المهجر إثر حوادث العمليات الفدائية ضد الإنجليز التي أسفرت عن عدد هائل من الشهداء، فأقام الإبراهيمي صلاة الغائب في مسجد باريس، ضم بعض الوفود العربية والعمال الجزائريين بفرنسا، وهذا بطلب من وزير خارجية مصر محمد صلاح الدين[1].

وبعد ظهور الثورة المصرية 1952م، ظل الشيخ الإبراهيمي يراقب تطور الأحداث وما يترتب عنها في مصر، مع أنه أبدى إعجابه بسياسة عبد الناصر فيما بعد والذي أظهر وقوفه مع القضية الجزائرية[2]، والسماح لمكتب جمعية العلماء بالنشاط الواسع بالقاهرة، ومواقفه من الإستعمار والوقوف إلى جانب ضحايا زلزال الجزائر[3]، لكنه بقي ينظر للأمور بريبة ويستشف هذا من خلال إعلان دستور 16 جانفي 1956م بمصر واعتبره وفاء من الحكومة للشعب، ولكن لا قيمة للدستور إلا بالصفة التي ينفذها بها والرجال الذين يقفون على هذا التنفيذ، ويعتبر هذا الدستور تطورا جديدا في نظام حكم الثورة.

- موقفه من الإخوان المسلمين بمصر:

بعد الرحلة التي قام بها الشيخ الإبراهيمي نحو المشرق، كانت له أول محطة للنزول في مركز الإخوان المسلمين4، للتدليل على الأواصر المتينة بين الطرفين، وكان له لقاء مع قيادة الإخوان في مصر، والهيئة العربية العليا الفلسطينية لتدارس ما يمكن للجمعية أن تقدمه من دعم5.

---

[1] بدون كاتب" الإبراهيمي في باريس، البصائر، العدد 184، مصدر سابق، ص 01.

[2] الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 35.

[3] بيان من جمعية العلماء الجزائريين إلى الرشيد جمال عبد الناصر، البصائر، العدد 288، السنة السابعة، 11 صفر 1374هـ، 08 أكتوبر، ص 01.

[4] جماعة إسلامية تأسست عام 1928م بقيادة الأستاذ حسن البنا.

[5] بدون كاتب " رحلة الأستاذ الجليل إلى الشرق "، البصائر، العدد 188، السنة الخامسة، 12 رجب 1371هـ، 07 أفريل 1952م، ص 02.

ويبدو أن تيار الإخوان نجح في تعبئة الجماهير والشرائح المختلفة في القضية المصرية والفلسطينية[1]، ثم إنتقل نشاطه – التيار – الفكري والسياسي إلى بلدان عربية أخرى.

وقد ظلت الجمعية على علاقة حميمية مع الإخوان المسلمين فكان التوافق على خدمة القضية الفلسطينية والتعبئة لها، الاصلاح العقائدي والفكري الشامل، ومواجهة الاستعمار بكل أشكاله، وفي نفس الوقت كانت تطالب الحكومات الناشئة لإقامة أنظمة تتناغم مع شعوبها في هويتها وتمثيلها ·

وصفوة القول نستنتج أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي اهتم بالقضايا العربية الإسلامية من خلال مواقفه الواضحة من قضايا بلدان المغرب العربي نظرا للعناصر المشتركة التي تربط بينهم، خاصة الوحدة الجغرافية والتاريخ والمصير المشترك.

ومما شغل بال الشيخ الإبراهيمي قضية فلسطين التي استحوذت على اهتماماته لذلك أثرى مدافعا عنها في كل مناسبة، وكتب عنها أكثر من خمسة عشر مقالا، حيث حملت وجهات نظر مستقبلية للنتائج المترتبة عن تعاقب الأحداث الإيجابية والسلبية، كما عبر عن مدى ارتباط الجزائريين بهذه القضية، وأكد على أن فلسطين حق العرب والمسلمين وحدهم من دون سواهم، وأتبت ذلك بالحجج التاريخية والأحداث والبارزة في أرض فلسطين والتي لها علاقة بالمسلمين، وقد تجاور موقف الإبراهيمي اتجاه هذه القضية حد التأييد المعنوي إلى المساعدة المادية.

كل ذلك سعيا منه نحو إحداث التكامل العربي والإسلامي وتوحيد الصفوف، والعمل على رفع الهيمنة الاستعمارية التي كانت تثقل كاهل العرب والمسلمين وضرورة الاتحاد وجمع الكلمة.

ومما لا شك فيه أن الإبراهيمي كان بصلة وطيدة بالعالم العربي الإسلامي، يعيش قضاياها، وينشر أحداثه وواقعه في مقالاته وهذا خير دليل اهتماماته بالقضايا العربية الإسلامية.

[1] Seyd Qotb «Le génie de haçan el banna » Le Jeune musulman, N 26, 2ém Année, 8 djemada 2 1373, 28 janvier 1954, p 07.

الفصل الخامس

سفر الإبراهيمي إلى المشرق العربي وخدمته للقضية الجزائرية

1- سفره إلى المشرق العربي 1952م.

2- رحلاته إلى البلاد الإسلامية.

3- موقفه من اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 01 نوفمبر 1954م.

4- نشاطه لصالح الثورة التحريرية (1954م - 1962م).

5- عودته إلى الجزائر 1962م.

6- موقفه من التوجه الاشتراكي للدولة الجزائرية.

7- وفاتـــه.

8- آثـــاره.

1- سفره إلى المشرق العربي سنة 1952 م وخدمته للقضية الوطنية:

تيقن الشيخ الابراهيمي أن النضال داخل الجزائر قد وصل إلى مرحلة النضج سواء بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصورة خاصة أو بالنسبة للحركة الوطنية بصورة عامة سنة 1952م، وقد قطع أشواطا كبيرة أثناء رئاسته للجمعية في عملها الإصلاحي والإرشادي والتربوي والسياسي بصفة خاصة.

فقد اتسع نشاطها وازدادت انشغالاتها وأعبائها وتشعبت أعمال ومهام رجالها، في حين كانت إمكانياتها من مدارس وأموال لا ترقى إلى مستوى الحجم الذي أصبحت عليه، فما كانت تحصل عليه من أموال بشتى الطرق ومختلف الأوجه كان قليلا، مما جعل مشاريعها تتعطل ومدارسها تكتظ وأساتذتها يشتكون من قلة موارد العيش، رغم إقبال الشعب الجزائري على التبرع بكل ما يملك في سبيل إنجاح المشروع الإصلاحي والتربوي الذي باشرته الجمعية وحققت فيه نجاحات يعترف بها الجميع، ومع مرور الزمن صادفت جمعية العلماء مشكلا آخر لم تنتبه له في بداية الأمر، وهو الأعداد الغفيرة من الطلبة المتفوقين الذين يتخرجون من مدارسها سنويا، ولا يجدون في الجزائر معاهدا وجامعات بإمكانها تلبية رغباتهم الملحة لإكمال دراستهم وتعليمهم في المستوى العالي.

وهنا أدرك الإبراهيمي رفقة جمعية العلماء، أن الجزائر من الضعف بمكان في تحمل التكاليف الباهضة التي يتطلبها إنجاز تلك المشاريع الضخمة والتي تحتاج إلى ميزانية دولة بأكملها ولتعاون وتضافر جهود أطراف وجهات كثيرة، فقرر رئيس الجمعية اللجوء إلى طلب المساعدة من الأشقاء العرب والمسلمين في المشرق، قصد دعم النهضة العلمية والثقافية الناشئة بقبول بعثات طلابية من تلاميذ جمعية العلماء يدرسون في معاهد وجامعات تلك الأقطار العربية والإسلامية على نفقاتها الخاصة، ومساعدة الجمعية ماليا من أجل أن تتمكن من مواصلة نشاطها بصورة دائمة، ويتم تنسيق هذه المساعدات عن طريق مكتب الجمعية بالقاهرة الذي أفتتح سنة 1949م.

وقد غادر الجزائر تلك الأهداف في يوم الجمعة 07 مارس 1952ن، وقام بتوديعه بالمطار مجموعة من أعضاء جمعية العلماء، وسكان البليدة الذين جاءوا لتوديعه وهو يغادر الجزائر باتجاه المشرق العربي عن طريق باريس التي وصلها في نفس اليوم، ووجد في إستقباله بمطارها الأستاذين: عياش ابن عجيلة وأحمد بومنجل، وقد مكث فيها يومي الجمعة والسبت حتى يتسنى له الإجتماع برئيس الشعبة المركزية لجمعية العلماء وأعضائها ورجال الحركة الإصلاحية بها، وفي مساء يوم الأحد ركب القطار السريع باتجاه روما صحبة المحامي أحمد بومنجل الذي ارتأ أن يرافقه لتوديعه إلى غاية روما، وقد وصلها يوم الاثنين، ثم استقل بعد ذلك لوحده طائرة تابعة لشركة نقل هولندية أخذ وجهته إلى مصر، وقد وصل إلى مطار فاروق بالقاهرة بعد منتصف الليل ونزل بفندق "هيليو بوليس " القريب منه، حيث قضى ليلته بسبب الإجراءات الأمنية المشددة التي تفرض حضر التجول بعد العاشرة ليلا[1].

وبد ذلك نزل في فندق " جزيرة بالاس " الذي اختير للإقامة فيه باتفاق بين مكتب الجامعة العربية ومكتب جمعية العلماء بالقاهرة، وبمجرد خبر حلوله بالقاهرة توافد عليه الزوار من الشخصيات العامة والمرموقة من أمثال: الدكتور محمد صلاح الدين باشا وعبد الرحمان عزام باشا، والعلماء والكتاب ورجال الصحافة، والبعض من الطلبة الجزائريين المهاجرين بمصر الذين استغل الإبراهيمي وجودهم ناصحا إياهم بالإخلاص للعلم والانقطاع له حتى ينفعوا بلدهم الجزائر الذي يعلق عليهم الآمال الكبيرة.

وخلال إقامته بمصر قام بإلقاء درس في المركز العام لجمعية الإخوان المسلمين[2] في التفسير، وقد أعتبر ذلك الدرس جسر أواصر بين جمعية الإخوان المصرية وجمعية العلماء الجزائرية، اللتان تشتركان في عمل جليل وهو إحياء الإسلام الصحيح بإحياء روحانيته وإعادته إلى

[1] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 2، ص 29.

[2] جمعية أسسها حسن البنا في مصر سنة 1928م، / 1347هـ، بهدف الإصلاح الإسلامي والعودة بالمسلمين إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص)، ومحاربة الخرافات والبدع التي تجذرت في المجتمع الإسلامي وإرجاع المسلمين إلى هدي الإسلام الحنيف، وقد كانت وسيلتها المدارس والصحف والإتصال بالجماهير، أستشهد سنة 1388هـ / 1949م.

صفائه الأول[1]، وقد قام أيضا بزيارة لجامعة الملك فؤاد وأجتمع بمديرها عبد الوهاب مورو باشا وعدد من أساتذتها، وتفقد بها كلية الأدب ومكتبتها الضخمة وقاعات المطالعة والبحث وقاعة المحاضرات، وقد أعجب أيما إعجاب ولكنه وكعادته في الجهر بالحق ولو كان مرا، لم يمنعه إفتتانه بجامعة الملك فؤاد من أن يخفي أسفه لكونها رغم فخامتها الغربية لا تسعى في غايتها لأن تكون قلعة تدافع عن العروبة والإسلام، تدرس وتبحث في كنوز الإسلام من فلسفة روحية وعلوم دينية وكمالات إنسانية، ولم تفته أيضا زيارة إدارة جامع الأزهر ومديرها الأستاذ عبد اللطيف دراز الذي كان من الرؤساء الشرفيين لجمعية العلماء[2].

وقد اعتبر إقامته بالقاهرة التي إمتدت إلى تسعة أيام، إحياءً لجو روحي وفكري وإنساني عاشه لما جاء إلى المشرق العربي من قبل واضطر إلى مغادرته لخدمة وطنه الجزائر[3].

[1] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 4، ص 31.

[2] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 4، ص 1 .

[3] المصدر نفسه، ص ص 30-1 .

2- رحلاته إلى البلاد الإسلامية:

أ -: الباكستان:

لما أرسلت الحكومة الباكستانية دعوة للشيخ الإبراهيمي للمشاركة في مؤتمر الشعوب الإسلامية الذي عزمت على إحتضانه، الأمر الذي أدى به مغادرة مصر بإتجاه الباكستان، فسافر على متن طائرة هولندية إلى بغداد ثم البصرة وأخيرا كراتشي[1]، الباكستانية التي نزل بمطارها[2]، ويعود إختياره لباكستان كمحطة أولى لحلته كما يرى إلى إجتماع عدة خصائص محققة للبواعث التي كانت وراء الجولة وهي:

- الميول الإسلامية لدولة باكستان والتي تعد صفة تابثة في الشعب الباكستاني.
- إتساع صدرها لإستقبال علماء الإسلام ومفكريه وكتابه، ولإحتضان المؤتمرات التي تهتم بالشؤون الإسلامية.
- حسن إستعدادها لتلقي النصائح والإرشادات.
- تبنيها لقضايا الشعوب الإسلامية السياسية.
- عطف الشعوب الإسلامية عليها إثر ما لحق بها من مشاكل داخلية ومعارضة خارجية مند يوم تأسيسها.
- جهل الكثير من المسلمين بها، مما يتطلب الإتصال بها للتعريف بها لديهم[3].

وهكذا يجد الإبراهيمي مبررات دينية وإجتماعية وسياسية وثقافية في إختياره للباكستان كأول بلد يزوره بعد مصر في سفره للمشرق العربي ثانية.

وقد وجد الإبراهيمي في إستقباله بالمطار الأساتذة: محمد الأمين الحسيني مفتي فلسطين، وعمر بهاء الدين بك الأميري وزير سوريا المفوض بالباكستان، والشيخ التفضيل الورتيلاني، وانعام الله خان، والدكتور الزبيري، وشخصيات أخرى من رجال المؤتمر الإسلامي، وتمت إستضافته في

[1] كانت آنذاك عاصمة البلاد، أما الآن فهي مدينة كبيرة تسمى إسلام أباد.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص33..

[3] نفسه.

فندق الميتروبول – **Metropol** – وبعد ذلك حف إليه جمع من الزوار[1] الذين لم يأتوا لإستقباله في المطار، ولم تمض ثلاثة أيام لنزوله في باكستان حتى زاره جميع القائمين والملحقين في المفوضيات العربية، إضافة إلى وزراء إيران وأندونسيا وسيلان، هذه الأخيرة طلب منه وزيرها زيارتها فأخبره الشيخ الإبراهيمي أنها في برنامج رحلته، وقد أنساه الجو الأخوي والعلمي والأدبي أتعاب الرحلة وشعور الغربة[2].

والحق أن الإبراهيمي قد صادفته مشكلة وهي اللغة، إذ كان أهل الباكستان يستخدمون اللغة الإنجليزية كلغة رسمية في الدواوين والإدارات والأوردية[3] كلغة تخاطب عامة، في حين الإبراهيمي لا يتقن إلا لغة واحدة وهي العربية، وقد أصابه من ذلك عناء شديد والحرج الكبير حتى في طلب الأشياء البسيطة، ولأداء المهمة التي جاء من أجلها، وفي هذا الصدد قال: "لذلك وجدتني من أول لحظة في مشكلة لا تحل، وفي حرج لا يدفع، حتى في طلب الماء البارد من خادم الفندق، وفي التحية مع الزائر، ..."[4]، وقد ظل على هذه الحال إلى أن استطاع مضيفوه أن يحضروا له مترجما عرفوه في المؤتمرات، بارعا في اللغة العربية ومتمكنا من فهمها فهما جيدا ويترجم خاصة الدينيات ترجمة دقيقة من العربية إلى الأوردية، وهو الشيخ محمد عادل القدوسي أحد القائمين على تصحيح الكتب العربية التي طبعتها الدولة العثمانية بحيدر أباد، فكان لا يفارقه إلا في ساعات النوم، يترجم بينه وبين زواره ويتولى الرد على المخاطبات الهاتفية بالأوردية، وكان الواسطة بينه وبين رجال الدولة الباكستانية، بصحبه في كل تنقلاته داخل المدن والأقاليم الباكستانية يترجم عند كل محاضراته ودروسه وندواته الصحفية، فأصبح الإبراهيمي يعطف عليه كأقرب المنتسبين إليه[5].

---

[1] ومنهم: الدكتور عبد الوهاب عزام سفير مصر، السيد عبد الحميد الخطيب وزير المملكة العربية السعودية مفوض، والأستاذ أبو بكر حليم مدير الجامعة ورئيس المؤتمر العام الإسلامي، والأستاذ محمد محمود الزبيري وزير المعارف اليمني وشارعها الفذ، وغيرهم.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص34.

[3] الأوردية: نسبة إلى لفظ الأوردو، وهي لفضة تركمانية مغولية يقصد بها الجيش، وهي لغة حديثة تكونت بين الجيوش المغولية الفاتحة من لغاتهم الأصلية، إذن هي لغة الجندية والحرب للمزيد أنظر الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 37.

[4] نفسه ص 37.

[5] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 41.

وفي ثاني جمعة له بالباكستان، القى أول محاضرة له في مسجد الشيخ إحتشام الحق[1]، كان موضوعها حول وظيفة العالم الديني في الإسلام وهي التربية والتعليم وقيادة المجتمع الإسلامي، وحمل فيها مسؤولية ما وقع للمسلمين للعلماء الذين فرطوا في وظيفتهم هذه، وتركوها لغير أهلها، وقصروا في أداء رسالتهم، وقد درج الإبراهيمي بعد ذلك على إلقاء المحاضرات والخطب في صلوات الجمعة التي يصف فيها داء المسلمين ودوائهم، وقد خلقت أثارا كبيرة في النفوس إذ كانت الدموع تسيل من المدامع رغم جهل أصحابها باللغة العربية[2].

وقد أنكر الشيخ على أهل الباكستان في بعض محاضراته لإبتعادهم عن العمل بحكمة المسجد، إذ كان كل إمام يسعى إلى بناء مسجد يصلي فيه هو وأتباعه ويأمرهم بعدم الصلاة في المساجد الأخرى، وقد اعتبر الإبراهيمي ذلك من أكبر الجنايات التي أنزلت التشتت والفرقة بين صفوف المسلمين، والتي لا يجب أن يسكت عنها علماء الدين[3].

كما كان يقوم بزيارات لكبار الشخصيات في الباكستان، ومنهم: الحاكم العام لدولة الباكستان السيد غلام محمد الذي زاره في مقره الرسمي في يوم 13 مارس 1952م، ولأن هذا الحاكم كان من المنشغلين بوضع دستور الباكستان عرض على الإبراهيمي أن يكتب له شيئا في هذا المجال ويعرضه عليه، وزار أيضا رئيس الوزراء دولة خواجة في مكتبه بالمجلس التأسيسي، الذي رفع إليه الإبراهيمي تقريرا مفصلا في الشؤون الدينية مترجما إلى اللغة الأوردية، كما إلتقى وزير الدعاية ووجه له كتابا بإسم الأمة العربية أعاد فيه قلة الحصص التي تخصصها إذاعة الباكستان للقرآن الكريم واللغة العربية، فوعده بتدارك الأمر تدريجيا، حيث قام الإبراهيمي بتسجيل بعض الأحاديث بصوته وعزم على كتابة البعض الآخر لنلقي نيابة عنه رغم نشاطه المكثف، والتقى أيضا وزخير الخارجية محمد ضفر الله خان في مقر سكناه، وقد كانت للرجلين سابق معرفة نشأت بينهما في باريس، وكان حديثهما على بعثة طلبة جمعية العلماء إلى مدارس الباكستان، كما شكره على مواقفه من القضايا الإسلامية، وزار أيضا وزير المعارف وزين له محاسن إفادة بعثة طلابية

[1] نفسه، ص 42.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 45.

[3] نفسه، ص 48.

جزائرية للدراسة في الباكستان حيث طلب منه الوزير أن يكتب له تقريرا في القضية، فقام بكتابته وترجمته إلى الأوردية وقدمه له في يوم 06 جوان 1952م، ليعرض على مجلس الوزراء بصفة رسمية[1].

كما كانت له مقابلة مع السيدة فاطمة جناح أخت بطل انفصال الباكستان عن الهند محمد علي جناح وقائدها العظيم، حيث إستقبلته بدار أخيها بحفاوة وترحيب كبيرين وسألته عن المرأة المسلمة وأي الطرق تسلكها لإصلاح وضعها الحالي الفاسد، فأجابها أن الإسلام هو الدين الذي ضمن لها حقوقها الإنسانية كاملة، ولكي تنهض من وضعها عليها أن تقبل على العلم وأن تتهدب بالأخلاق الإسلامية، هذا ما اعجب السيدة جناح كثيرا بحديث الإبراهيمي، وبعد ذلك زار قبر أخيها رفقة عدد كبير من أعضاء المؤتمر الإسلامي، وعلى قبره جاشت بالإبراهيمي خواطر أنشدها تعظيما للرجل تركت أثرا كبيرا في الحاضرين[2].

وبدار مدير جامعة كراتشي، ورئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي الأستاذ أبو بكر حليم، عقد الإبراهيمي ندوة صحفية وجهت الدعوة إليها باسمه لحضورها رجال الصحافة، وممثلي وكالات الأنباء، وخلالها وزع منشور ترجم إلى الإنجليزية بين فيه الوضع السياسي في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة، ثم فتح بعد ذلك باب المناقشة للإجابة على الأسئلة التي إنهال عليها أصحابها بها، وفي الغد نشرت الجرائد كل ما دار في هذه الندوة [3].

والظاهر أنه شرع في رحلة منتظمة عبر القطار إلى دواخل الباكستان، رغم ما في ذلك من عناء ومشقة لأجل التقصي والوقوف على الحقائق ناصعة، خاصة قضية كشمير ومشكلة الحدود بينها وبين الهند، وبعد عودته من الرحلة ألقى الكثير من الأحاديث في إذاعة الباكستان، دارت حول أخوة الإسلام والرجوع إلى هدى القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأصلحت نظام الإسلام لتسيير

[1] نفسه، ص 48.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 50.

[3] نفسه، ص 51.

العالم الإسلامي اليوم[1]، كما أنه رفع تقريره إلى رئيس وزراء حكومة الباكستان السيد خواجة ناظم الدين حول دستور باكستان في شهر ماي من سنة 1952م ضمنه أراءه حول القضية[2].

ألقى الشيخ الإبراهيمي كلمة في إجتماع المؤتمر الإسلامي المنعقد في شهر ماي 1952م، حي فيه الوفود الإسلامية المشاركة باسم جمعية العلماء والجزائر وشمال إفريقيا، هذا الأخير الذي يشكو في شخص الإبراهيمي إلى إخوانه المسلمين الظلم الواقع عليه من الإستعمار الأوروبي، ويستنجدهم للدفاع عنه، وختم خطبته بتحميل مسؤولية ما يحدث للإسلام والمسلمين إلى العلماء الذين تعصبوا لمذاهبهم وأضاعوا أوقاتهم في قشور الدين وتركوا كتاب الله وسنة رسوله اللذان يمثلان المذهب الجامع لكل المذاهب والفرق، وحسب الإبراهيمي فإن هذا الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون، ممكن للإصلاح والتغيير إذا تحلو بالعزيمة والإخلاص[3].

وهنا تنتهي إقامة الشيخ الإبراهيمي في الباكستان التي دامت حولي ثلاثة أشهر، وقد كانت إقامة مفيدة للغاية إذ سمحت له بإكتشاف جغرافيا وثقافات وإمكانيات هذا البلد الإسلامي الناشئ، وتكوين تصور دقيق عنه يخلص إلى أن الباكستان يمكن أن تكون محور الوحدة الإسلامية المنشودة[4].

ومكنته أيضا من التعريف بجمعية العلماء وبالقضية الجزائرية خاصة، وقضايا المغرب العربي عامة ومن قبول الحكومة الباكستانية التكفل ببعثة طلابية جزائرية للدراسة في المعاهد والجامعات الباكستانية.

ب– العراق:

ومع بداية شهر جوان سنة 1952م شد الرحال إلى العراق من الباكستان، وقد دامت إقامته بالعراق إلى غاية شهر أوت من نفس السنة، زار خلالها العديد من المدن العراقية من البصرة إلى

[1] نفسه، ص 59.

[2] نفسه، ص 70.

[3] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 76.

[4] نفسه، ص79.

حدود تركيا وإيران، وألقى خلالها عشرات المحاضرات الإجتماعية والدروس الدينية[1]، وقد كانت إذاعة بغداد أهم وسيلة إتصال بينه وبين العراقيين، حيث كانت له أحاديث هادفة تؤدي في موضوعاتها إلى غرض الرحلة وبلغة عربية فصيحة، عرف في إحداها بجمعية العلماء المسلمين تعريفا موجزا أبان فيه أهدافها والأوضاع الإستعمارية المعقدة التي تعمل فيها وهي نفسها أوضاع الجزائر[2].

وقد أقامت السلطات العراقية حفلا تكريميا على شرفه في شهر جويلية من سنة 1952م، بحضور عدة شخصيات عراقية وعربية، وقد ألقى بالمناسبة كلمة حي فيها بغداد باسم جمعية العلماء والجزائر وشمال إفريقيا، طالبا يد المساعدة للتحرر من الإستعمار، وقد توجت مساعي الشيخ لدى السلطات العراقية بقبولها خمسة عشر (15) طالبا جزائريا للدراسة في العراق على نفقاتها[3].

ج – المملكة العربية السعودية:

وشد الرحال من جديد من العراق باتجاه المملكة العربية السعودية التي أقام فيها من شهر أوت إلى شهر أكتوبر من سنة 1952م، ألقى فيها العديد من المحاضرات والدروس الإجتماعية والدينية، واتصل بالكثير من علمائها وفقهائها، وعند إنتهاء زيارته للملكة أقام على شرفه الأستاذ محمد نصيف وهو من كبار العلماء والمصلحين في الحجاز حفلا تكريميا، وكانت أواصر الصداقة قد إنعقدت بينهما في المدينة المنورة أثناء رحلة الإبراهيمي الأولى إليها سنة 1911م طالبا[4]، وهنا تجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر على موقف السلطات السعودية فيما إذا وافقت على التكفل بعدد معين من الطلبة الجزائريين للدراسة في معاهدها وجامعاتها.

ومن السعودية عاد الإبراهيمي إلى مصر في يوم 24 اكتوبر 1952م، واخذ يلقي فيها المحاضرات وحفلات تكريم والملتقيات والتي كانت لا تمر إلا ويستغلها لغرض رحلته تاركا فيها

[1] سعد الله، في قلب المعركة، ص 97.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 93.

[3] الإبراهيمي، الآثار، ج 4، المصدر السابق، ص 103.

[4] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 109.

بصماته، وقد تقدم في شهر ماي من سنة 1953م، بمذكرة إيضاحية لكل من وزارة المعارف المصرية ولمشيخة الأزهر وللأمانة العامة لجامعة الدول العربية، تضمنت عرضا مفصلا عن الأعمال الإجمالية لجمعية العلماء، وما إستطاعت أن تنجزه داخل الوطن وخارجه، وخاصة في مجال التربية والتعليم وإصلاح ما أفسدته يد الإستعمار والطرق الصوفية المنحرفة المتحالفة معه، وهذا من أجل التعريف الصحيح بحقيقة الصراع في الجزائر والذي تخوضه جمعية العلماء دون تكافئ في القوى، ولذلك رأى الشيخ الإبراهيمي انه من الواجب على الحكومات العربية والأشقاء العرب تقديم يد المساعدة لها[1].

وزار كل من الكويت وبغداد ودمشق وعمان ومكة المكرمة في الفترة ما بين شهر ماي وأوت 1953م، وقام خلالها بعقد الكثير من الإتصالات واللقاءات والندوات، وكتب عشرات المقالات التي كانت تملأ أوراق الصحف والمجلات التي كان أصحابها يتسابقون فيما بينهم من أجل الفوز منه بحديث صحفي في شتى المواضيع، ومن هذه الصحف والمجلات نذكر: مجلة " الإرشاد " الكويتية، وصحيفة " منبر الشرق " وجريدة " التحرير " ومجلة " الأخوة الإسلامية " العراقية وغيرها، وقد إستطاع الإبراهيمي أن يقنع تلك الدول بقبول بفئات طلابية جزائرية، وعاد بعد ذلك إلى مصر في شهر أوت من سنة 1953م، وفي بداية قبول الحكومة الكويتية لخمسة عشر طالبا، والحكومة السورية الثلاثين طالبا، أما أكبر عدد تكفلت به الحكومة المصرية فقد ناهز خمسين طالبا[2].

ورغم بعده عن الجزائر إلا أنه بقي متصلا بها إتصال الغريب المشتاق لوطنه بتتبع أخبارها ومساءلة القادم منها وتوصية الذاهب إليها، فضلا عن المقالات التي كان يرسلها من حين لأخر إلى جريدة البصائر، وقد تساءل في إحداها إن كان سيلقي الله سبحانه وتعالى وهي متحررة من قيود الإستعمار، وإن كانت الأقدار ستمنحه قبرا في أرضها يدفن فيه وهو لا يملك شبرا فيها من قبل[3].

---

[1] الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 97.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 195.

[3] نفسه، ص 181.

وقد كانت نشاطات الشيخ الإبراهيمي في القاهرة أكثر حركية من غيرها من العواصم العربية والإسلامية، يجول ويصول فيها بقلمه ولسانه وجسده، رغم ثقل السنين وتراكم الأمراض والأسقام على جسده الذي أصبح يتحمل أكثر مما يطيق فقد كان مصابا بداء السكري، وبألم في أوتار الصوت نصحه الأطباء بالسكوت لمدة ستة أشهر ليشفى منها لكنه لم يفعل[1]، يحمل هم الجزائر وهموم العرب والمسلمين، يحدد الأمراض ويشخصها، يرغب ويرهب دون أن ينال لقب أو الواقع المرير شيء من عزيمته الفولاذية، يشد إليه كل من رآه أو إستمع إليه بلغته الساحرة التي تأخذ الألباب، وطريقته الخطابية التي تزرع الخوف والرهبة في نفس كل متردد أو متقاعس[2]، ولا شك أن الإبراهيمي لم يصبح فارسا في مجال الخطابة والدعوة بعد أن إستكمل المؤهلات الضرورية بذلك، وهي العلم الغزير والقدرة على التأثير والتوصيل.

كما تردد الإبراهيمي في الفترة الممتدة من شهر ديسمبر من سنة 1953م إلى أكتوبر 1954م على القدس وعمان ودمشق وبغداد، ومن هذه الأخيرة وجه رسالة في شهر جانفي 1954م إلى رئيس الحكومة العراقية ورئيس مجلس الجامعة العربية الدكتور فاضل الجمالي الذي كانت له مع الإبراهيمي علاقة صداقة خاصة تقود إلى سنة 1951م، أثناء لقاءهما الأول بباريس خلال إجتماع دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة بها[3]، يطلب فيها مساعدات مالية عاجلة من جامعة الدول العربية لجمعية العلماء لكي تنفقها في بناء المدارس، وقبول الحكومات العربية المزيد من البعثات الطلابية الجزائرية لإكمال دراستها لديها[4]، مذكرا أياه أنه رغم المجهودات المشكورة التي قدمتها الحكومات العربية في هذا المجال، فإنها تبقى يسيرة بالنظر للإحتياجات الكبيرة للجزائر، وأن الحكومات والجامعة العربية بإمكانها سد هذه الإحتياجات، وهي مسؤولية تقع على عاتق الجميع[5].

---

[1] نفسه، ص 360.

[2] الغزالي، " مع البشير الإبراهيمي في القاهرة "، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ماي / جوان 1985م، ص 96.

[3] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 277.

[4] محمد فاضل الجمالي، " الشيخ البشير الإبراهيمي ورسالته التربوية "، الثقافة، العدد 87، ماي / جوان 1985 م.، ص 134.

[5] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 4، ص 281.

وقد دأب الإبراهيمي على الإلتقاء بالطلبة الجزائريين المقيمين بالدول العربية والإسلامية التي كان يزورها، يستمع إلى إنشغالاتهم ويقف بنفسه على مشاكلهم وأوضاعهم، وعلى مدى إلتزامهم بالإنقطاع إلى الهدف الذي تركوا الأهل والديار والأصدقاء لأجله وهو طلب العلم، وقد كانت نصائحه وإرشاداته وتشجيعاته لهم بمثابة ققوة إضافية يستمد منها هؤلاء الطلبة المهاجرين الصبر والقدرة على تحمل المشاق التي كانوا يلاقونها جراء ذلك، كما كان يشدد على الجانب الديني والأخلاقي بإعتبارهما الشرط الأول في طلب العلم وصلاح صاحبه، ولهذا الغرض كانت جمعية العلماء تقوم بتعيين مرشدين وموجدهين يشرفون على الطلبة المهاجرين ويراقبونهم في حركاتهم وسكناتهم، بل أن الإبراهيمي كان يقوم بنفسه بفصل الطلبة الذين يتصرفون بهواهم لا بمنطق العقيدة والأخلاق، وهذا مالم تستنفذ كل الوسائل لإعادتهم إلى الإستقامة[1].

ومن هنا نلاحظ أن الفترة الممتدة من سنة 1952م إلى غاية 1954م قد قضاها الإبراهيمي سفيرا لجمعية العلماء المسلمين في الأقطار العربية والإسلامية يطلب منها النجدة والإعانة المادية والمعنوية لإنجاز المشاريع التربوية والإصلاحية.

3 – موقفه من اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 01 نوفمبر 1954م:

تحول الشيخ الإبراهيمي مع خريف سنة 1954م إلى العمل لصالح الثورة التحريرية، إذ بمجرد وصول خبر اندلاعها إلى مسمعه سارع إلى تأييدها عبر سلسلة من البيانات باسم مكتب جمعية العلماء بالقاهرة، فأصدر أول بيان في 02 نوفمبر 1954م أي بعد يوم واحد من الحدث وصف فيه وقع الحدث على الجزائريين المقيمين في مصر بقوله[2]:" –حين سمعنا الخبر – روائح الدم الزكية، فشارك الشم الذي نشق السمع الذي سمع والبصر الذي قرأ، فيتألف من ذلك إحساس مشبوب يصيرنا– ونحن بالقاهرة – وكأننا في مواقع النار من خنشلة وباتنة "، ونفهم من كلام الإبراهيمي هذا أن خبر اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954م قد إهتزت له نفوس الجزائريين المغتربين بمصر وخفقت له قلوبهم، بعد إنقطاع طويل للشعب الجزائري عن العمل

[1] نفسه، ص 313.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 5، ص 37.

المسلح وإستبداله بالنضال السياسي السلمي الذي لم يغير من أوضاع الجزائريين شيئا بسبب سياسة العناد التي كانت تطبع العقلية الفرنسية.

وقد إعتبر الإبراهيمي من خلال ذلك البيان أن هذه الثورة هي بداية لإنفجار سيطول ضد فرنسا، وأنها نتيجة حتمية لسياستها الظالمة التي عاملت بها الشعب الجزائري وشعوب المغرب العربي معاملة الحيوان، ولم تتعظ أبدا من أخطائها وجرائمها وحتى من سقوطها في يد الإحتلال الألماني.

ثم عزز هذا البيان بيان ثاني أصدره في 03 نوفمبر 1954م بعنوان " إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر والمغرب العربي اليوم حياة أو موت: بقاء أو فناء " حي فيه الثائرين الأبطال الذين سفهوا إدعاءات وإفتراءات فرنسا وشدوا عضد إخوانهم في تونس والمغرب، وقضوا على التردد والفتور الذي ميز المرحلة الأخيرة في مقاومة الإستعمار الفرنسي، فأعادوا بذلك للوجوه بياضها والأنفس سرورها.

وبعد أسبوع من ذلك أصدر البيان الثالث في 11 نوفمبر 1954م الذي وزع على وسائل الإعلام المصرية ووكالة الأنباء العالمية بعنوان " أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر "، ضمنه خلاصة للأهم الأحداث التي وقعت ليلة الإثنين أول نوفمبر 1954 م بكامل القطر الجزائري، نقلا عن العدد رقم 292 من جريدة البصائر الموافق ل: 05 نوفمبر 1954م، الذي وصله إلى مكتب جمعية العلماء بالقاهرة[1].

ثم دعم البيانات الثلاث ببيان 16 نوفمبر 1954م الذي جاء تحت عنوان " نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد: نعيذكم بالله أن تتراجعوا... "، حذر فيه الشعب الجزائري عن التراجع عن الثورة التي أشعلوها على فرنسا ولو قيد أنملة، لأن فرنسا لن تبقي لهم شيئا يخافون عليه: لا أمل ولا عرض ولا حرمة ولا ثروة ولا دين، فجزء يسير من مصائب المستعمر الفرنسي كان يفرض على الجزائريين الثورة مند مدة طويلة، وهذه هي الفرصة الخيرة والتراجع عنها يعني العبودية الأزلية

[1] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 5، ص 40.

للشعب الجزائري[1]، إن هذه البيانات المتتالية التي أصدرها الإبراهيمي تباعا من القاهرة، تؤكد دون شك أن الإبراهيمي كان من أوائل الشخصيات الوطنية التي سارعت إلى تأييد الثورة التحريرية مند بدايتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي حجة دامغة ضد الأراء التي تفصل بين موقف الإبراهيمي وموقف جمعية العلماء من الثورة التحريرية لأن هذه البيانات كانت تصدر باسم جمعية العلماء وبإمضاء رئيسها.

وفي الحقيقة لقد أثير الكثير من الجدل حول مواقف جمعية العلماء من الثورة، فالأستاذ أحمد توفيق المدني[2] مثلا أورد أنه قبل اندلاع الثورة بقليل تم عقد اجتماع للمجلس الإداري للجمعية في غياب نائب الرئيس الشيخ العربي التبسي وبرئاسة الشيخ محمد خير الدين، تمت فيه مناقشة قضايا عادية تخص جمعية العلماء إضافة إلى موقفها من الثورة، ويضيف الأستاذ أحمد توفيق المدني أنه بعد نقاش طويل تم الاتفاق على تأييد الثورة وضرورة الانضمام إليها بسرعة، وأنه سارع شخصيا إلى مراسلة الإبراهيمي في القاهرة يعلمه فيها بالثورة وأهدافها ويطلب منه أن يصدر بيانا يبارك الثورة ويمجدها، وقد التزم بذلك فأصدر بيان 02 نوفمبر 1954م الذي سبق الحديث عنه.

أما الأستاذ عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون فذكر في مذكراته، أن الانضمام الرسمي لجمعية العلماء إلى صف الثورة التحريرية كان لا شك في أواخر سنة 1955م، وهذا كأفراد شأنها في ذلك شأن بقية الأحزاب الوطنية، وهو الشرط الذي إشترطته جبهة التحرير الوطنية، ثم أضاف أن رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي قد أيد في البداية مصالي الحاج ضنا منه أنه هو من فجر الثورة حسب ما تطرق إلى ذهنه بسبب برقية وردت إليه منه، لكنه أصلح من غلطته وأيد جبهة التحرير الوطني بإعلانه الانضمام إليه[3]كما أورد أيضا في نفس الإطار – أي ابن العقون – أنه سأل الشيخ محمد خير الدين عن حقيقة موقف جمعية العلماء من الثورة، فأخبره هذا الأخير بأن ما ذكره الأستاذ أحمد توفيق المدني في مذكراته عن علم الجمعية بالثورة هو كلام كاذب، وأن

---

[1] نفسه، ص 33، وما بعدها.

[2] توفيق المدني، المصادر السابق، ج 2، ص 23.

[3] عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مدكرات معاصر (1947م – 1954م)، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 511.

الحقيقة هي أنه كلف شخصيا – الشيخ محمد خير الدين – في أواخر سنة 1955م قبل السيد عبان رمضان ويوسف بن خدة ليختار ثلاثة أعضاء من جمعية العلماء قصد إيفادهم إلى القاهرة لينظموا إلى أعضاء جبهة التحرير هناك، وكلما كلف أيضا بالإتصال بالسيد فرحات عباس ليقوم هذا الأخير بدوره بتعيين ثلاثة أعضاء من حزب البيان لإرسالهم إلى القاهرة أيضا، فأختار الشيخ خير الدين كل من: الشيخ عباس بن الشيخ الحسين والأستاذ توفيق المدني للإلتحاق بالإبراهيمي في القاهرة[1].

أما الدكتور محمد العربي الزبيري[2] فيرى أن الجمعية هي الأخرى على غرار بقية الأحزاب الوطنية وحتى المواطنين قد تفاجأت باندلاع الثورة، بسبب السرية التامة التي حرص عليها القادة الذين أعدوا للثورة، حيث أصيب الجميع بالحيرة وتمكن الشك من نفوس الكثيرين. ثم يضيف الزبيري أن أول خطأ إرتكبته جمعية العلماء هو معارضتها لبيان أول نوفمبر 1954م بصفة عفوية ولا شعورية، ثم يضيف أن أعضائها لم يمتثلوا للإنذار الذي وجهته لهم جبهة التحرير الوطني للإنضمام الجماعي للثورة، حيث قابلوه باللامبالاة رغم المفاوضات التي جرت بين الطرفين والتي لم تؤدي إلى نتائج إيجابية، ولم يتراجع العلماء حسب الزبيري عن معارضتهم للثورة إلا بعد أن أصدر الحكم بالإعدام في حق كل معارض للثورة من العلماء أو من أعضاء حركة أحباب البيان والحرية، وقد نفت بعض الأحكام فعلا وتحت تأثير ذلك أصدر المجلس الإداري للجمعية بيان 07 جانفي 1956 م الذي يعتبر بداية لإنضمامها بصفة رسمية للثورة. ويخلص الزبيري إلى أن العلماء أيدوا الثورة إلى غاية نهاية سنة 1955م بصفة فردية وبعدد محدود على رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي الذي أغتيل سنة 1959 م لموقفه الإيجابي اتجاه الثورة[3]. وربما ما يعاب عليه الزبيري كونه لم يورد أو يشير إلى بيانات الإبراهيمي المتسلسلة والممضاة باسم جمعية العلماء وباسمه والتي أصدرها من القاهرة كما سلف الذكر. وركز فقط على إفتتاحيات ومقالات جريدة البصائر التي كانت حسبه – الزبيري – تستقي المعلومات الخاصة

[1] المصدر نفسه، ص ص 511 – 512.

[2] العربي زبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984م، ص 181.

[3] أحمد حماني، المصدر السابق، ص 179.

بالثورة من مصادر فرنسية، إضافة إلى معارضتها – الجريدة– الصريحة للثورة وجهرها بآمالها المتمثلة في تمكن الجيش الفرنسي من إخماد الثورة.

ومنه ألا يمكن إعتبار بيانات الإبراهيمي المتتالية بمثابة تأييد رسمي من قبل جمعية العلماء للثورة؟ وأن العلماء الذين ترددوا أو عارضوا الثورة كان ذلك موقفا فرديا منهم؟ أما العكس هو الصحيح؟ وهل يمكن أن نعذر تلك الفئة من العلماء المترددة أو المعارضة في موقف كهذا؟.

إن الموضوع في الحقيقة يحتاج إلى توسع أكثر، وربما إلى دراسة مستقلة تزيل الغبار عن موقف جمعية العلماء من الثورة قبل انضمامها الرسمي إليها في أواخر سنة 1955م حسب الشيخ محمد خير الدين أو مطلع سنة 1956م حسب الدكتور العربي الزبيري.

ومهما يكن فإن العلماء كانوا أكثر من ينشد طيلة مسيرتهم النضالية العمل الثوري[1] رغم إيديولوجيتهم الإصلاحية فلا أحد يشك في وطنيتهم والدليل على ذلك هو إنضمامهم إلى الثورة سواء بصفة فردية أو جماعية[2].

ولم يكتف الإبراهيمي ببيانات التأييد والشرح لمبادئ الثورة، بل ندر نفسه من الأيام الأولى سفيرا لها لا يترك وسيلة يعتقد أنها تخدم القضية الجزائرية إلا وأتاها، ومن ذلك طلبه الجريئ الذي تقد به لشيخ الجامع الأزهر الشريف في يوم 12 نوفمبر 1954م بأن يدعوا المسلمين إلى الجهاد ضد فرنسا، وهو ما دفع بالضابط الفرنسي " سيرفي " – Servy – إلى إتهام جمعية العلماء مباشرة بتدبير حوادث الثورة[3].

4 – نشاطه لصالح الثورة التحريرية (1954م – 1962م):

راح الشيخ الإبراهيمي يتنقل بين مختلف الأقطار العربية والإسلامية إنطلاقا من مصر، يستنهض الهمم ويدعو إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي للثورة، مستخدما ذكاءه الوقاد وقدرته الكبيرة على الإقناع، رغم العلل والأمراض الجسدية التي كانت لا تبارحه إضافة إلى كبر سنه.

---

[1] العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 181.

[2] FANNY (C): Lettrés.Intellecctueles , O. P. CTT. P96.

[3] مولود بلقاسم نايت بلقاسم: ردود افعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1987 م، ص 67.

ففي شتاء سنة 1954م زار المملكة العربية السعودية وبعاصمتها الرياض إلتقى بالملك سعود بن عبد العزيز، وظل يحادثه لمدة ساعتين عن الجزائر وماضيها وعروبتها وإسلامها وحاضرها المزري بسبب الإستعمار الفرنسي الذي يريد إبتلاعها، طالبا من الملك والدولة السعودية النصرة المادية والمعنوية، وقد كان كل ما يقوله الشيخ البشير الإبراهيمي يعتبر جديدا بالنسبة للملك السعودي، إذ كانت المعلومات التي يعرفها عن الجزائر والأخبار التي سمعها عنها قليلة جدا، وقد خرج الإبراهيمي راضيا مكن هذه المقابلة نظرا للإستجابة الكبيرة التي وجدها لدى الملك، وقد كانت حالته الصحية في غاية التدهور حيث أنه ما إن إنتهت المقابلة حتى إرتمى في إحدى الغرف طالبا من أحد مرافقيه الجزائريين إحضار الطبيب لمعالجته من أمراضه الكثيرة، وقد ظل لأيام عديدة في حالة غيبوبة وإذا ما عاد إلى وعيه تمتم قائلا: " ما هي أخبار الجزائر وما إستجد في موقف الحكومة السعودية من جبهة التحرير ".وماهي إلا مدة قصيرة حتى سخرت السلطات السعودية مصنع السلاح في بلدة " الخرج " الذي كان يعمل ليل نهار لتمويل الجزائر بالسلاح الذي يقوم بتصنيعه حتى أواخر أيام الثورة، كما قدمت مبالغ مالية ضخمة لشراء أنواع أخرى من الأسلحة من مختلف أنحاء العالم، وقامت بقطع علاقاتها مع فرنسا تدريجيا[1].

وفي بعض الأحيان كان الإبراهيمي وبسبب حماسه الشديد لكسب الدعم المادي والمعنوي للثورة مهما كانت الظروف، يخرج عن حدود اللباقة إلى حد ما ومن ذلك تلك البرقية التي أرسلها إلى الملك السعودي في يوم 09 جانفي 1955م، يطلب فيها منه أن يكلف أحمد بك الشقيري والأستاذ عبد الرحمان باشا أو أحدهما لمتابعة القضية الجزائرية والدفاع عنها باسم جلالة الملك في واشنطن رفقة السفارة السعودية هنالك، وقد وقع إختياره على الأستاذين بالذات لكونهما يلمان إلماما كبيرا بشؤون الجزائر من كل النواحي [2].

وفي مصر كانت أحاديث الابراهيمي عبر أمواج إذاعة "صوت العرب" تصل إلى المسامع بلهجة مؤثرة وبصورة منتظمة، أما مقالاته فكانت تتوارد على كبريات المجلات الفكرية آنذاك:

---

[1] عمر الحكيم: رجل فقدناه: الشيخ البشير الإبراهيمي عالم من أعلام العرب في القرن العشرين "، مجلة حضارة الإسلام السعودية، العدد 2، السنة السابعة، جويلية 1966م، ص 155.

[2] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 5، ص ص 51، 52.

كمجلة "الرسالة" للأستاذ الزيات، ومجلة "المسلمون" التي كان الكاتب الإسلامي سعيد رمضان رئيس تحريرها وغيرها... إلخ، وقد أحرزت تلك الأحاديث والمقالات نجاح كبير، تمثلت في كون أن القضية الجزائرية قد أصبحت من اهتمامات وسائل الإعلام العربية والإسلامية المختلفة، وقد ساعده علي هذا النجاح علمه الواسع وقلمه البليغ وحجته القوية ولسانه الفصيح وحديثه اللبق مع مستمعيه مهما كانت مستوياتهم الثقافية والإجتماعية فأصبح يلقب بإمام المغرب العربي تارة وبعلامة المغرب العربي تارة أخرى، رغم استهجانه بهذه الألقاب[1].

وكان عندما يجد نفسه عاجزا عن التنقل بسبب سوء صحته، حيث يقوم بتزويد مبعوثي الثورة إلى بعض البلدان العربية والإسلامية برسائل يوجهها إلى كبارها وعلمائها من الذين لهم تأثير معنوي وكلمة مسموعة لدى السلطات ليكونوا الواسطة ما بينهم، فيؤدون مهماتهم بكل سهولة[2].

ومن أجل توحيد جهود المسلمين الجزائريين المقيمين في القاهرة، بادر الإبراهيمي رفقة بعضهم إلى تأسيس جبهة تحرير الجزائر في شهر فيفري 1955م، ومنهم أحمد بن بلة وحسين أيت أحمد وأحمد مزغنة ومحمد يزيد، لتقديم المساندة لجيش التحرير الوطني ولإنجاح الثورة الجزائرية، وقد نص ميثاق جبهة تحرير الجزائر على محاربة الإستعمار الفرنسي بكل الوسائل الممكنة، وطلب المساعدة من الأشقاء العرب والمسلمين وكل الأحرار في العالم مناصرة للجزائر في كفاحها من أجل تحريرها وإستقلالها[3].

أما وسائلها فكانت البيانات والمؤتمرات الصحفية التي تشرح فيها الوضع في الجزائر وفضح السياسة الإستعمارية الفرنسية، وهكذا كان الشيخ الإبراهيمي لا يترك وسيلة إلا وأستغلها ولا بابا إلا وطرقه، في سبيل إنجاح الثورة الجزائرية الكبرى في الداخل والخارج وكسب التأييد المعنوي والمادي لها، ونشرت مجلة العرفان اللبنانية كلمة للشيخ الإبراهيمي في الذكرى الأولى لاندلاع الثورة التحريرية، وصف فيها الثورة الجزائرية بالمولود الذي سيفضي بلوغه ونضجه إلى تحرير الجزائر

[1] رابح تركي، " الشيخ البشير الإبراهيمي في المشرق العربي"، ثقافة، العدد 87، ص 228.

[2] الإبراهيمي، نفسه، ص 25.

[3] مصدر نفسه، ص 53.

والمغرب العربي كاملا من طغيان الإستعمار، كما وجه من خلالها نداءا للعرب لتمجيد الثورة المقدسة التي يقودها أبطال تجمعهم الكلمة الواحدة والهدف الواحد[1] .

وفي الفترة الواقعة بين مارس 56 وشهر أوت 57 كرر الإبراهيمي زياراته للمملكة السعودية وسوريا، لكن هذه المرة بصفته سفيرا للثورة التحريرية وفي مهمة لصالحها على رأس وفد هام من جبهة التحرير الوطني[2]، فبالنسبة لزيارته للسعودية فقد وثقت الصلة بينها وبين جمعية العلماء المسلمين[3]، وبعدها زار الباكستان وقام رفقة الوفد الذي رافقه بجولة شملت الكثير من مدنها وألقى خلال تواجده بها عشرات المحاضرات والخطب في المعاهد والجامعات والتجمعات الشعبية، وفي أثناء تنقلاته تلك أصيب بكسر خطير في ظهره وبالضبط في عموده الفقري[4]، بسبب سقوطه في الحمام بغرفة نومه، وقد أشرفت الحكومة الباكستانية بنفسها على علاجه[5]، إذ أستدعى الأمر إجراء عملية جراحية خطيرة ألزمته الفراش في المستشفى لعدة أشهر وهو مطوق بالجبس [6]، وللاطمئنان على صحته تنقل الأستاذ أحمد توفيق المدني إلى باكستان وزاره في المستشفى وفي ذلك قال[7]:"ووجدت الإبراهيمي هو هو لم يتغير إطلاقا: وجه متهلل وأسارير منبسطة، وحديث هو العسل المذاب، ومع ما يصحب كل ذلك، مما اعتاده من نكت نادرة من الأدب الرفيع".

ويضيف الأستاذ المدني أن معظم الحديث بينهما كان يدور حول أخبار الثورة، ومصر التي قامت بتأميم قناة السويس سنة 1956م، وعن أحوال الطلبة الجزائريين وجمعية العلماء، وفي هذا السياق أيضا يروي عن الإبراهيمي أنه بعد إصابته بالكسر في عموده الفقري حرص أن لا يذاع الخبر من طرف الحكومة الباكستانية ولما قيل له لماذا؟ ألا تحب الزوار؟ رد قائلا: " لا ليس هذا

[1] الإبراهيم، الأثار، ج 5، ص 171.

[2] سعد الله، أفكار جامدحة، ص 99.

[3] الإبراهيمي، المصدر نفسه، ص 177.

[4] توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3، مصدر سابق، ص 202.

[5] الإبراهيمي، المصدر نفسه، ص 177.

[6] توفيق المدني، المصدر نف-سه، ص 205.

[7] فضلاء، المرجع السابق، ص 178.

القصد وإنما القصد أن لا يسمع السفير الفرنسي فيقول انكسرت الجزائر ونحن نريد الجزائر شوكة لا تنكسر"[1]، وهو موقف يعكس مدى روحه النبيلة وأخلاقه الرفيعة وحبه الكبير لوطنه.

وبعد خروجه من المستشفى استضافته الحكومة الباكستانية في نزل كنتنتال[2] ولما تماثل للشفاء شد الرحال مرة أخرى إلى العراق في جو يسوده لوعة الفراق من طرف رجال الصحافة الذين أدلى لهم الإبراهيمي بكلمة شكر للحكومة الباكستانية، حيث حضر في العراق أسبوع الجزائر حيث ألقى كلمة نيابة عن جبهة التحرير الوطني حث فيها على ضرورة التخلي عن الأقوال والخطب والمبادرة بالأعمال والأفعال، وقد حضر هذا الإحتفال ملك العراق الذي ألقى كلمة بالمناسبة وأمر بفتح إكتتاب من أجل الأموال لفائدة الثورة التحريرية[3].

ويذكر الدكتور فاضل الجمالي أنه هو من كان يستقبل الإبراهيمي في زياراته المتكررة للعراق، بعد أن يخبره بمجيئه الأستاذ أحمد بودة مندوب الثورة الجزائرية في العراق، وبمجرد وصوله يشرع في إجراء الإتصالات سواء الرسمية أوالشعبية حاثا الجميع على على نصرة الجزائر في كل المجالات، ويضيف الجمالي أن الإبراهيمي قد استطاع بفضل إسلامه الصادق وجهاده الخالص في سبيل أمته أن يعرف الأوساط السياسية والشعبية في العراق بالقضية الجزائرية[4].

أما فيما يخص الجانب المادي فيضيف الجمالي أن الإبراهيمي كان يحث الحكومة العراقية على بذل أقصى ما تستطيع في سبيل الثورة الجزائرية، ولأن ميزانية الدولة كانت متواضعة تقرر تشكيل لجنة لجمع التبرعات من الشعب العراقي وترأسها هو بنفسه[5].

أما عن نشاطه في سوريا التي إنتقل إليها بعد إنتهاء زيارته للعراق فلسنا نعرف شيئا عنه وإن كان لا يختلف عما كان يقوم به في كل الأقطار العربية والإسلامية التي كان يزورها لأن الهدف

---

[1] فضلاء، مرجع سابق، ص 178.

[2] توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3، ص 208.

[3] الإبراهيمي، الأثار، ج 5، ص 179.

[4] فاضل الجمالي، مقال سابق، الثقافة، عدد 87، ص 124.

[5] نفسه، ص 126.

كان واحد وهو خدمة القضية الجزائرية، وليستقر بمصر من جديد بعد عودته من سوريا في شهر أوت 1957م ليستقر بها نهائيا إلى غاية شهر سبتمبر من سنة 1962م.

وبعد قيامه بالمجهودات الديبلوماسية على رأس بعثة جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، توجت بتخصيص الدول العربية والإسلامية "يوم الجزائر" سنة 1957م، حيث ألقى الإبراهيمي نداءا لهذه البلدان وشعوبها لنصرة الشعب الجزائري الذي يخوض حربا من أعظم الحروب.

والحق أن الشيخ الإبراهيمي لا تمر سنة من ذكرى اندلاع الثورة التحريرية إلا ويسجل فيها حضوره بقوة، طالبا يد العون والمساعد من الأشقاء العرب والمسلمين، وفاضحا لسياسة فرنسا التي فاقت في الشراسة والوحشية ما لا يصدقه عقل ولا يتحمله ضمير وكل ما يخجل من " فعله الشيطان"[1].

وبمناسبة الذكرى الرابعة لاندلاع الثورة التحريرية والتي صادفت موسم الحج لسنة 1958م، بعث الإبراهيمي برسالتين حملهما وفد جبهة التحرير الوطني إلى المملكة العربية السعودية، وقد وجه الأولى إلى مفتي المملكة السعودية الأستاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، طلب من خلالها أن يستغل فرصة اجتماع المسلمين من مختلف العالم لأداء مناسك الحج، ويقوم بحملة لصالح الثورة التحريرية، أما الرسالة الثانية فبعهثا إلى فضيلة الشيخ عمر بن حسين رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة السعودية لذات الغرض، مذكرا أياه أن ذلك من باب المر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

وقد دفعت هذه النجاحات التي كان يحققها الإبراهيمي في سبيل القضية الجزائرية بالشاعر العراقي مصطفى نعمان البدري إلى قول هذه الأبيات التالية:

فإذا البشير يجوب أفاق البلاد بقلب كابر ويحاضر العربان في تاريخ أمجاد الغوابر

ويحشد الرأي العميم لنصرة البلد المصابر فيمد فيهم نخوة الشجعان تتةأثر للعوائد.[3]

---

[1] الإبراهيمي، الأثار، ج 5، ص 193.

[2] نفسه، ص 224.

[3] عثمان سعدي: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 133.

ونستنتج مما سبق أن الشيخ الإبراهيمي قد إستطاع فرض إحترام الجميع له وما عضويته في الكثير من الهيئات والجمعيات خير دليل على ذلك، حيث كان عضوا بارزا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وفي جمعية الشبان المسلمين العالمية، وفي مجمع البحوث الإسلامية والمجمع اللغوي ببغداد، وفي ندوة الأصفياء الذي كان أحد المؤسسين لها، فكان يكرم حيثما حل وأرتحل بوصفه بالجزائري أولا وبالإبراهيمي ثانيا، ولعل أفضل تكريما له هو تعيينه عضوا كاملا في مجمع اللغة في القاهرة بقرار رئاسي صدر عن جمال عبد الناصر بتاريخ 14 فيفري 1961 م بعد أن كان عضوا مراسلا فقط[1].

وقد واصل الابراهيمي نشاطه بدون تراجع رغم سوء أحوله الصحية خاصة تلك المجهودات والتنقلات التي كان يقوم بها بين الأقطار العربية والإسلامية خدمة للقضية الوطنية ومما يلاحظ عليه أنه لم يتوقف عن الحل والترحال حتى نالت الجزائر حريتها تلك الحرية التي قال فيها:"... الحمراء اللعوب، والزهراء الدعبوب والحسناء التي تبوأت القلوب... التي طال شوقنا إليها وطلبناه بالكلام، فلم تزد إلا إعراضا وازورارا، حتى هدينا إلى التي هي أقوم، فطلبناه بالحديد وخضنا دونها الهول الهائل، وبذلنا في سبيلها المهج وأبهرناها الأرواح، فأسلست وأنقادت " [2].وإن دل هذا القول على شيئ فإنما يدل على أن صاحبه عاش طوال حياته محروما منها نظرا لوصفه الدقيق للحرية النابع من الصميم.

وقد أعرب الإبراهيمي عن شوقه الكبير إلى إستقلال الجزائر في يوم 05 جويلية 1962م والتي وصفه بشوق العطشان للماء بعد غياب دام عشر سنوات في المشرق العربي وبهذا يكون الإبراهيمي قد حقق حلمه المتمثل في رؤية الجزائر وهي مستقلة، بعد ان كان مجرد التفكير في ذلك يعتبر ضربا من السخافة بسبب المدة التي جثم فيها الإستعمار الفرنسي على الجزائر، وفشل كل محاولات تخليصها منه بشتى الطرق والأشكال.

[1] محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، ص 418.

[2] الإبراهيمي، الأثار، ج5، ص 270.

ومما لا شك فيه أن الشيخ الإبراهيمي قد كان سندا قويا ومتينا للثورة التحريرية بمساعيه لدى الحكومات وشعوب الدول العربية والإسلامية من أجل تقديم المساعدة والعون للثورة تارة وبالعنف والتوبيخ تارة أخرى.

5- عودته إلى الجزائر 1962م:

بعد أن قضى الشيخ الابراهيمى عشر سنوات كاملة 1952 – 1962م في المشرق العربي داعيا للقضية الوطنية على المستوى العربي والاسلامي محققا نجاحا كبيرا مكنه من التعريف بمعاناة الشعب الجزائري وكسب التأييد المادي والمعنوي لصالح جمعية العلماء ثم الثورة التحريرية منذ الأيام الأولى لاندلاعها من الأشقاء العرب والمسلمين.

وبمجرد الإعلان الرسمي عن إستقلال الجزائر وطرد المستعمر الفرنسي الذي جثم فوق أرضها قرابة مائة وإثنان وثلاثين سنة، عرف خلالها الشعب الجزائري كل أشكال الإستعباد والإضطهاد وتشويه مقوماته العربية والإسلامية، في هذه الآونة سارع الإبراهيمي إلى الإعلان عن عزمه على العودة إلى الجزائر التي غاب عنها مدة طويلة، قضاها سفيرا متجولا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة والدفاع عن القضية الجزائرية عامة.

ولعل ما عجل بعودته لأرض الوطن بعد الإعلان مباشرة على الإستقلال تلك الخلافات الحادة التي إندلعت بين قادة الثورة في تلك المرحلة أو ما عرف بأزمة صائفة سنة 1962م إذ أدلى بتصريح في جريدة "الجمهورية" القاهرية في شهر جويلية من سنة 1962م بعنوان: " سأذهب إلى الجزائر حتى لا يتمزق وطني "، وهذا بنية تهدئة الخواطر وإعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية، حيث قال: "... إذا إستمر الخلاف فسوف أذهب إلى هناك... إلى الجزائر.. وأقابلهم واحدا واحدا.. إنهم أبنائي.. وهم بالطبع لايريدون لوطنهم أن يتمزق.. إنني سأذهب.. لن أتوانى.. لن أتردد.. إني أحبهم جميعا "[1]، ثم أكد على أن تلك الخلافات هي من سنن الحياة بل من الضروري والحتمي أنها تحدث، لكن فقط يجب تجاوزها إذا أصبح وجود الوطن في المزاد، وهكذا كان الإبراهيمي حسب تصريحاته لا يترك وطنه يصارع مصيره وحده، إذ يضع نفسه دائما في

[1] الفضلاء، الإمام الرائد، ص 93.

خدمته كلما دعت الضرورة إلى ذلك، فبعد أن أعلن عن إستقلال البلاد وعن طرد الإستعمار الفرنسي الذي أفنى الإبراهيمي وغيره من الجزائريين أعمارهم في محاربته والإكتواء بناره كان بإمكانه أن يركن إلى الراحة ويستمتع بالأيام القليلة التي بقيت له في هذه الدنيا، إلا أنه أبى أن يفعل ذلك فحمل نفسه القيام بمهمة جديدة ربما تفوق في صعوبتها المهمات السابقة التي أداها إبان الإحتلال، إنها مهمة إصلاح ذات البين بين الجزائريين لتفويت فرصة أخرى على الإستعمار الذي لا يترك فرصة كهذه تضيع إلا وإستغلها لتحطيم كل ما من شأنه أن يفقده وجوده نهائيا في الجزائر ويهدد مصالحه الإستراتيجية، فأعماله كلها من " وحي الشيطان " كما كان الإبراهيمي يردد دائما.

وفي الحقيقة أننا لم نعثر على تاريخ محدد لعودة الإبراهيمي إلى الجزائر، لكن المرجح أنه عاد في أواخر شهر أكتوبر من سنة 1962م، ودليلنا في ذلك هو حضوره للإحتفالات الأولى المخلدة لاندلاع الثورة التحريرية التي أقيمت في أول نوفمبر سنة 1962م وقد وصف عبد الله التل الشيخ البشير الإبراهيمي أستاذه في تلك الإحتفالات قائلا: "رأيت الشيخ البشير الإبراهيمي في أحسن ساعات حياته وأعظمها "[1]، وكيف لا يكون الإبراهيمي مغتبطا وقد كان ذلك اليوم مجرد حلم غادرت أجيال كثيرة الدنيا دون أن تنعم به.

وقد كانت رحلة العودة إنطلاقا من القاهرة إلى الجزائر العاصمة برا على متن سيارة قطع خلالها مسافة تناهز أربعة ألاف كيلومتر، وهي المسافة الفاصلة بين مدينة القاهرة ومدينة الجزائر[2]، وعند وصوله نزل ضيفا عند أقربائه بالعاصمة، وكانت حالته الصحية في غاية التدهور[3]، مما جعل نشاطه محدودا جدا كما سيأتي في المبحث الموالي.

[1] الفضلاء، المرجع السابق، ص 157.

[2] أحمد حماني، المصدر السابق، ص 276.

[3] فضلاء، المرجع نفسه، ص 34.

6- موقفه من التوجه الاشتراكي للدولة الجزائرية:

بعد عودة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى ارض الوطن بعد الإعلان عن استقلال الجزائر وإلقائه لأول خطبة جمعة بعد الاستقلال بمسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة في اليوم الثاني من شهر نوفمبر من سنة 1962 بحضور مسؤولي الدولة وعدد غفير من الوفود العربية والإسلامية .[1]

إننا حين نتأمل في مضمون خطبة الإبراهيمي ندرك انه حاول من خلالها توجيه رسالة واضحة للسلطات العليا في البلاد آنذاك بهدف إرشادها إلى الحقيقة السياسية التي يتعين عليها إنتاجها في الجزائر المستقلة والتي تقوم حسب الإبراهيمي علي احترام قيم الشعب الجزائري وتراعي خصوصياته وتحقق أحلامه من الاستقلال وتعوضه عن الظلم العظيم الذي لحق به طيلة مدة الاحتلال.

وقد اعتبر مستمعوا هذه الخطبة أو الذين قرؤوها فيما بعد إنها كانت بمثابة تحذير للأمة الجزائرية قاطبة من الانزلاق نحو الفرقة والتشتت والتصادع على المصالح الشخصية والأهواء الايديولوجية، كما لو انه كان قد تنبأ بما وقع بعد ذلك بربع قرن من الزمن.

وكان الشيخ الإبراهيمي يقوم نشاطاته في الجزائر رغم العلل التي كانت تؤرقه وترهقه يوميا ومما زاد في ألامه وأمراضه بعد إخوانه عنه الذين انتقل معظمهم إلي الدار الآخرة وتلامذته الذين فرقتهم أسباب شتى، أما البقية الباقية من أصدقائه وتلامذته فالكثير منهم تنكر لجميله. وفي هذا الصدد يروي الأستاذ محمد الطاهر فضلاء[2]، الذي لازمه طيلة أيامه الأخيرة أن الإبراهيمي حدثه في احد الأيام قائلا: (إن الغرس الذي غرسناه وتعهدناه وبلونا فيه البلاء الحسن لن تبليه الأعاصير المفتعلة ولن تؤثر في خلوده الزعازع مهما اشتدت وطأتها لأنه غرس من نور الله الذي قضي بخلوده في السموات والأرض....وانتم تحملون أمانة الحفاظ عليه (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)، وهذا النص خير دليل علي أن الإبراهيمي قد بدا يلاحظ قبيل وفاته فعلا

[1] البشير الإبراهيمي، الآثار، ج5، ص 305

[2] فضلاء، المرجع السابق، ص34.

البوادر الأولي لما تنبأ به في احدي خطبه السالفة الذكر في سنة 1962 وهو تعثر مسيرة الثورة التي كان يخشى ضعف قيمها في نفوس الناس وقد أضاف فضلاء قائلا[1]علي لسان الإبراهيمي (إن الأشخاص حين ينظر إليها كأشخاص وحين يحيطها الناس بهالة من التقديس كأشخاص إنما مثلها كمثل زبد البحر الذي يطفو في هرج وهياج تحت تأثير التيار من حركتي المد والجزر ثم يتبخر رذاذا فيمتصه الهواء ويمسح منه كل اثر فيعود إلى صفائه وإشراقه، أما الأشخاص الذين ينظر إليهم كرواد مبادئ أو حاملي رسالات فهم باقون خالدون ما بقيت المبادئ وخلدت الرسالات وعلى هذا الأساس نزن الناس وبهذا الفهم نقيم القيم...) ومن هذا الكلام الذي أسربه الإبراهيمي لتلميذه فضلاء نستخلص الأمل الكبير الذي كان الشيخ الإبراهيمي يعلقه على الأجيال التي تربت في أحضان مدارس ومعاهد جمعية العلماء ومن ناحية أخري نستشف الحالة النفسية الكئيبة والمهتزة التي كان عليها الشيخ في تلك الأيام الأخيرة من حياته جراء انقلاب معايير الناس في تقديرهم لقيمة الأشخاص والرجال والإبراهيمي واحد من اكبر ضحايا هذا الانحطاط في التقدير.

ولأن الشيخ الإبراهيمي يتميز باندفاعه في قول الحق ولو كان مرا فقد أعرب عن قلقه بشان تطبيق النظام الاشتراكي الذي يؤدي إلي انزلاق البلاد في الماركسية [2] إدراكا منه ببصيرته النافذة العواقب الوخيمة لذلك النهج على مستقبل البلاد وشعبها [3]، وقد أفصح عن مخاوفه تلك في المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني المنعقد في بداية شهر افريل 1964م[4]، والمنعقد بقاعة سنيما إفريقيا بالعاصمة والذي جاء تكريسا لقرارات مؤتمر طرابلس والذي تقرر فيه إلتزام الجزائر بالنهج الإشتراكي، ضاربا عرض الحائط مبادئ الثورة الجزائرية الرامية إلى إقامة دولة جزائرية ديمقراطية في إطار المبادئ الإسلامية، ولما لم يجد الشيخ الإبراهيمي أذانا صاغية أصدر بيان

[1] فضلاء، المصدر السابق، ص35.

[2] فضلاء، مصدر نفسه، ص157.

[3] الإبراهيمي، الآثار، ج5، ص317.

[4] فضلاء، نفسه، ص 157.

السادس عشر أفريل 1964 ضد ما كان يحدث[1]، حيث نصح فيه بهدوء وحكمة المسؤول الأول عن البلاد أن يرجع إلى الجادة ويعود إلى الصواب[2].

وقد برر خروجه عن صمته الذي التزم به منذ عودته إلى الجزائر لاتجاه البلاد حسب رأيه آنذاك نحو حرب أهلية تأتي على الأخضر واليابس وما قد تغرق فيه من أزمة روحية. لم يسبق لها مثيل ومشاكل اقتصادية خانقة: "غير أنني اشعر أمام خطورة الساعة...انه يجب على أن أقطع ذلك الصمت أن وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل"[3].

وكما حمل القائمين على شؤون البلاد مسؤولية التشتت والحلافات والأوضاع المزرية التي كانت تعصف بالبلاد آنذاك والعواقب الوخيمة والخطيرة للانحراف العقائدي السياسي تنبيههم لأفكار ونظريات أجنبية غربية لم تستلهم من مقومات هوية الشعب الجزائري وهي العروبة والإسلام حيث يقول في هذا الصدد: "ولكن المسؤولين على ما يبدو لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية، وأن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية والإسلامية لا من مذاهب أجنبية"[4].

كما أوصى بالعودة إلي المبدأ الإسلامي الذي ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وهو الشورى، كل هذا حسب الإبراهيمي من أجل بناء دولة جزائرية تقوم علي العدل واحترام الحريات وتقوى الله سبحانه وتعالي حيث يقول الإبراهيمي: "لقد آن للمسلمين أن يضربوا المثل في النزاهة وألا يقيموا وزنا إلا لتضحية والكفاءة وان تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم...وأن نعود إلى الشورى التي حرص عليها النبي –صلي الله عليه وسلم– وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشهدوا جميعا (مدنية) تسودها العدالة والحرية، (مدنية) تقوم على تقوى الله ورضوانه [5].

---

[1] عبد الرحمان شبان. حقائق وأباطيل: الشيخ محمد لبشير الإبراهيمي والثورة البصائر. السلسلة الرابعة. العدد 15.28اوت. – 04 سبتمبر 2000م. الجزائر. ص16.

[2] الإبراهيمي. الآثار. المصدر نفسه ص 317.

[3] الإبراهيمي. الآثار، ج5. المصدر السابق، ص 317.

[4] نفسه.

[5] عبد الرحمان شيبان، الحقائق والأباطيل، مقال سابق، ص16.

وقد كلفه هذا البيان السجن ثم الإقامة الجبرية والحرمان من الزيارات[1] كما أوقف عنه مرتبه الضئيل الذي كان يصرف له[2]، ولكنه ظل على موقفه ذلك ينتقد ويهاجم أول رئيس للبلاد آنذاك – أحمد بن بلة – حتى بأبيات ساخرة ومنها[3]:

باع امنا وهدوءا وخلالا أخوية

وغدوا ورواحا في فجاج الوطنية

واشترى لفظا سخيفا ختمه في المنطق كية[4]

وهكذا قضى الإبراهيمي أيامه الأخيرة ثابتا في مواقفه جادا في الدفاع عن مبادئه منافحا عن الحق، ولو كلفه الأمر مثلما كلفه بيان 16افريل 1964 لا يفرق بين الظلم سواء كان من العدو أو من الأخ، وهو يتألم للعزلة التي كان يعيشها بسبب تنكر أصدقائه وتلامذته وهجرهم له، ولما آلت إليه الأوضاع في البلاد من جراء السياسات التي تفتقد إلى التبصر والحكمة إلى أن ينتقل إلى جوار ربه.

7 – وفاته:

توفي الشيخ البشير الإبراهيمي ظهر يوم الخميس التاسع عشر محرم 1385هـ الموافق ليوم التاسع عشر ماي 1965م عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاما بمنزله المتواضع الواقع في حي حيدرة بالجزائر العاصمة، وقد تمت تأدية صلاة الجنازة على جثمانه بالمسجد الكبير بالجزائر العاصمة وسط حضور شعبي كبير، يعكس منزلته العالية عند الجزائريين بمختلف فئاتهم الإجتماعية[5]، وقد وري التراب بمقبرة سيدي أمحمد بالعاصمة يوم الجمعة 20 محرم 1385هـ الموافق ل 20 ماي 1965م[6].

---

[1] عبد الرحمن بن إبراهيم ابن ألف نون (الإبراهيمي فقيد العروبة والإسلام، الثقافة، العدد87 , ص34.

[2] احمد حماني، المصدر السابق، ص276.

[3] محمد الهادي الحسني، مقال سابق، ص 602 , (الموافقات 1995 الجزائر).

[4] يقصد بالكية الاشتراكية.

[5] فضلاء، مرجع سابق، ص ص 20 .21 .

[6] محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 1، ص 412.

وقد أبنه صديقه ورفيقه ونائبه في رئاسة جمعية العلماء الشيخ محمد خير الدين[1] بكلمة جاء فيها: " الله أكبر: هوى نجم البشير، وسكت ذلكم الصوت الجهير – وسكن ذلكم القلب الكبير، وجف ذلكم القلم السيال الخطير، وأصبح كل ذلك في حكم التاريخ... مات محمد البشير الإبراهيمي العالم المحقق الأبل، والكاتب المبدع والمفتن، والخطيب الأشدق المسقع، والمصلح الديني والإجتماعي الموفق، المفكر الحر الجريئ، والإمام السلفي الأكبر، والمؤمن المطمئن النفس الصادق الإيمان "، أما أمير شعراء الجزائر ورفيق درب الإبراهيمي في النضال محمد العيد آل خليفة (1904م – 1979 م) فقد ألقى حول قبره قصيدة تأبينية رثاه فيها بعنوان " لست أنسى " ومما جاء فيها:

أي خطب هز البلاد عويلا ودهاها فما تفيق دهولا؟
أي رزء أصابنا منه ماكادا يدك الجبال دكا مهولا.
أي خصف طوى البلاغة والسؤدد والمجد والكفاح الطويلا؟
أي هول تشيب منه النواصي يوم شاء الإبراهيمي عنا الرحيلا؟
يوم شاء البشير أن يتعرك الدنيا ويمضي لربه مستقبلا.

وقد وقع خبر وفاة الشيخ البشير الإبراهيمي في الجزائر كما في العالم العربي والإسلامي موقع الساعقة، سارع كبار الشخصيات في عالم الفكر والدب والسياسة إلى التعبير عن الصدمة التي أصيبوا بها بنجرد سماعهم للخبر، وإلى الحديث عن مناقبه ومنزلته العلمية والأدبية والفكرية عبر المقالات الصحفية والأحاديث الإذاعية، فقد اعتبر الأستاذ محمد الطاهر فضلاء[2] تلميذ الشيخ الإبراهيمي وفاة أستاذه كارثة حلت بالمسلمين ونكبة أصابتهم، لأن الإبراهيمي إماما وقائدا ولسانا عربيا فصيحا وساحرا.

[1] نفسه.

[2] فضلاء، المرجع السابق، ص 65.

أما الأستاذ محمد المبارك[1] عضو المجمع اللغوي بدمشق، فقد وصف الإبراهيمي بشيخ الجزائر الأكبر وأحد الرؤوس الكبيرة التي بنت نهضة الجزائر والتي حافظت لها عروبتها وإسلامها من الذوبان في الكيان الفرنسي.

كما رثاه الكثير من الشعراء في الجزائر ومنهم: محمد الأخضر السائحي وأحمد سحنون... إلخ، وفي الوطن العربي ومنهم: الدكتورة بنت الشاطئ والشاعر الكبير بهاء الدين الأميري الذي بكاه في قصيدة رائعة جاء فيها:

جل المصاب، ومجت في أحزانه وعجزت عن كظم الأسى وبيانه.
فوجمت والقلب الرؤوم جو علا فقد " البشير " يغد في خفقانه.
والدمع رغم رجولتي وتجلدي بح الزفير وبل من تهتانه.
قالوا: أتبكي؟ كيف لا أبكي أبا وأخا وأستاذا فريد زمانه.
أبكي المودة والوفاء سجية والنبل، كان يشع من أردانه.
أبكي الفضيلة والمروءة والندى والمكرمات تسير في ركبانه.
أبكي الثقافة والحصافة والحجى والذوق وازا العلم في ميزانه [2].

ومما قاله أحد كبار الشخصيات العربية أنه بوفاة البشير الإبراهيمي يكون العرب والمسلمون قد دفنوا مع جثمانه "إدارة معارف لا تعوض" 3، أما على المستوى الرسمي فقد نعاه العالم العربي والإسلامي بتنكيس الأعلام وإعلان الحداد، وبتخصيص برامج إعلامية في مختلف وسائل الإعلام، وبإقامة حفلات تأبين، إشادة بسيرته وجهاده ومكانته العلمية والدينية والأدبية4.

وهكذا يسدل الستار على مسيرة رجل دامت نصف قرن من الزمن، كانت حافلة بالنضال والمقاومة ضد الإستعمار الفرنسي الذي ظل الإبراهيمي يصفه بأنه ينفرد عن غيره بالخبث والدناءة، وبكل ما هو دون القيم الأخلاقية والإنسانية والحضارية السامية.

---

[1] محمد خير الدين، المصدر نفسه، ج 2، ص 155.

[2] الإبراهيمي، الأثار، ج 5، ص 29.

[3] فضلاء، المرجع السابق، ص 118.

[4] المرجع نفسه، ص 73.

8-أثاره:

لم يهتم الشيخ البشير الإبراهيمي بالتأليف على غرار زملائه العلماء الآخرين، لانشغاله الكبير بتربية وتعليم النشئ، وإدارة شؤون الجمعية خاصة بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس[1]، وفي هذا الصدد يقول: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا منم رضى الرب ورضى الشعب" [2]، ومن هذا التصريح نستنتج أن الإبراهيمي كان يفضل تنشئة الأجيال التي تقود المجتمع نحو الازدهار والتقدم، على تأليف الكتب التي تحقق له منفعة شخصية، على عكس العمل الأول الذي يفيد المجتمع أيما إفادة.

كما أن الكثير من خطبه ودروسه ومحاضراته التي يلقيها ارتجالا لم يسجل، وما كان له من مؤلفات ومخطوطات في الجزائر قد ضاع أثناء ثورة التحرير، حيث استولى عليها الجيش الفرنسي وهو في المشرق العربي، وفي هذا الصدد أيضا يقول نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي[3] الذي تكفل شخصيا بجمع أثار والده الشيخ البشير الإبراهيمي، والتي اعتمدتها كمصدر أساسي في هذا البحث: " ولئن كانت هذه الأثار المطبوعة في حجمها بالنسبة لحياة الشيخ الحافلة، فإن كثيرا ضاع، وكثيرا مما ألقاه من دروس وخطب ومحاضرات لم يسجل لأنه كان يلقيه ارتجالا، ولم تتسنا إلا كتابة القليل منه وكانت له مؤلفات وكتابات مخطوطة حول العديد من المواضيع في الدين واللغة والأدب والاجتماع ضاعت إبان ثورة التحرير، إما عند بعض تلامذته أو بيته بالجزائر العاصمة حيث إقتحمه الجيش الفرنسي – وهو بالمشرق العربي – وعاث في مكتبته نهبا وتخريبا، ففقدت مخطوطاته ومعظم كتبه ".

---

[1] المصدر السابق، ص ص 229-230.

[2] البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص 229.

[3] البشير الإبراهيمي، الأثار، ج 1، مصدر سابق، ص 06.

وقد عاتبه كثيرا أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان لما زارها في سنة 1952م، على عدم انشغاله بتأليف كتب حول أحوال المسلمين، لأن أحاديث الإبراهيمي حسب المودودي إذا طبعت فهي ترقى إلى مستوى الكتب[1].

ويرى أيضا الشيخ عبد الرحمن شيبان[2] هو أحد تلامذة جمعية العلماء، أن الكثير من أثار الشيخ البشير الإبراهيمي قد ضاع بسبب اليد الاستعمارية التي امتدت إليها، ودليله في ذلك أن الشيخ بلقاسم بن رواق مدير مدرسة جمعية العلماء بمدينة بلعباس، قد أطلعه على رسالة جاءته من الشيخ من أفلو حيث كان منفيا، يطلعه فيها أنه بصدد تأليف كتاب عن حياة ابن باديس في ثلاثة وعشرين (23) فصلا، وهو في حاجة ماسة إلى مراجع ويرجوه أن يزوده بما لديه منها.

وتتميز كتابات الإبراهيمي بكونها تعتمد على توظيف القرآن الكريم وخاصة القصص منه، والأمثال العربية، وأسلوب التهكم والسخرية، ومتضيف قواعد اللغة العربية فنيا، والجرس والإيقاع الموسيقيين[3]، كما كان:" قلم الإبراهيمي سيالا، ولسانه سليطا... فقد تناول الشؤون الدينية، وعالج المواضيع الاجتماعية والإصلاحية، وخاض في السياسة خوضا عنيفا، ولم يفرط في ذات الأدب أثناء كل ذلك، فتوزعت جهوده، وتناثر نشاطه، فلم يستطع أن يفرض وجوده من لون من هذه الألوان التي خاض فيها"[4]، ومنه يتبين لنا أن الإبراهيمي كان أسلوبه في الكتابة أو الخطابة يتميز بالصراحة وعدم المجاملة فيما يراه حقا، وبالنقد اللاذع في الكثير من الأحيان حتى لمن هم على صلة به هذا من جهة، وبتعدد مواهبه في كثير من المجالات العلمية والأدبية .

وكانت رسائل الإعجاب والاهتمام تنهال على جريدة البصائر من المغرب والمشرق العربيين ومن العالم الإسلامي، فقد كانت افتتاحيتها التي يستهلها "قلم الإبراهيمي الرفيع"[5]، ومقالات الإبراهيمي في غالبها ذات قيمة تاريخية كبيرة بالنسبة لتاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فهي

---

[1] البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4 (1952 م، 1954م)، جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ص ص 186.187.

[2] المصدر نفسه، ص 76.

[3] محمد ناصر: " الشيخ البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفني"، مجلة الموافقات، العدد 04، الجزائر، جوان 1995م، ص 452.

[4] عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 481.

[5] محمد ناصر، مقال سابق، الموافقات، ص 481.

تعرض جوانب من مواقفه في وجه ذلك المخطط، كما تعكس مدى استماتته في مقاومته، وقد أجمل الشيخ البشير الإبراهيمي ذكر كتاباته ومؤلفاته في مقاله " خلاصة حياتي العلمية " وهي على النحو الآتي:

1 – عيون البصائر: تشمل مجموعة المقالات التي كتبها في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية.

2 – كتاب بقايا النفايات والنفايات في لغة العرب، حيث جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة.

3 – كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.

4 – كتاب أسرار الضمائر في العربية.

5 – كتاب التسمية بالمصدر.

6 – كتاب الصفحات التي جاءت على وزن فعل.

7 – كتاب الإطراء والشذوذ في العربية.

8 – كتاب نظام العربية في موازين كلمتها.

9 – كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.

10 – رواية كاهنة أوراس.

11 – كتاب حكم مشروعية الزكاة في الإسلام.

12 – كتاب شعب الإيمان حيث جمع فيه الأخلاق والفضائل السامية.

13 – رسالة في افرق بين لفظ المطرد والكثير عند إبن مالك.

14 – رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا إثنان.

15 – رسالة في مخارج الحروف وصفاتهما بين العربية الفصيحة والعامية.

16 – ملحمة رجزية تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه.

17 – محاضرات وأبحاث نقلها عنه تلامذته وفتاوى متناثرة.

إن المتأمل في هذه العناوين، يتبين له أنها تشمل عدة مجالات في اللغة والأدب العربيين، وذات قيمة علمية معتبرة لو لم تعبث بها يد الضياع التي حالت دون إثراء اللغة العربية بهذا الرصيد العلمي والمعرفي الكبير[1].

[1] محمد مهداوي، المرجع السابق، ص 66.

وقد كان الإبراهيمي يأمل أن يطبع بعض هذه المؤلفات في الجزائر، إلا أن ظروف الجزائر من جهة، وظروف جمعية العلماء من جهة أخرى لم تسمح بذلك، فسحب عدد محدود من الجرائد والمحافظة على استمرار صدورها يعتبر في حد ذاته معجزة بالنظر إلى السياسة الاستعمارية المطبقة آنذاك، وقلة الإمكانيات المادية، فكيف الحال إذا تعلق الأمر بطبع تلك المؤلفات والكتب؟

ومما يحق قوله أن الشيخ الإبراهيمي لم ينشغل بالأمر ولم يوليه الإهتمام الكبير خاصة وأنه كان بإمكانه أن يحمل معه تلك المؤلفات في زيارته الثانية إلى المشرق العربي (1952 م–1962م) خاصة في مصر، لأن هذه الأخيرة كانت تعرف نموا كبيرا في طبع المؤلفات وبكل سهولة، وقد أرجع الإبراهيمي سبب إحجامه عن ذلك إلى كونه سافر إلى المشرق في مهمة لمصلحة الجزائر عامة وليس لمصلحته الشخصية، حيث قال: "تركت مسودات مؤلفاتي كلها في الجزائر ولم أصحبها معي لتطبع أو يطبع بعضها كما كنت آمل، لأني لم أشأ أن أخلط عملا عموميا للجزائر، بعمل شخصي لنفسي"[1]، ونستنتج من خلال هذا القول مدى سمو ورفعة أخلاق الإبراهيمي الذي كان بين المصلحة الوطنية العامة ومصلحته الشخصية، وهي خاصية ضرورية توفرها لكل من يريد أن يخدم وطنه، فالأقوال مقرونة بالأفعال كما كان يقول الإبراهيمي دائما، هذا ما نلمسه في كل مراحل نضاله.

ومن خلال ما جاء في هذا الفصل نستنتج أن الشيخ الإبراهيمي قد استطاع أن يخرج جمعية العلماء من إطارها المحلي والوطني والفرنسي إلى الفضاء العربي والإسلامي، من خلال التعريف بها وبأهدافها وبالأوضاع الاستثنائية التي كانت تعمل فيها، وربطها بأهم الجمعيات والمنظمات والهيئات العربية والإسلامية ذائعة الصيت آنذاك كجمعية الإخوان المسلمين في مصر التي فتحت مراكزها ونواديها للشيخ البشير الإبراهيمي ومرافقيه من العلماء طيلة إقامتهم بمصر التي دامت عشر سنوات، لإلقاء الدروس والمحاضرات وعقد الملتقيات والندوات، ولم يمض سوى وقت يسير حتى أصبحت جمعية العلماء في قائمة أكبر وأنشط الجمعيات والمنظمات في العالم العربي والإسلامي، لا ينازعها في تلك المكانة سوى جمعية الإخوان المصرية.

[1] ا محمد مهداوي، المرجع السابق، ص 64.

هذا بالنسبة لجمعية العلماء، أما بالنسبة للثورة التحريرية فقد كان الإبراهيمي فيها مميزا إذ ذهب لتأييدها ونصرتها في اليوم الثاني من اندلاعها وتحول بسرعة إلى سفير لها رغم أنه لم يتلق الفنون الديبلوماسية، كان سلاحه في ذلك أسلوبه المتميز في الحديث وخطبه القوية المؤثرة التي تزيد من حديث المتعاطفين، وتهز نفوس المترددين والمتقاعسين.

ورغم المساعدات السخية التي كانت تقدمها الحكومات العربية والإسلامية لفائدة القضية الجزائرية، سواء بقبول التكفل بالبعثات الطلابية الجزائرية للدراسة في معاهدها وجامعاتها على حسابها الخاص، أو القيام بالدعاية الديبلوماسية لصالح الثورة الجزائرية في الهيئات والمحافل الدولية، فإن الإبراهيمي ظل يلح باستمرار على ضرورة تقديم المزيد من الدعم المادي والمعنوي لصالح الثورة، معتبرا ذلك واجب قوميا ودينيا نحو الشعب الجزائري، وقد كانت روحه الوطنية المتقدة تدفعه في بعض الأحيان إلى إحراج الكثير من قادة وحكومات الدول العربية والإسلامية بسبب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي تجعلها تتحمل أكثر من طاقتها، وهو سلوك يعذر عليه الإبراهيمي كل من اطلع أو خبر بمأساة الشعب الجزائري آنذاك.

ويكفي للدلالة على هذا الدور الكبير الذي أداه الشيخ البشير الإبراهيمي لصالح القضية الوطنية عامة، ما كان يردده الكثير من أهل المشرق على مختلف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية من أنهم عرفوا الجزائر وقضيتها عن طريق الإبراهيمي وجمعية العلماء.

وقد عاد الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الجزائر وهي مستقلة سنة 1962م بعد أن قضى عشر سنوات في المشرق العربي، حيث واصل نشاطه بها إلى أن توفته المنية سنة 1965م.

الخاتمة:

تندرج هذه الدراسة في إطار التراجم والسير، ومن خلال التحليل والمناقشة، نخلص في الأخير إلى استنتاج ما يلي:

1-أن السياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة على الجزائر طيلة الاحتلال كانت ترمي إلى جعل الجزائر وطنا فرنسيا رغم وجود الكثير من الفوارق الدينية والحضارية والجغرافية الموجودة بينهما، والواضح أن منطلق تلك السياسة هو إخضاع كل الميادين للنفوذ الفرنسي، ومن ثمة نجد الجزائر أكثر المستعمرات الفرنسية على وجه الخصوص التي تعرضت إلى تلك السياسة المجحفة حقا، إذ لم تترك السلطات الفرنسية ميدانا إلا وتدخلت فيه، وبذلك حرمت الجزائريين من أبسط حقوقهم المدنية والسياسية والإنسانية رغم الأكثرية الجزائرية مقابل ذلك سلطة المعمرين هي العليا في الجزائر، هذا الأمر الذي أدى إلى وجود مجتمعين مختلفين تماما، الأول يعاني الاضطهاد والإجحاف من خلال القوانين الاستثنائية التي كانت تصدرها السلطات الفرنسية، والثاني يتحكم في زمام الأمور وتمثله الأقلية الأوروبية الذين توافدوا من مختلف الدول الأوروبية.

2 – كان من نتاج سياسة التجهيل واضطهاد اللغة العربية ركودا ثقافيا وأدبيا طبع فترة طويلة من الزمن على الجزائر، والإبراهيمي في هذا المجال كان رد فعله قويا ومبدعا في مختلف الفنون الأدبية واللغة العربية، فقد أبهر ببيانه العربي الساحر أهل المشرق العربي الذين كانوا يتفوقون على أهل المغرب العربي تفوقا كبيرا في ذلك، إلى درجة تلقيبه بلقب أمير البيان العربي، فصحح لهم بذلك اعتقادهم الخاطئ بأن اللغة العربية في الجزائر قد إندثرت نهائيا، وحلت محلها اللغة الفرنسية.

والظاهر أن الشيخ الإبراهيمي رفقه صديقه في جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد الحميد بن باديس قلبوا الظروف من خلال المشروع التربوي الرائد الذي باشراه، والذي يعتمد أساسا على تعليم اللغة العربية لعامة الناس وكذا علومها وفنونها الأدبية للطلبة الذين يدرسون بصورة منتظمة في مدارس الجمعية، فماهي إلا سنوات قليلة حتى أصبح الناس يتكلمون اللغة العربية بلسان شكل

سليم، ناهيك عن الكثير منم هم الذين أضحوا يتقنون الخطابة وقول الشعر، وقد كانت لصفحات جريدة البصائر على سبيل المثال ميدانا خصبا لتنافس أولئك الطلبة والكتاب.

وما زال الشيخ الإبراهيمي متربعا على عرش البيان العربي رغم بروز أجيال من اللغويين والأدباء الذين ساهموا بقسط وافر في إثرا الأدب العربي، وبعث اللغة العربية.

3- كما نستخلص أيضا أن الشيخ الإبراهيمي قد لعب دورا كبيرا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بلسانه وقلمه وماله، وحتى القانون الأساسي كان من إنشائه بخلاف ما ذهب إليه الشيخ أحمد توفيق المدني في مذكراته من أنه هو من قام بإعداد تلك المواثيق، مما جعل الشيخ ابن باديس يعتمد عليه اعتمادا كليا في تسيير الكثير من شؤون الجمعية، ويعود ذلك لشخصية الإبراهيمي وذكاءه الوقاد وشجاعته الكبيرة في مواجهته الصعوبات وكذا بعد النظر.

ومن خلال جمعية العلماء المسلمين استطاع الشيخ الإبراهيمي إبراز قدراته الذاتية والفكرية والسياسية في اقتراح الحلول للأوضاع في الجزائر والتي أنتجتها السياسة الاستعمارية، حيث كان مجرد التفكير في مبادرة وطنية لإصلاحها يعد ضربا من الخيال، الأمر الذي فتح الباب أمام مناشير ومراسيم الإدماج والفرنسة، وفي هذا الإطار حذر الابراهيمي السلطات الفرنسية من مغبة ذلك، وفعلا تبين لها ذلك الخطأ، وعلى رأسهم المفكرين والمثقفين الذين نبهو ا حكوماتهم المتعاقبة من عواقب الاستمرار في نهج ذلك الأسلوب والاحتقار المستمر للأهالي، لأن ذلك بدوره يوسع الهوة بين الجزائريين وفرنسا .

كما استطاع الإبراهيمي قيادة جمعية العلماء بنجاح كبير بعد وفاة العلامة عبد الحميد ابن باديس رغم الظروف الصعبة التي توفي فيها هذا الأخير، والمحاولات المتكررة التي تقوم بها السلطات الفرنسية بهدف احتواء الجمعية وإبعاد بعض عناصرها القيادية المتشددة، وتعويضهم بعناصر ممارنة لسياسة الاستعمار، وقد فشلت كل مساعيهم بسبب تكتل والتفاف العلماء حول الشيخ الإبراهيمي، الذي كان يعتبر امتداد طبيعيا للشيخ ابن باديس.

4-على خلاف الكثير من العلماء كان الإبراهيمي رجلا سياسيا رغم تكوينه الأدبي والديني وميوله التربوي، فنقده للاستعمار عامة والفرنسي بالخصوص كان نقدا لاذعا وجارحا في مستوى عالي من

خلال نصوصه التي عرف فيها الاستعمار وأبان دوافعه وأساليبه، ووسائله بشكل دقيق يدعو إلى الإعجاب والتأمل، فقد يصف فرنسا بشيطان الاستعمار أو بالمخلوقة العجيبة.

كما هاجم الإبراهيمي بشدة زعماء الأحزاب السياسية الوطنية المتصارعة فيما بينها بسبب اختلافاتها الإيديولوجية وتصادم مصالحها الحزبية الضيقة، وفي هذا السياق طرح بديلا لذلك وهو ضرورة اجتماع تلك الأحزاب على حد أدنى من التعاون والتنسيق والتشاور إذا تعلق الأمر بالاستعمار الفرنسي، بل أكثر من ذلك كان الإبراهيمي يهدف إلى تكتل تلك الأحزاب وائتلافها في إطار عمل منظم مثلما حدث في المؤتمر الإسلامي الأول سنة 1936م.

5-محاولة الشيخ الإبراهيمي من خلال خطابه الوطني أن يغرس لدى السياسيين الجزائريين آنذاك مهما كانت اختلافاتهم الإيديولوجية البعد الوطني في الممارسة السياسية إذا أرادوا خدمة الشعب والقضية الجزائرية في زحمة الاضطهاد الاستعماري، فقد كان الشيخ الإبراهيمي يؤكد في الكثير من المناسبات أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تضع نفسها فوق كل الأحزاب السياسية الجزائرية لأنها تخدم بكل عفوية مصلحة الأمة الجزائرية دون أن تنظر منها أصواتا انتخابية.

والظاهر أن النهج السياسي الذي سلكه الشيخ الإبراهيمي هو الذي أكسبه الإحترام والمصداقية الكبيرين الذين كانا يحضى بهما حتى لدى خصومه السياسيين، ورغم نجاح التجربة السياسية التي خاضها الإبراهيمي في ظروف جد صعبة، إلا أنها ما تزال جديرة بالإتباع، وبإمكانها أن تصبح مرجعية هامة لرجال السياسة وزعماء الأحزاب الوطنية في الجزائر في الحاضر أو في المستقبل.

6- بالرغم من الجدل حول الموقف الصريح للشيخ الإبراهيمي من الثورة التحريرية الكبرى، فإنه يكن أقل وطنية من قادة الثورة الآخرين والدليل على ذلك:

- تتبع أخبار الوطن بكل شغف من طرف الإبراهيمي، وانتظاره بفارغ الصبر انتهاء مدة الدراسة والتكوين المعرفي في المشرق العربي ليعود إلى أرض الوطن سنة 1920م، حتى يساهم في التخفيف من حدة الجمود والركود الفكري والثقافي والديني الكبير الذي لازم الجزائر.

- رفضه القاطع للتعامل مع السلطات الفرنسية بأي شكل من الأشكال رغم الإغراءات التي قدمت له والضغوطات التي مورست عليه، بل ذلك جعله يصعد في موقفه اتجاه الإدارة الفرنسية، عن طريق نقده لها.
- تأييده العفوي للثورة التحريرية مند أيام إندلاعها الأولى من خلال بيانات التأييد التي أصدرها تباعا من القاهرة، إضافة إلى الجهود الديبلوماسية التي كان يقوم بها لصالح الثورة من كسب الدعم المادي والمعنوي، رغم حالته الصحية التي أثرت عليه، والحق أن هذه المهنة لم تكن من السهولة بمكان بسبب الجهل التام لقادة وحكومات غالبية الأقطار العربية والإسلامية بالقضية الجزائرية، فكيف يكون الحال إذن بالنسبة لشعوبها، مثلما حدث له مع الملك السعودي الذي كان يستمع للإبراهيمي وكأنه يسمع لأول مرة بمعاناة الشعب الجزائري التي دامت أكثر من قرن وعشرين سنة إلى غاية تلك الأثناء.

والحقيقة أن قادة جبهة التحرير الوطني قد أصابوا كما إختاروا الشيخ البشير الإبراهيمي ضمن البعثة الديبلوماسية للثورة التحريرية بالقاهرة، فوجدوه على رةأس الوفد أو توصيته منه عن طريق رسالة خطية إلى شخصية ما، كل ذلك كان كافيا لإنجاز مهام الوفد التي كانت تبعث بها الجبهة إلى مختلف الأقطار العربية والإسلامية على أحسن وجه.

وبإختصار فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قد قضى قرابة نصف قرن من الزمن، عاملا في الحقل الوطني ومدافعا عن قضية الشعب الجزائري، التي نذر نفسه وعلمه وماله مند الوهلة الأولى في مقاومة السياسة الإستعمارية الفرنسية، وفضحها داخل البلاد وخارجها، ولم يتوقف عن الكفاح حتى بعد أن حصلت الجزائر على إستقلالها وعودته، إلى أرض الوطن، وبقي يسدي النصائح لقادة الدولة إلى أن وافته المنية سنة 1965م.

بيبليوغرافية البحث:

1 – المصادر:

1- البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، خمسة أجزاء، (1929م – 1964م)، جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط 1، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1997م.

2- البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة (1954م – 1964م)، جمع وتقديم أبو القاسم سعد الله، ط 1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1994م.

3- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ج 1،(1905م – 1925م) ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1994.

4- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ج 2، (1925م – 1954م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.

5- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ج3، (مع ركب الثورة التحريرية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

6- أحمد حماني: الصراع بين السنة والبدعة، الجزء الثاني، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984 م.

7- الفضيل الورثيلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1982م.

8- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء الأول (1920م – 1936م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

9- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء الثاني (1936م – 1954م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

10- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء الثالث (1944م – 1954م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

11- فرحات عباس: ليل الإستعمار، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت.

12- محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزء الأول، مطبعة دحلب، الجزائر،1985م.

13- محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

2- المراجع:

- باللغة العربية:

1- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900م – 1930م)، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

2- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1930م–1945م)، الجزء الثالث، ط3، الجزائر، 1986م.

3- أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م

4- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ط 1، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.

5- أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1965.

6- العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984م.

7- المنجد في الأدب والعلوم، ط 8، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.

8- خير الدين الزركلي: الأعلام، (ج 3، ج 4، ج5)، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.

9- رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931م – 1956م)، ط 1، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

10- زهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.

11- شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتزيع، الجزائر، 1976 م.

12- عبد الرحمان الجيلالي: محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.

13- عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925م - 1954م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

14- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996م.

15- عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنمشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

16- محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967م.

17- محمد زرمان: معالم الفكر السياسي والإجتماعي عند البشير الإبراهيمي، ديوان المطبوعات الجامعية، باتنة، الجزائر، 1998م.

18- محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه، ط 1، دار الفكر العربي، دمشق، 1988م.

19- مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على عزة نوفمبر أو بعض مآثر نوفمبر، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984م.

20- نبيل أحمد بلاسي: الإتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

- باللغة الفرنسية:

1- André Nouschi: La naissance du nationalisme Algérien, les éditions de minuit, Paris, 1962.
2- Ali Merad: La Reformisme Musulman en Algérie (1925 – 1940), 2éme edition, El Hikma, Alger, 1999.
3- Claude Collot : Les Institutions de L'Algerie Durant La Periode coloniale (1830-1962), Edition C.N.R.S et O.P.U, 1984.
4- Charles Robert agreron: Histoire de L'Algérie contemporaine (1971– 1954), Tome 2, 1 ére Edition, presses universitaires de France, paris, 1977.
5- Fanny Colonna : Le ttrés – intellectuels, et militants en Algérie
6- (1880 – 1950), O.P.U, Alger, 1988.
7- Mahfoud Kaddache: Histoire du nationalisme Algérien (question nationale et politique algérienne), Tome 1, Société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1980.

مقالات من جريدة البصائر:

المقـــال	العدد	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	ص ص
موقف جمعية العلماء من مشروع فيوليت	22	1354 هـ	1935م	011
تعطيل مدرسة دار الحديث	100	1357 هـ	فيفري 1938 م	01
معهد قسنطينة	08	1366 هـ	سبتمبر 1947 م	02
العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء	22	ربيع الأول 1367 هـ	9 فيفري 1948	02
الإنجليز حلقة الشر المفرغة	24	ربع الثاني 1367 هـ	1 مارس 1948 م	01
فلسطين واجباتها على العرب	25	ربيع الثاني 1367 هـ	مارس 1948 م	01
دمعة على المنصف	29	ذي القعدة 1367 هـ	سبتمبر 1948 م	04
مؤتمر الزوايا بعد مؤتمر الأئمة	31	2 جمادى الثانية 1367 هـ	1848 م	01
كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين	52	8 ذي الحجة 1367 هـ	11 أكتوبر 1948 م	05
كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين	53	15 ذي الحجة1367 هـ	18 أكتوبر1948 م	01
التعليم العربي والحكومة	65	2 ربيع الثاني1368 هـ	31 جانفي1949 م	02
مكتبة المهد	90	1368 هـ	سبتمبر 1949 م	05
أعراس الشيطان	95	1368 هـ	نوفمبر 1949 م	02
إبليس يأمر بالمعروف	144	20 جمادى الأولى 1370 هـ	26 فيفري1951 م	03
حقوق الجيل الناشىء علينا	145	27 جمادى الأولى 1370 هـ	5 مارس 1951 م	06
عروبة الشمال الإفريقي	150	3 رجب 1370 هـ	9 أفريل 1951 م	01
فصل الدين عن الحكومة	154	شعبان 1370 هـ	7 ماي 1951 م	01
فصل الدين عن الحكومة	157	شعبان 1370 هـ	28 ماي 1951 م	01
تضامن مع الشعب الليبي	179	9 ربيع الثاني1371 هـ	7 جانفي 1952 م	01
رحلة الأستاذ الجليل إلى الشرق	188	رجب 1371 هـ	أفريل 1952 م	02
رحلة إلى الأقطار الإسلامية	194	30 رمضان 1371 هـ	23 جوان 1952 م	04
مأساة الاستعمار في المغرب العربي	200	18 ذي الحجة1371 هـ	8 سبتمبر1952 م	02
برقيات احتجاج من القاهرة	240	16 محرم 1373 هـ	25 سبتمبر 1953	03

3-المقالات:

1-أحمد توفيق المدني: "الإبراهيمي كان أمة، كان جيلا، كان عصرا "، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ماي / جوان، 1985م.

2-باعزيز بن عمر: "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقيد الجزائر الكبير"، مجلة العربي، الكويت، العدد 160، شعبان 1377هـ.

3-جميل صليبا: "من مذكرات الدكتور جميل صليبا عن الإبراهيمي "، مجلة الثقافة، العدد 87، الجزائر، ماي / جوان، 1985م.

4-رابح تركي: " الصراع بين جمعية العلماء والإدارة الفرنسية "، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 85، جانفي / فيفري 1985م.

5-زهور لونيسي: " بعض من رؤية الإبراهيمي في الإصلاح الإجتماعي"، مجلة الثقافة، العدد 87، الجزائر، ماي / جوان 1985م.

6-عمر الحكيم: " الشيخ البشير الإبراهيمي علم من أعلام العرب في القرن العشرين"، مجلة حضارة الإسلام، السعودية، العدد 2، السنة السابعة، جويلية 1966م.

7-محمد الصالح الصديق: "يفنى الرجال وتبقى الأعمال"، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ماي / جوان 1985 م.

8-محمد الهادي الحسني: "الإمام محمد البشير الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مجلة الموافقات، العدد 4، السنة الرابعة، 1995 م.

9-محمد فاضل الحمالي: "الشيخ البشير الإبراهيمي ورسالته التربوية "، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ماي / جوان 1985م.

فهـــرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة:.....1

الفصل الأول:

الأوضاع العامة للجزائر في الفترة التي ولد ونشأ فيها الشيخ الإبراهيمي من 1889م إلى 1965م،

1-المولد والنشأة:.....7

1-عصر الإبراهيمي (1889م – 1965م):.....7

2 – المولد والنسب:.....10

3 – نشأته وتعليمه:.....11

2- رحلته الأولى إلى المشرق العربي:.....13

3- عودته إلى الجزائر سنة 1920 م:.....22

الفصل الثاني

من إسهامات الإبراهيمي الإصلاحية في الجزائر

1- نشاط الإبراهيمي قبل ميلاد الجمعية: (1920 م – 1931 م):.....27

2- الإبراهيمي وتأسيس جمعية العلماء: 1931:.....34

3- مشروع الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي:.....37

3-1- في الميدان الديني: 41

3-2- في ميدان التربية والتعليم:.....48

الفصل الثالث

مواقف الإبراهيمي من بعض القضايا السياسية

1- من السياسة الفرنسية:.....65

- موقف الإبراهيمي من مشروع فيوليت 1935م: 65

- موقف الإبراهيمي من حوادث 08 ماي 1945 م:.....67

- موقفه من لجنة الإصلاحات الإسلامية ديسمبر 1943م: 71

2- من السياسة الوطنية:.....74

- موقفه من جمعية علماء السنة 1932م:.....74

- الإبراهيمي والمؤتمر الإسلامي الأول 1936م:..... 77
- مواقفه من الأحزاب الوطنية:..... 79

الفصل الرابع
مواقف الإبراهيمي من بعض قضايا عصره

1 – حركات التحرر في بلدان المغرب العربي وموقفه منها:..... 87
أ– قضية المغرب الأقصى:..... 87
ب– القضية التونسية:..... 89
ج – القضية الليبية:..... 91
2– قضايا المشرق العربي:..... 94
أ– القضية الفلسطينية:..... 94
ب– القضية المصرية:..... 101

الفصل الخامس
سفر الإبراهيمي إلى المشرق العربي وخدمته للقضية الجزائرية

1– سفره إلى المشرق العربي سنة 1952 م وخدمته للقضية الوطنية:..... 107
2– رحلاته إلى البلاد الإسلامية:..... 110
3– موقفه من اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 01 نوفمبر 1954م:..... 118
4– نشاطه لصالح الثورة التحريرية (1954م – 1962م):..... 122
5– عودته إلى الجزائر 1962م:..... 129
6– موقفه من التوجه الاشتراكي للدولة الجزائرية:..... 131
7– وفاته:..... 134
8– أثاره:..... 137
الخاتمة:..... 143
بيبليوغرافية البحث:..... 147
فهرس المحتويات..... 155